شعبة العقيدة

بين

أبي الحسن الأشعري

والمنتسبين إليه في العقيدة

تأليف

أبي بكر خليل إبراهيم أحمد الموصلي

الناشر
دار الكتاب العربي



شعبة العقيدة

بين

أبي الحسن الأشعري

والمنتسبين إليه في العقيدة

تأليف

أبي بكر خليل ابراهيم أحمد الموصلي

الناشر
دار الكتاب العربي

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

دار الكتاب العربي

قردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E.٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص. ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين. الحمد لله الذي وفقني لهٰذا وهداني إلىٰ أفضل السبل. قال تعالى: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فإنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾.

وقال ﷺ: «لا يشكر اللَّهَ مَنْ لا يشكر الناس».

ومِن هذه القاعدة الإسلامية التي دل عليها الكتاب والسنة، أتقدم بالشكر الجزيل، والدعوات الطيبة إلىٰ فضيلة الدكتور علي بن ناصر الفقيهي الذي تفضل بالإشراف علىٰ رسالتي هذه، وبذل جهداً كبيراً في توجيهي إلىٰ أفضل السبل العلمية. كما أشكر كل من ساهم وساعد في إخراج هٰذا البحث.

وأسأل الله عز وجل للجميع التوفيق والسداد في القول والعمل... والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أبي بكر خليل إبراهيم أحمد الموصلي



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يآأيُّها الذين آمَنُوا اتقوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ ولا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾.

﴿يآأيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجالاً كَثِيراً ونساءً واتَّقوا الله الَّذي تَسآءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إنَّ الله كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً﴾.

﴿يآأيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

أما بعد... فلقد كان عصر الصحابة رضوان الله عليهم من أعظم العصور انقياداً وتسليماً لكل ما جاء في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ، ولم يوجد بينهم خلافٌ أو تنازعٌ في مسألةٍ واحدةٍ من مسائل العقيدة، خصوصاً ما يتعلق بالأسماء والصفات، فكانت كلمتهم في هذه المسألة واحدةً من أولهم إلىٰ آخرهم، فقد أثبتوا لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ونفوا عنه كل ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه نبيُّه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل.

نعم، قد تنازع الصحابة رضي الله عنهم في كثيرٍ من مسائل الأحكام ـ وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ـ ولكن بحمد الله تعالىٰ لم يُعرف عن واحدٍ منهم أنه تنازع في مسألةٍ من مسائل الأسماء والصفات.

فالعصر الذي عاشه صحابةُ رسول الله ﷺ كان عصر انقيادٍ وتسليمٍ لكل ما جاء في الكتاب والسنة، وكان مجتمعهم مجتمعاً خالياً من الخلافات الجدلية، سليماً من الإنحرافات العقلية، كان مجتمعاً يشوبه الصفاء والنقاء في جميع نواحيه الاعتقادية.

وانقضىٰ عصرهم ومضىٰ علىٰ الوصف الذي ذكرنا، ثم حدثت الفتن وظهرت المحن، وطل أبناء الفرس وتلاميذ اليهود برؤوسهم علىٰ الأمة الإسلامية، التي فتحت البلدان، وأعلنت الأمن والأمان، فنشرت دين ربها وسنة نبيّها في كافة الأوطان.

وهذا قد أغاظ قلوباً وأرغم أنوفاً، ممن يحملون الكيد والسوء للإسلام وأهله، فبدأوا ينشرون أفكارهم ومذاهبهم المنحرفة في أوساط الأمة الإسلامية.

فظهرت المذاهب المنحرفة الهدامة، والبدع الضالة السامة، فأول بدعةٍ ظهرت بدعةُ الخوارج، ثم التشيع، ثم بدعة القدر، ثم بدعة الإرجاء، ثم بدأ ظهور الجهمية والمعتزلة، وظهر بظهورهم اختلاف الآراء، والميل إلىٰ أهل البدع والأهواء.

فأسست فرقةُ المعتزلة قواعدَ الخلاف، ونهجت منهج الفُرقة والإنحراف، ونفت صفات الله تعالىٰ ورؤيته في الآخرة، وقالت بنفي القدر[1]، وصار هؤلاء المعتزلة يعبثون بكتاب الله تعالىٰ وبسنة رسوله ﷺ، تتحكم فيهما أهواؤهم وأفكارهم، ويصرفونها كيفما شاؤوا.

ولكن الحال لم يدم لهم طويلاً، وإن استطالوا علىٰ أهل السنة

---

(١) والقدر الذي نفته المعتزلة هو: أنَّ قدرة الله لا تتعلق بأفعال العباد بل العباد هم الخالقون لأفعالهم.

والجماعة، وأيَّدهم في ذلك بعضُ مَنْ قَال بمذهبهم من الحكام.

فإنَّ الله تعالىٰ قد هيأ وسَخَّر رجالاً يجودون بدمائهم في سبيل إعلاء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويضحون بالغالي والنفيس من أجل قول الحق وإظهاره.

فتصدىٰ أهلُ السنة والجماعة لعبث العابثين، وكيد المخربين، فردوا علىٰ مذاهبهم وأفكارهم بالأدلة القرآنية والسنة النبوية، وأظهروا ما كان عليه السلف الصالح من التسليم التام لكل ما وصف الله به نفسه وما وصفه به نبيه ﷺ، وكتبوا بذلك كتباً كثيرة، فنصرهم الله تعالىٰ وأيَّدهم بِمَنِّه وإحسانه.

ومن الذين عاشوا مع المعتزلة وقالوا بقولهم، الإمام أبو الحسن الأشعري، فقد عاش في حجر أبي علي الجُبَّائي زوج أمه، فرباه علىٰ الاعتزال. وبقي الأشعري علىٰ مذهب الاعتزال حتىٰ بلغ من العمر أربعين سنة، ثم هداه الله تعالىٰ إلىٰ الخروج عليهم، وكشف عوارهم وهتك أستارهم، سالكاً طريقة أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب البصري.

وهذه الطريقة برزخٌ بين السلف والمعتزلة، فيها إثبات الصفات اللازمة لله تعالىٰ، وتأويل صفات الأفعال والكلام والصفات الخبرية.

ولكن الله تعالىٰ مَنَّ علىٰ الأشعري برحمته وفضله فهداه إلىٰ مذهب السلف الصالح، والقول بما يقولون، واعتقاد ما يعتقدون.

كما أعلن هو نفسه انتسابه لإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل. وسنذكر هٰذا بالتفصيل في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالىٰ.

وقد ظهرَ بعد وفاة الأشعري مَنْ ينتسبون إليه، ويطلقون علىٰ أنفسهم لقب «الأشاعرة» وهذه النسبة من أول وهلة تُظهر للناظر إليها، أن قائلها ملتزم بما كان عليه الأشعري في الاعتقاد في أسماء الله وصفاته.

والحق أن هذه النسبة إنْ صحت إلىٰ الأشعري، فإنما تصح إليه باعتبار ما كان عليه في طوره الثاني الذي كان سالكاً فيه طريقة ابن كلاب البصري في إثبات بعض الصفات وتأويل الأخرىٰ.

فالأشاعرة أخذوا عن الأشعري ما كان عليه في هـذا الطور، ونشروه في الآفاق، ولأجله سَطَّروا الكتب والمصنفات، وقاموا بدرسِهِ وتدريسه.

وظـل أتباعـه ومن ينتسبون إليـه إلىٰ يومنـا هٰذا يعتقـدون ما كـان عليـه الأشعري في طوره الثاني الذي تركه.

والحق أن الأشعري بريء من هٰذا الطور براءَة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليهما السلام، لأن الله تعالىٰ ختم له بالرجوع التـام إلىٰ مذهب السلف، وهو المعتقد الذي أراد الأشعري، أن يلقىٰ الله تعـالىٰ عليه، فـألَّفَ الكتب وأرسل الفتاوىٰ في جميع الأمصار، ليُعلم أنه عاد ورجع عما كان عليـه، كما سيجـد القارىء ذٰلك في فصول هذا البحث.

فليس من الانصاف أن يُنسب إلىٰ الأشعري مذهبٌ قد قـال به في طـورٍ من أطوار حياته، ثم عدل عنه إلى العقيدة السلفية وهو طوره الأخير.

لهـذا وغيـره اختــرت مـوضــوع رسـالتي «بين أبي الحسن الأشعــري والمنتسبين إليه» لأن الأشعري قد نُسب إليه مذهبٌ تَبَيَّنَ بالدلائل النقليـة أنه قد تبرأ منه وعَدَلَ إلىٰ مذهب السلف الصالح.

وفي هذه الرسالة تناولتُ الخلافَ القـائم بين الأشعري والمنتسبين إليـه في مسألة الصفات. وإلا فإنَّ الخلاف الذي بينهما أوسع من باب الصفات.

فالأشاعـرةُ إضافـةً لخلافهم مـع الأشعري في مسـألة الصفـات، فإنهم يخالفونه في مسألـة خلق أفعال العبـاد، والإيمان، ورؤيـة المؤمنين لربهم من فوقهم يوم القيامة، وغيرها.

ولكن الأمر الذي تناولتُه بالبحث والمقارنـة، هو الخـلاف القائم بينهمـا فيما يتعلق بالصفات الإلهية.

وهذا الموضوع أكبر من أن أقـوم ببحثه وإلقـاء بعض الأضواء عليـه من جميع جوانبه في رسالة الماجستير المحدودة الزمن، ذلك أن الموضوع يحتاج إلىٰ دراسةٍ أوسع وأعمق، ولكن حسبي أن أقدم ما أستطيعه في هذه الفترة.

وختاماً أقول: يجب على كل مسلمٍ عرف الحق أن يتبعه، مبتعداً عن التعصب والهوىٰ، وأن يعلم أن الحق فيما قاله الله تعالىٰ وفيما قاله رسوله ﷺ، وفيما مضىٰ عليه سلف هذه الأمة من التسليم التام والانقياد الكامل لما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. وصدق القائل:

وكُلُّ خيرٍ في اتباع مَنْ سَلَفْ وكُلُّ شَرٍّ في ابتداع مَنْ خلف

واللَّهَ أسأل أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضىٰ، ويجنبنا الزلل والهوىٰ، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه.



خطة البحث

اشتمل البحث علىٰ مقدمةٍ وتمهيدٍ وبابين وخاتمة.

أما المقدمة فقد خصصتُها للكلام عن الأسباب والدوافع التي حملتني علىٰ اختيار هذا البحث.

وأما التمهيد فقد اشتمل علىٰ الآتي:

أ ـ الحالة العلمية في عصر الأشعري.

ب ـ سيرة الأشعري:

١ ـ اسمه ونسبه.

٢ ـ موطنه ومولده.

٣ ـ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

٤ ـ مؤلفاته.

جـ ـ شيوخه وتلاميذه.

د ـ المراحل والأطوار التي مر بها.

هـ ـ وفاته.

وأما الباب الأول فقد ذكرتُ فيه مذهب الأشعري في الصفات الذاتية الخبرية، مع تعريفٍ لكل من عقيدة السلف والأشعري والأشاعرة.

واشتمل علىٰ ثلاثة فصول:

الفصل الأول: عقيدة السلف والأشعري والأشاعرة في الصفات.

واشتمل هذا الفصل علىٰ أربعة مباحث:

أ ـ تعريف عقيدة السلف في الصفات.

ب ـ تعريف عقيدة الأشعري في الصفات.

جـ ـ تعريف عقيدة الأشاعرة في الصفات.

د ـ رجوع كبار الأشاعرة إلىٰ مذهب السلف.

الفصل الثاني: اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفة الوجه.

المبحث الثاني: صفة اليدين.

المبحث الثالث: صفة العينين.

أما الفصل الثالث فقد خصصتُه للكلام علىٰ صفة كلام الله تعالىٰ، وذِكْرِ مذهب الأشعري، وموافقته لمذهب السلف الصالح، ومخالفة الأشاعرة للأشعري.

أما **الباب الثاني**: فقد خصصته للكلام علىٰ الصفات الفعلية الخبرية، وفيه بيانُ مذهب السلف الصالح، وبيان موافقة الأشعري لمذهبهم، ثم بيان مخالفة الأشاعرة للأشعري والسلف الصالح.

واشتمل هٰذا الباب علىٰ ثلاثة فصول:

الفصل الأول: صفة الاستواء.

الفصل الثاني: صفة الإتيان والمجيء والنزول.

الفصل الثالث: صفة الرضىٰ والغضب.

أما الخاتمة فقد اشتملت علىٰ أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال هذا البحث.

تمهيد

ويشتمل على:

أ ـ الحالة العلمية في عصر الأشعري.

ب ـ سيرة الأشعري:

١ ـ اسمه ونسبه.

٢ ـ موطنه ومولده.

٣ ـ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

٤ ـ مؤلفاته.

جـ ـ شيوخه وتلاميذه.

د ـ المراحل والأطوار التي مر بها.

هـ ـ وفاته.

أ ـ الحالة العلمية في عصر الأشعري

إن الحديث عن الحالة العلمية في عصر الأشعري، يتطلب منا أن نتعرف بعض الشيء علىٰ الأحداث والأحوال التي سبقت عصره لما لها من أثر فكري وعلمي علىٰ الأشعري نفسه.

فقد حدثت بعد زمن الصحابة الكرام بدعٌ كثيرة، ووُجدت مذاهبُ عديدة، كان من أبرزها المذهب الاعتزالي، الذي تبنىٰ بدوره مذاهب المبتدعة التي سبقته من جهميةٍ وقدريةٍ ومرجئةٍ.

أول ما ظهر هذا المذهب في البصرة، وفي الحلقة التي كان يرأسها الإمام الحسن البصري، وكان فيها أحد التلاميذ ويُدعىٰ ـ واصل بن عطاء ـ فحصل بينهما خلافٌ في الفاسق، فأفتىٰ واصل بأنه لا مؤمن ولا كافر، فطرده الحسن من حلقته، وأوىٰ إلى ساريةٍ من سواري المسجد، معتزلاً البصريَّ وحلقته، وانضم إليه بعد ذٰلك عمرو بن عبيد، الذي وافقه في المخالفة التي طرده بسببها البصريُّ، فقيل لهما ولأتباعهما «معتزلة»[1].

ومن هنا ظهرت المعتزلة وكثر روادها وأتباعها، وكُتِبَ لها الذيوع وخاصةً بعد أن وجدوا بغيتهم في السلطة الحاكمة في ذلك الوقت، حين كان المأمون خليفة للمسلمين.

وكان المأمون من الخلفاء الذين شغفوا بعلم الفلسفة والعلوم القديمة، فأرسل إلىٰ بلاد الروم مَنْ عَرَّب له كتب الفلاسفة، وأتاه بها في أعوام،

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي (ص ٢٠) نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (جـ ٥ ص ٤٦٤).

فـانتشرت مـذاهب الفلسفة في النـاس، وأقبلت المعتزلـة عليها، وأكثـروا مِن النظر فيها والتصفح لها[1].

واستطاع المعنيون من رجال الاعتزال، أن يؤثروا على المأمون ويكسبوه لصفهم، ويقنعوه بـأفكارهم ومـذاهبهم، ثم زَيَّنُوا وحَسَّنُـوا لـه مسـألـةَ خلق القرآن، فاستجاب لهم واقتنع بما عندهم.

فـامتحن الناس بهـذه المسألـة خصوصـاً العلماء والمحدِّثين وغيرهم، وأصاب الناس في تلك الأيام الفزع والخوف وعدم الأمن والاستقرار.

ولكن الله تعـالىٰ ثبت رجالاً امتنعـوا عن القـول بخلق القـرآن، ونتيجـةً لهذا الامتناع عُذِّبوا وضُربوا ولاقوا أصناف وألوان العذاب، ومن هؤلاء الإمـام أحمـد بن حنبل، ومحمـد بن نوح، وأحمـد بن نصـر الخـزاعي، رحمهم الله تعالىٰ.

وبقيت هذه الفتنة كالغمامة مخيمةً على المسلمين قـرابة عشـرين سنة، حتى جاء المتوكـل سنة ٢٣٤هـ الـذي كان من خيـار الخلفاء فـأحسن الصنيع لأهل السنة، فكشف الغمة وأزال المحنة، وأمر العلماء أن يحدثوا بـالأحاديث التي رُويت في الصفات والرؤية، وأن يردوا علىٰ المعتزلة والجهمية[2].

وفي هـذه الفترة وجـد أهل السنـة والجماعـة متنفسـاً، فنشـطوا وبـدأوا بتأليف الكتب التي توضح مذاهب السلف الصالح في العقيـدة، وتبين للناس جميعاً بالدليل الواضح والبرهان الساطع صحةَ ما كان عليه السلف الصالح.

كما بدأوا يردون على الجهمية والزنادقة ومَنْ تبعهم من المعتزلـة. ومن هذه الكتب التي أُلِّفت في هذا الوقت:

١ ـ كتاب الرد علىٰ الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ت ٢٤١هـ).

٢ ـ كتاب خلق أفعال العباد للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ).

---

(١) انظر الخطط للمقريزي (جـ ٣ ص ٣٠٥).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (ج ١٠ ص ٣٠٦) وجـلاء العينين للآلوسي (ص ٢٠٨)، طبع دار الكتب العلمية.

٣ ـ كتاب الرد علىٰ الجهمية للإمام الدارمي (ت ٢٨٠هـ).
٤ ـ كتاب السنة لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ).

وغير هذه الكتب التي سَطَّرها أئمةُ أهل السنة والجماعة في الرد علىٰ الجهمية والمعتزلة.

ويمكننا أن نقول: أن الفترة التي عاشها أبو الحسن الأشعري، والتي تقع ما بين عامي ٢٦٠ ـ ٣٢٤هـ تُعتبر من أزهىٰ الفترات الي ظهرت فيها ثمار أهل السنة والجماعة، وظهرت لمساتهم الطيبة في تأليفهم الكتب التي ردت علىٰ المعتزلة والمبتدعة المخالفين لأهل السنة.

فالفترة التي عاش فيها الأشعري، تمثل نتاجَ معترك قديم بين فرقٍ زلت قدمها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد، إما لتأثرها ببعض آراءٍ دخيلةٍ من تراث شرقي أو غربي قديم، أو لرغبةٍ في إخضاع كل ما ورد في الشريعة للعقل البشري.

وقد تصدىٰ لهذه الفرق أهلُ السنة والجماعة، الذين أرادوا مقابلة هٰذا الانحراف عند هٰذه الفرق، بالثبات التام علىٰ موقف السلف الصالح في إثبات كل ما أثبته تعالىٰ لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تحريفٍ ولا تكييفٍ.

ولم يتكلم أهل السنة والجماعة في المسائل التي طرحها المبتدعة، وأرادوا إخضاعها للعقل البشري، بل إن أهل السنة حَذَّروا منها وردوا عليها[1].

والمعتزلة وإن قَلَّتْ سيطرتهم علىٰ الناس، وضَعُفَتْ معنوياتهم، بقي رجالٌ منهم يدافعون عن طريقتهم الموغلة في الجدل العقلي، ويحاولون إظهارها مرةً أخرىٰ ولكن بلباس جديد.

وظهر منهم جماعة أمثال: أبي هاشم الجبائي، الذي كان شيخاً للأشعري في أول فترات حياته.

(١) انظر مقدمة كتاب الإبانة للأشعري ـللدكتورة فوقية حسين (ص ٢١) طبع مكتبة دار الأنصار.

ب - سيرة الأشعري

١ - اسمه ونسبه:

هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن موسىٰ ابن أمير البصرة بلال بن أبي بردة بن صاحب رسول الله ﷺ أبي موسىٰ عبدالله بن قيس بن حضار الأشعري اليماني البصري. وكنيته أبو الحسن[1]. فالأشعري من أولاد الصحابي الجليل أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

وقد ذكر السمعاني أن الأشعري يرجع إلىٰ قبيلةٍ مشهورةٍ باليمن يقال لها: أشعر.

---

(١) مصادر ترجمته:

- الفهرست لابن النديم (ص ٢٥٧) دار المعرفة للطباعة، بيروت.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج ١١ ص ٣٤٦)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٣٤)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- المنتظم لابن الجوزي (ج ٦ ص ٣٣٢) دار المعارف العثمانية، حيدر آباد.
- وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٤٤٦) مطبعة السعادة، مصر.
- سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٥ ص ٨٦) مؤسسة الرسالة.
- طبقات الشافعية للسبكي (ج ٣ ص ٣٤٧) مطبعة عيسى البابي.
- البداية والنهاية لابن كثير (ج ١١ ص ١٨٧) دار المعارف، بيروت.
- الخطط للمقريزي (ج ٣ ص ٣٠٧) دار التحرير للطبع عن طبعة بولاق.
- الديباج المذهب لابن فرحون المالكي (ص ١٩٣) دار الكتب العلمية، بيروت.
- شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (ج ٢ ص ٣٠٣) المكتب التجاري للطباعة والنشر.
- الأعلام للزركلي (ج ٥ ص ٦٩) ط. ثالثة بيروت.

والأشعر: هو نبت بن أدد. وسُمِّيَ بالأشعر لأن أمه ولدته والشعر علىٰ كل شيءٍ منه فسمي الأشعر.

وأبو الحسن إنما قيل له الأشعري لأنه من ولد أبي موسىٰ الأشعري[1].

وأما لقبه: فقد ذكر ابن عساكر أنه نُودي علىٰ جنازته بـ «ناصر الدين»[2].

٢ ـ موطنه ومولده:

ولد أبو الحسن الأشعري في البصرة، وبعد خروجه علىٰ الاعتزال غادرها وسكَن بغداد، ولهذا يقولون عنه: بصري سكن بغداد[3].

أما عن مولده فقد اختلف المؤرخون في تحديد ولادة الأشعري. فابن عساكر يذكر عن أبي بكر الوزان روايةً مفادها: أنه وُلد سنة ستين ومائتين. ثم يؤكد ابن عساكر صحةَ هذه الرواية بقوله: «لا أعلم لقائل هٰذا القول في تاريخ مولده مخالفاً»[4].

أما ابن خلكان فيرىٰ أن مولد الأشعري كان سنة سبعين ومائتين[5] ولهذا قال الذهبي رحمه الله: «مولده سنة ستين ومائتين، وقيل: بل ولد سنة سبعين»[6]. يريد الذهبي بقوله هذا التنبيه علىٰ الخلاف الحاصل في مولد الأشعري. والمقريزي يذكر: أن مولده كان سنة ست وستين ومائتين، وقيل سنة سبعين[7].

لكن أكثر المصادر التاريخية التي ترجمت للأشعري تذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين.

---

(١) أنظر الأنساب للسمعاني (ج ١ ص ٢٦٦) مطبعة مجلس دائرة المعارف بالهند.

(٢) انظر تبيين كذب المفتري (ص ١٤٧).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٦).

(٤) انظر تبيين كذب المفتري (ص ١٤٦).

(٥) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٣ ص٣٠٧).

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٥ ص ٨٥).

(٧) انظر الخطط للمقريزي (ج ٣ ص ٣٠٧).

والخطيب البغدادي وهو قريب عهد بزمن الأشعري، يذكر لنا أن مولده كان سنة ستين ومائتين[1].

وهذا المولد هو الصحيح، خصوصاً بعد أن وجدنا ما يرجحه، وهو أن تحوله عن الاعتزال كان سنة ثلاثمائة، وكان قد عاش فيه حتىٰ بلغ سن الأربعين من عمره[2]، فيكون مولده سنة ستين ومائتين، وهو المختار عندي والله أعلم.

٣ ـ مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

إن الأشعري رحمه الله كان من العلماء الذين حملوا لواء العلم في كل ميادينه وصنوفه، ويعد من علماء الطراز الأول الذين جمعوا بين شتىٰ المعارف والعلوم والفنون.

وقد كان صاحبَ قلمٍ سيال، يكتب في جميع الفنون، ويؤلف في جميع العلوم، مما يدل علىٰ ذكائه وفطنته.

ومن ألقىٰ نظرةً إلىٰ الكتب والمؤلفات التي تركها الأشعري تراثاً للناس، عَلِمَ قيمة القدرة العقلية التي كان يتمتع بها.

فقد كتب في الفرق التي خرجت وظهرت وانتشرت في أرجاء المعمورة، وذكر عقائدهم ومذاهبهم وأفكارهم. كما رَدَّ عليهم بأسلوب علميٍ رصين يحمل في طياته الدلائل الساطعة والبراهين الواضحة علىٰ صحة ما يقوله.

وقد برع في الرد علىٰ المعتزلة، وألف كتباً في إظهار فضائحهم، وكشف عوارهم، ساعده علىٰ ذلك أنه كان يوماً من الأيام منهم يقول بقولهم.

والأشعري لم تقتصر معرفته علىٰ علم الكلام والكتابة فيه وحده، بل

(١) انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج ١١ ص ٣٤٧).
(٢) انظر تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٥٦).

كان من الأئمة الذين يكتبون في الفقه والقياس والاجتهاد.

كما كان رحمه الله مفسراً، وله مؤلف ضخم في التفسير.

فالعقلية التي كان يتمتع بها الأشعري، وسعة العلم والاطلاع، دفعت أهل العلم إلىٰ أن يسطروا جملةً من مآثره.

● قال الخطيب البغدادي: «أبو الحسن الأشعري المتكلم، صاحب التصانيف في الرد علىٰ الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج وسائر أصناف المبتدعة»[1].

● وقال الذهبي عنه: «العلامة إمام المتكلمين أبو الحسن... وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم، ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلىٰ الله تعالى منه، ثم أخذ يرد علىٰ المعتزلة ويهتك عوارهم.

قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتىٰ نشأ الأشعري فحجزهم في أقماع السمسم.

وعن ابن الباقلاني قال: أفضل أحوالي أن أفهم كلام الأشعري»[2].

● وقال ابن العماد الحنبلي عنه: «ومما بَيَّض به وجوه أهل السنة النبوية، وسَوَّدَ به رايات أهل الاعتزال والجهمية، فأبان به وجه الحق الأبلج، ولصدور أهل الإيمان والعرفان أثلج مناظرته مع شيخه الجبائي، التي بها قصم ظهر كل مبتدع مرائي»[3]. ثم ساق المناظرة نقلاً عن ابن خلكان.

وقد أفرد الحافظ ابن عساكر مؤلفاً خاصاً بالأشعري، يدافع فيه عنه، ويرد علىٰ مَنْ عاداه وظلمه ولمز نسبه، وذكر روايات العلماء والأئمة في مدحه والثناء عليه، وإبراز مكانته العلمية، كما ذكر فيه بعضاً من شيوخه الذين تلقىٰ

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج ١١ ص ٣٤٧).
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٥ ص ٨٦).
(٣) شذرات الذهب لابن العماد (ج ٢ ص ٣٠٣).

علىٰ أيديهم العلم، كما ذكر تلاميذه[1].

وكذلك فعل السبكي في الطبقات، فذكر روايات العلماء في الثناء عليه ومدحه[2].

٤ ـ مؤلفاته:

إن العقلية الكبيرة التي كان يتمتع بها الأشعري، مع الذكاء وقوة الفهم، ساعدته كثيراً علىٰ الكتابة والتأليف في شتىٰ الفنون، فترك تراثاً عظيماً من المصنفات.

والمؤرخون الذين ذكروا مصنفات الأشعري، إنما ذكروا جزءاً يسيراً عثروا عليه.

فابن عساكر ذكر عدداً كبيراً من مؤلفات الأشعري نقلاً عن ابن فورك، ثم استدرك علىٰ ابن فورك، وذكر عدة مؤلفات أخرىٰ لم يذكرها ابن فورك مما يدل علىٰ أن الأول لم يستجمع كل المؤلفات التي صنفها الأشعري.

أما ما ذكره ابن حزم من أن مصنفات الأشعري بلغت خمساً وخمسين مصنفاً، فهذا مردود بما قاله ابن عساكر، فقد قال الأخير: «قد ترك ابن حزم من عدد مصنفاته أكثر من مقدار النصف، ذكرها أبو بكر بن فورك مسماةً تزيد علىٰ الضعف»[3].

وقد ذكر السبكي تعليلاً لما قاله ابن حزم في عد مصنفات الأشعري، من أن ما ذكره ابن حزم يُعتبر ما وقف عليه هو نفسه في بلاد المغرب[4].

وقد قام عددٌ من الباحثين في هذا العصر بدراساتٍ عن تراث الأشعري الذي تركه لمن بعده من المسلمين، منهم الدكتور عبدالرحمن بدوي، فقد

---

(١) انظر تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٩٠ ـ ١٤١).
(٢) انظر طبقات الشافعية للسبكي (ج ٣ ص ٣٤٧).
(٣) تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص ٩٢).
(٤) انظر طبقات الشافعية للسبكي (ج ٣ ص ٣٥٩).

ذكر مصنفات الأشعري، معتمداً علىٰ ما ذكره ابن عساكر في التبيين[1].

وكذلك فعلت الدكتورة فوقية حسين في مقدمتها لكتاب الإبانة للأشعري، حيث ذكرت مؤلفات الأشعري، كما ذكرت تعليقات مفيدة عليها[2].

وآخر ما جَدَّ لنا من ذكر مؤلفات الأشعري، هو ما قام به الباحث عبدالله شاكر في مقدمة كتاب «رسالة إلى أهل الثغر» للأشعري، فقد قام بذكر المؤلفات التي صَنَّفها الأشعري معتمداً علىٰ ما ذكر في التبيين[3].

وسوف أسلك نفس الخطىٰ التي سلكها مَنْ سبقني في سرد مؤلفات الأشعري، معتمداً علىٰ ما ذُكر في التبيين، مما قاله الأشعري نفسه، ومما استدرك به عليه ابن فورك، ومما استدرك به ابنُ عساكر علىٰ ابن فورك.

وأعترف أن الباحثين الذين سبقوني قد قاموا بجهدٍ كبيرٍ يُشكرون عليه، مما ساعدني كثيراً في ذكر مصنفات الأشعري.

وأبدأ بذكر المؤلفات التي ذكرها الأشعري نفسه في كتابه «العمد في الرؤية»[4]، فقد ساق المصنفات التي صنفها إلىٰ سنة عشرين وثلثمائة.

١ ـ «الفصول» في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة، كالفلاسفة، والدهريين، والطبائعيين، وأهل التشبيه.

٢ ـ «الموجز» ويشتمل علىٰ اثني عشر كتاباً حسب تنوع مقالات المخالفين من الخارجين عن الملة والداخلينَ فيها. وآخره كتاب الإمامة، تكلم فيه في إثبات إمامة الصديق، وأبطل قولَ مَنْ قال بالنص (من الشيعة) وأنه لا بد من إمامٍ معصومٍ في كل عصر.

---

(١) انظر مذاهب الإسلاميين (ص ٥٠٥) نشر دار العلم للملايين.

(٢) انظر مقدمة الدكتورة فوقية لكتاب الإبانة (ص ٣٨).

(٣) انظر مقدمة تحقيق كتاب «رسالة إلى أهل الثغر» للأشعري (ص ٣٠).

(٤) انظر تبيين كذب المفتري (ص ١٢٨ ـ ١٣٦).

٣ - «كتاب في خلق الأعمال»، نَقَض فيه اعتلالات المعتزلة والقدرية، وكشف فيه عن تمويههم في ذلك.

٤ - «كتاب في الاستطاعة» وهو كتاب كبير رد فيه علىٰ استدلالات المعتزلة.

٥ - «كتاب كبير في الصفات» تكلم فيه عن أصناف المعتزلة والجهمية ورَدَّ عليهم، وأثبت فيه صفة الوجه واليدين والاستواء لله تعالىٰ.

٦ - «كتاب في جواز رؤية الله بالأبصار» نقض فيه جميع أدلة المعتزلة في نفي الرؤية.

٧ - «كتاب كبير في اختلاف الناس في الأسماء والأحكام والخاص والعام».

٨ - «كتاب في الرد علىٰ المجسمة».

٩ - «كتاب في الجسم»، بين فيه أن المعتزلة لا يمكنهم أن يجيبوا علىٰ مسائل الجسمية، كما يمكنه ذلك، وبَيَّنَ فيه لزوم مسائل الجسمية علىٰ أصولهم.

١٠ - «كتاب إيضاح البرهان في الرد علىٰ أهل الزيغ والطغيان» وقد جعله الأشعري مدخلاً إلىٰ الموجز، وتكلم فيه في الفنون التي تكلم فيها في الموجز.

١١ - «اللمع في الرد علىٰ أهل الزيغ والبدع»[1].

١٢ - «كتاب اللمع الكبير» وقد جعله مدخلاً لكتابه «إيضاح البرهان» وقد سبق ذكره.

١٣ - «اللمع الصغير» جعله مدخلاً إلىٰ اللمع الكبير.

١٤ - «الشرح والتفصيل في الرد علىٰ أهل الإفك والتضليل» وقد جعله مقدمة للمبتدئين ينظر فيها قبل كتاب اللمع.

---

(١) هذا الكتاب مطبوع. وقد قام بنشره المستشرق مكارثي، كما قام بطبعه مرة أخرى الدكتور حمودة غرابة بعد أن قدم له وعلق عليه.

١٥ ـ «كتاب مختصر جعله مدخلاً للشرح والتفصيل».

١٦ ـ كتاب في نقض كتاب الأصول للجبائي».
يقول عنه الأشعري: «كشفنا عن تمويهه في سائر الأبواب التي تكلم فيها من أصول المعتزلة، وذكرنا ما للمعتزلة من الحجج في ذلك بما لم يأت به، ونقضناه بحجج الله الزاهرة وبراهينه الباهرة»[1].

١٧ ـ كتاب كبير نقض فيه الكتاب المعروف: «نقض تأويل الأدلة» للبلخي في أصول المعتزلة، أبان عن الشبهة التي أوردها البلخي بأدلة الله الواضحة وأعلامه اللائحة.

١٨ ـ كتاب «مقالات المسلمين» استوعب فيه جميع اختلافات ومقالات المسلمين[2].

١٩ ـ كتاب «جمل المقالات» ذكر فيه جمل مقالات الملحدين وجمل أقاويل الموحدين.

٢٠ ـ كتاب «الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات» يقول عنه الأشعري نفسه: «نقضنا فيه كتاباً كنا ألفناه قديماً فيها على تصحيح مذهب المعتزلة، لم يؤلف لهم مثله، ثم أبان الله سبحانه لنا الحق، فرجعنا عنه فنقضناه وأوضحنا بطلانه»[3].

٢١ ـ كتاب في الرد على ابن الراوندي في الصفات والقرآن.

٢٢ ـ كتاب نقض فيه كتاباً للخالدي الذي ألفه في القرآن والصفات قبل أن يؤلف كتابه الملقب بـ «الملخص».

٢٣ ـ كتاب «القاطع لكتاب الخالدي في الإرادة» نقض به كتاب الخالدي في إثبات حدث إرادة الله تعالى، وأنه شاء ما لم يكن، وكان ما لم يشأ، وأوضح بطلان قول الخالدي في ذلك.

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٣٠).
(٢) وهذا الكتاب مطبوع باسم «مقالات الإسلاميين» بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
(٣) تبيين كذب المفتري (ص ١٣١)

٢٤ - كتاب «نقض المهذب للخالدي».
ذكر الأشعري أن الخالدي كتب مؤلفاً في المقالات، فَرَدَّ الأشعري عليه، ونقض ما كتب الخالدي بهذا الكتاب المسمىٰ «الدافع للمهذب»[١].

٢٥ - كتاب «نقض فيه كتاب الخالدي الذي نفىٰ رؤية الله تعالىٰ بالأبصار».

٢٦ - كتاب «نقض فيه ما كتبه الخالدي الذي نفىٰ خلق الأعمال وتقديرها عن رب العالمين».

٢٧ - كتاب «نقض به علىٰ البلخي كتاباً ذكر أنه أصلح به غلط ابن الراوندي في الجدل».

٢٨ - كتاب «في الاستشهاد» بَيَّنَ الأشعري فيه كيف أنه ألزم المعتزلة علىٰ محجتهم في الاستشهاد بالشاهد علىٰ الغائب، أن يثبتوا علم الله وقدرته وسائر صفاته.

٢٩ - كتاب «المختصر في التوحيد والقدر» تكلم فيه عن إثبات رؤية الله بالأبصار، وسائر الصفات، وأبواب القدر كلها.

يقول الأشعري رحمه الله: «وسألناهم فيه عن مسائل كثيرة، ضاقوا بالجواب عنها ذرعاً، ولم يجدوا إلى الإنفكاك عنها بحجة سبيلاً»[٢].

٣٠ - كتاب «في شرح أدب الجدل».
٣١ - كتاب «الطبريين» اشتمل علىٰ فنون كثيرة من المسائل.
٣٢ - جواب الخراسانية.
٣٣ - كتاب الأرجانيين.
٣٤ - جواب السيرافيين.
٣٥ - جواب العمانيين.
٣٦ - جواب الجرجانيين.

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٣١).
(٢) تبيين كذب المفتري (ص ١٣١ - ١٣٢).

٣٧ - جواب الدمشقيين.
٣٨ - جواب الواسطيين.
٣٩ - جوابات الرامهرمزيين.
٤٠ - «المسائل المنثورة البغدادية»، ذكر فيه المجالس التي دارت بينه وبين أعلام المعتزلة.
٤١ - «المنتخل» في المسائل المنثورات البصريات.
٤٢ - الفنون في الرد علىٰ الملحدين.
٤٣ - النوادر في دقائق الكلام.
٤٤ - الإدراك في فنون لطائف الكلام.
٤٥ - نقض الكتاب المعروف بـ «اللطيف» للإسكافي.
٤٦ - كتاب نقض فيه كلام عباد بن سليمان في دقائق الكلام.
٤٧ - كتاب نقض فيه كتاباً لعلي بن عيسى.
٤٨ - «المختزن» في ضروب من الكلام.
٤٩ - كتاب في باب «شيء» وأن الأشياء هي الأشياء وإن عدمت.
قال عنه الأشعري: «رجعنا عنه ونقضناه، فمن وقع إليه فلا يعولن عليه»[١].
٥٠ - كتاب الاجتهاد في الأحكام.
٥١ - كتاب في أن القياس يخص ظاهر القرآن.
٥٢ - كتاب في المعارف.
٥٣ - كتاب في الأخبار وتخصيصها.
٥٤ - كتاب «الفنون في أبواب من الكلام». وهو غير كتاب الفنون الذي ألفه في الرد علىٰ الملحدين الذي سبق ذكره.
٥٥ - «جواب المصريين» ذكر فيه كثيراً من أبواب الكلام.
٥٦ - كتاب في أن العجز عن الشيء غير العجز عن ضده، وأن العجز لا يكون إلا من الموجود.

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٣٣).

٥٧ ـ المسائل علىٰ أهل التثنية.

٥٨ ـ كتاب ذكر فيه جميع اعتراض الدهريين في قول الموحدين.

قال عنه الأشعري، «...وهو موسوم بالاستقصاء لجميع اعتراض الدهريين وسائر أصناف الملحدين»[1].

٥٩ ـ كتاب في الرد علىٰ الدهريين.

٦٠ ـ كتاب نقض به اعتراضاً علىٰ داود بن علي الأصبهاني في مسألة الاعتقاد.

٦١ ـ كتاب «تفسير القرآن» رد فيه علىٰ الجبائي والبلخي ما حَرَّفا من تأويله.

٦٢ ـ كتاب زيادات النوادر.

٦٣ ـ كتاب جوابات أهل فارس.

٦٤ ـ كتاب أخبر فيه عن اعتلال من زعم أن الموات يفعل بطبعه.

٦٥ ـ كتاب في الرؤية نقض به اعتراضات الجبائي.

٦٦ ـ كتاب الجوهر في الرد على أهل الزيغ والمنكر.

٦٧ ـ كتاب أجاب فيه عن مسائل الجبائي في النظر والاستدلال وشرائطه.

٦٨ ـ كتاب أدب الجدل.

٦٩ ـ كتاب في مقالات الفلاسفة خاصة.

٧٠ ـ كتاب في الرد علىٰ الفلاسفة.

هذه هي أسماء الكتب التي ذكرها الأشعري في كتابه «العمد في الرؤية» ونقلها أبو بكر بن فورك الذي قال بعد سرده لها: «هذا هو أسامي كتبه التي ألفها إلىٰ سنة عشرين وثلثمائة سوىٰ أماليه علىٰ الناس، والجوابات المتفرقة عن المسائل الواردة من الجهات المختلفات، وسوىٰ ما أملاه علىٰ الناس مما لم يذكر أساميه هٰهنا. وقد عاش بعد ذلك إلىٰ سنة أربع وعشرين وثلثمائة، وصنف كتباً»[2].

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٣٣).

(٢) تبيين كذب المفتري (ص ١٣٥).

ثم ذكر هذه الكتب وهي:

٧١ - كتاب نقض المضاهاة على الإسكافي في التسمية بالقدر.

٧٣ - كتاب العمد في الرؤية.

٧٣ - كتاب في معلومات الله ومقدوراته وهو رد على أبي الهذيل.

٧٤ - كتاب في الرد علىٰ حارث الوراق في الصفات فيما نقض علىٰ ابن الراوندي.

٧٥ - كتاب في الرد على أهل التناسخ.

٧٦ - كتاب في الرد في الحركات علىٰ أبي الهذيل.

٧٧ - كتاب في الرد على أهل المنطق.

٧٨ - كتاب في أفعال النبي ﷺ.

٧٩ - كتاب في الوقوف والعموم.

٨٠ - كتاب في متشابه القرآن.

٨١ - نقض كتاب «التاج» علىٰ ابن الراوندي.

٨٢ - كتاب في بيان مذهب النصارىٰ.

٨٣ - كتاب في الإمامة.

٨٤ - «كتاب فيه الكلام علىٰ النصارىٰ» مما يحتج به عليهم من سائر الكتب التي يعترفون بها.

٨٥ - كتاب في النقض علىٰ ابن الراوندي في إبطال التواتر.

٨٦ - كتاب في حكايات مذاهب المجسمة وما يحتجون به.

٨٧ - كتاب نقض شرح الكتاب.

٨٨ - كتاب في مسائل جرت بينه وبين أبي الفرج المالكي في علة الخمر.

٨٩ - نقض كتاب «الآثار العلوية» على أرسطو طاليس.

٩٠ - كتاب في جوابات مسائل لأبي هاشم، استملاها ابن أبي صالح الطبري.

٩١ - كتاب الاحتجاج.

٩٢ - كتاب الأخبار الذي أملاه علىٰ البرهان.

٩٣ ـ كتاب في الرد علىٰ النبوة.
٩٤ ـ كتاب في الإمامة وهذا كتاب آخر مفرد في الإمامة.

هذه أسماء الكتب التي ذكرها ابنُ فورك، مستدركاً ما لم يذكره الأشعري نفسه في كتابه «العمد في الرؤية».

وقد استدرك ابنُ عساكر كتباً لم يذكرها ابن فورك وهي:
٩٥ ـ رسالة الحث علىٰ البحث.
٩٦ ـ رسالة في الإيمان.
٩٧ ـ جواب مسائل كتب بها أهل الثغر في تبيين ما سألوه عنه من مذهب أهل الحق(١).

هذه هي أسماء الكتب التي ذكرها الأشعري وابنُ فورك وابنُ عساكر. ومما يلاحظ في هٰذه الكتب أنها خلت من ذكر أعظم كتاب للأشعري الذي ألفه سالكاً فيه طريقة السلف الصالح في إثبات الصفات الإلٰهية من غير تمثيل ولا تأويل، وموضحاً فيه أنه علىٰ مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وهذا الكتاب هو:

٩٨ ـ كتاب «الإبانة عن أصول الديانة».

فقد أثبته ابنُ عساكر للأشعري في التبيين، ونقل منه ما يبين صحة عقيدة الأشعري(٢).

وسوف نذكر بالتفصيل صحةَ نسبة هٰذا الكتاب للأشعري بالنقول المستفيضة عن الأئمة الذين أثبتوا هذا الكتاب للأشعري.

وهناك رسالة مطبوعة ومنسوبة للأشعري بعنوان «رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام».

---

(١) هذه الرسالة حققها الباحث عبدالله شاكر الجنيدي، ونال بها شهادة الماجستير من الجامعة الإسلامية.
(٢) انظر تبيين كذب المفتري (ص ١٥٢).

وهذه الرسالة لم يرد لها ذكرٌ في القائمة التي ذكرناها.

وبغض النظر عن عدم ذكرها في القائمة، فإنه لم يرد من طريق صحيحٍ ولا حتى ضعيفٍ إثباتُ هذه الرسالة للأشعري، وعلىٰ فرض ثبوتها له فهي لا شك من مؤلفاته التي ألفها وهو يعيش علىٰ مذهب المعتزلة.

وقد توصل الدكتور عبدالرحمن بدوي بعد أن ناقش موضوع الرسالة، وقارن بين أسلوب الكتابة الذي كتبت به هذه الرسالة، وبين أسلوب الأشعري، إلىٰ أنها منسوبة للأشعري وليست له، فكان مما قال ذاكراً النتيجة التي توصل إليها: «لهٰذا نرجح أن تكون من وضع أشعريٍ متأخرٍ بوقتٍ غير طويل عن زمان الأشعري»[1].

وهٰذا ما ذهبت إليه الدكتورة فوقية حسين، وذكرت أنها من الكتب المنسوبة للأشعري[2].

(١) مذاهب الإسلاميين (ص ٥٢١).
(٢) انظر مقدمة تحقيقها لكتاب الإبانة (ص ٧٤).

د ـ شيوخه وتلاميذه

لقد عاش الأشعري فترةً طويلةً علىٰ الاعتزال، وفي هذه الفترة تلقىٰ علوم الجدل والفلسفة والكلام علىٰ يد أبي علي الجبائي، بحكم أنه كان زوجاً لأمه.

وبعد أن فارق الأشعري الاعتزال الذي بقي فيه إلىٰ أن بلغ أربعين سنةً من عمره، التقىٰ علماءَ من أهل السنة والجماعة، وأخذ عنهم وروىٰ بالإسناد كثيراً عنهم في كتبه.

والذين تتلمذ عليهم الأشعري وأخذ عنهم ذكرهم الأئمة في كتبهم كالحافظ الذهبي والسبكي وابن كثير وغيرهم[1].

ومن هؤلاء:

١ ـ أبو علي الجبائي (ت ٣٠٣هـ):

واسمه: محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعروف بالجبائي. كان من كبار المعتزلة في البصرة، وإماماً في علم الكلام. وأخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبدالله الشحام البصري الذي كان رئيساً للمعتزلة في البصرة.

والجبائي له مؤلفات كثيرة في الاعتزال ومقالاته.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٥ ص ٨٦)، وطبقات الشافعية للسبكي (ج ٣ ص ٣٥٤) والبداية والنهاية لابن كثير (ج ١١ ص ١٨٧).

وكان شيخاً للأشعري، أخذ عنه علم الجدل والنظر والكلام[1].

٢ ـ أبو خليفة الجمحي (ت ٣٠٥هـ):

الإمام العلامة المحدث الأديب الأخباري، شيخ الوقت، أبو خليفة، الفضل بن الحباب، واسم الحباب: عمرو بن محمد بن شعيب، الجمحي البصري الأعمىٰ.

ولد سنة ست ومائتين، وعُني بهذا الشأن وهو مراهق، فسمع في سنة عشرين ومائتين، ولقي الأعلام، وكتب علماً جماً.

وكان ثقةً صادقاً مأموناً، أديباً فصيحاً مفوهاً، رحل إليه من الآفاق. حدث عنه: أبو عوانة في «صحيحه» وأبو حاتم بن حبَّان، وأبو بكر الإسماعيلي وخلق كثير[2].

٣ ـ ابن سريج (ت ٣٠٦هـ):

الإمام شيخ الإسلام فقيه العراقِيِّين، أبو العباس، أحمد بن عمر بن سريج البغدادي القاضي الشافعي، صاحب المصنفات. ولد سنة بضع وأربعين ومائتين.

سمع في الحداثة، ولحق أصحاب سفيان بن عيينة ووكيع.

فسمع من: الحسن بن محمد الزعفراني ـ تلميذ الشافعي ـ وأبي داؤد السجستاني، وعبيد بن شريك البزار وطبقتهم.

قال ابن سريج رحمه الله: قل ما رأيت من المتفقهة من اشتغل بالكلام فأفلح[3].

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٤ ص ١٨٣). وشذرات الذهب لابن العماد (ج ٢ ص ٢٤١).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء (ج ١٤ ص ٧)، والبداية والنهاية (ج ١١ ص ١٢٨).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (ج ١٤ ص ٢٠١)، وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٢٤٧).

٤ ـ زكريا الساجي (ت ٣٠٧هـ):

الإمام الثبت الحافظ محدث البصرة وشيخها ومفتيها، أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبدالرحمن الضبي البصري.

وكان من أئمة الحديث، حدث عنه: أبو بكر الإسماعيلي، وأبو القاسم الطبراني، وأبو الشيخ بن حيان، وخلق سواهم.

وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف[1].

٥ ـ أبو إسحاق المروزي (ت ٣٤٠هـ):

الإمام الكبير شيخ الشافعية، وفقيه بغداد، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي، صاحب أبي العباس بن سريج وأكبر تلامذته.

اشتغل ببغداد دهراً وصنف التصانيف، وشرح مذهب الشافعي، ولخصه، وانتهت إليه رئاسة المذهب[2].

قال ابن عساكر عن الأشعري وصلته بالمروزي: «وكان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه من جامع المنصور»[3].

أما تلاميذه:

فقد اهتم ابنُ عساكر بذكرهم والإشادة بهم، وما نجده عند ابن عساكر في شأن تلاميذ الأشعري، لم نجده عند غيره من المؤرخين الذين ترجموا للأشعري.

وابن عساكر قام بتقسيمهم إلىٰ خمس طبقات، وجعل الطبقة الأولى هي التي أدركته وأخذت عنه، ثم ذكر الطبقة الثانية التي أخذت عنه التلاميذ

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (ج ١٤ ص ١٩٧) وشذرات الذهب (ج ٢ ص ٢٥٠).
(٢) انظر المصدرين السابقين (ج ١٥ ص ٤٢٩) و(ج ٢ ص ٣٥٥).
(٣) تبيين كذب المفتري (ص ٣٥) والبداية والنهاية (ج ١١، ص ١٨٧).

الذين عاصروه، وهكذا إلىٰ أن وصل إلى الطبقة الخامسة[1].

وقبل الشروع في ذكر أسماء تلاميذه، ينبغي التنبيه إلى أن هؤلاء التلاميذ في الطبقات الخمس كلها، ليسوا قائلين بمذهب الأشعري الذي ختم الله به عمره، وأراد أن يلقى الله عليه، وهو المذهب السلفي الذي استقر عليه أمر الأشعري، كما سنوضحه بالتفصيل إن شاء الله. وإنما أخذوا ببعض أقواله التي قالها فور خروجه من الاعتزال، وهي المرحلة الثانية من مراحل حياته.

وسأكتفي بذكر أسماء الطبقة الأولى التي أخذت عن الأشعري، مرتبةً كما ذكرها ابن عساكر وهي كما يلي:

١ - أبو عبدالله بن مجاهد البصري.
٢ - أبو الحسن الباهلي البصري.
٣ - أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي.
٤ - أبو محمد الطبري المعروف بالعراقي.
٥ - أبو بكر القفال الشاشي الفقيه.
٦ - أبو سهل الصعلوكي النيسابوري.
٧ - أبو زيد المروزي.
٨ - أبو عبدالله بن خفيف الشيرازي.
٩ - أبو بكر الجرجاني المعروف بالإسماعيلي.
١٠ - أبو الحسن عبد العزيز بن محمد بن إسحاق الطبري.
١١ - أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري.
١٢ - أبو جعفر السلمي البغدادي.
١٣ - أبو عبدالله الأصبهاني.
١٤ - أبو محمد القرشي الزهري.
١٥ - أبو بكر البخاري المعروف بالأودني الفقيه.

---

(١) انظر تبيين كذب المفتري (ص ١٧٧ - ٢٢٨).

١٦ - أبو منصور بن حمشاد النيسابوري.
١٧ - أبو الحسين بن سمعون البغدادي.
١٨ - أبو عبد الرحمن الشروطي الجرجاني.
١٩ - أبو علي الفقيه السرخسي.

د ـ المراحل والأطوار التي مر بها الأشعري

إن البيئة التي يعيش فيها أي إنسان لها أهميتها القصوىٰ في تكوين شخصيته وتكوين مكانته العلمية بين أوساط الناس جميعاً، وكذلك الحال هنا في البيئة التي عاصرها الأشعري وعاش فيها، فقد وجدت مزدحمةً بالمذاهب والأفكار والعقائد.

هذا الأمر الذي دفعه إلىٰ أن ينتقل من مذهبٍ إلىٰ مذهبٍ ومن عقيدةٍ إلىٰ أخرى.

ونظراً لهذه الظروف المحيطة بهذه البيئة التي عاشها الأشعري، نراه قد مر بأطوارٍ ثلاثة في حياته الاعتقادية.

الطور الأول:

تكاد أن تجمع كل المصادر التي ترجمت للأشعري، على أنه عاش طوره الأول في ظل المعتزلة والاعتزال، وأنه بقي فيه ملازماً شيخه وزوج أمه الجبائي حتى بلغ أربعين سنةً من عمره.

وأقرب المصادر عهداً بزمن الأشعري كتاب «الفهرست» لابن النديم (ت ٣٨٥) فقد قال فيه موضحاً ما كان عليه الأشعري. «. . . وكان أولاً معتزلياً، ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة. رقى كرسياً ونادىٰ بأعلىٰ صوته: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أُعرفه نفسي: أنا فلان ابن فلان، كنتُ أقول بخلق القرآن، وأن الله لا يُرىٰ بالأبصار، وأن أفعال الشر أنا أفعلها. وأنا تائب مقلع معتقد للرد

على المعتزلة. فخرج بفضائحهم ومعايبهم[1].

هذا ما ذكره ابن النديم، وهو يدل علىٰ ما كان عليه الأشعري حتى بلغ أربعين سنةً من عمره.

ويذكر لنا أيضاً ابنُ عساكر روايةً أخرىٰ في خروج أبي الحسن على المعتزلة، فيقول: «وذكر أبو القاسم الحجاج بن محمد الطرابلسي من أهل طرابلس المغرب قال: سألت أبا بكر إسماعيل بن أبي محمد بن إسحق الأزدي المعروف بابن عزرة عن أبي الحسن الأشعري، فقلتُ له: قيل لي عنه أنه كان معتزلياً وأنه لما رجع عن ذلك أبقى للمعتزلة نكتاً لم ينقضها.

فقال لي: الأشعري شيخنا وإمامنا ومَنْ عليه معولنا، قام علىٰ مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر الناس إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حقٌ على باطلٍ ولا باطلٌ علىٰ حق، فاستهدَيْت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقادٍ ما أودعته في كتبي هذه وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوبٍ كان عليه ورمىٰ به[2].

وذكر ابن عساكر رواياتٍ كثيرة في خروج الأشعري على الاعتزال.

وعلىٰ هذا سار جميعُ مَنْ ترجم للأشعري من العلماء، ذاكرين هٰذا الطور الذي عاشه مع المعتزلة، وصار لهم إماماً ومرجعاً، ولكن الله تعالىٰ مَنَّ عليه بالهداية والرشاد، فألهمه الحق والسداد، فخرج عليهم وأظهر فضائحهم[3].

---

(١) الفهرست (ص ٢٥٧).

(٢) تبيين كذب المفتري (ص ٣٩).

(٣) انظر طبقات الشافعية للسبكي (ج ٢ ص ٢٤٦). ومختصر العلو للذهبي (ص ٢٤١). والبداية والنهاية (ج ١١ ص ١٨٧) والخطط للمقريزي (ج ٣ ص ٣٠٨).

أما عن الأسباب التي دعت الأشعري إلى الخروج على المعتزلة والرد عليهم، فقد ذكر ابن عساكر وغيره سببين لهذا الخروج:

أولهما: الرؤية التي رأى فيها النبي ﷺ، يأمره فيها باتباع الكتاب والسنة. وقد ذكرها ابن عساكر بطولها في التبيين[1].

وقال الأشعري عن نفسه: «كان الداعي إلى رجوعي عن الاعتزال وإلى النظر في أدلتهم واستخراج فسادهم أني رأيت رسول الله ﷺ في منامي في أول شهر رمضان...»[2].

ثانيهما: الأسئلة التي كان يوردها على شيخه وأساتذته ولم يجد لها عندهم جواباً. قال ابن عساكر: «فأما سبب رجوع أبي الحسن عما كان عليه وتبريه مما كان يدعو إليه، فأخبرني الشيخ أبو المظفر أحمد بن أبي العباس الحسن بن محمد البسطامي الشعيري ببسطام، قال: أخبرنا جدي لأمي الشيخ الزاهد أبو الفضل محمد بن علي بن أحمد بن الحسين بن سهل السهلكي البسطامي، قال: سمعت محمد بن علي بن الحسين الواعظ يقول: سمعت أحمد بن الحسين المتكلم قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: إن الشيخ أبا الحسن لما تبحر في كلام الاعتزال، وبلغ غايةَ كان يورد الأسئلة علىٰ أستاذيه في الدرس ولا يجد فيها جواباً شافياً فتحير في ذلك...»[3].

ولهذين السببين أو لغيرهما، ترك الأشعري الاعتزال، وكَرَّسَ وقته وجهده للرد عليهم بعد خروجه عنهم، وعزم على إظهار فضائحهم وزيف عقائدهم، وإبطال تأويلاتهم وتعطيلها.

---

(١) ص ٤٠ ـ ٤١.

(٢) تبيين كذب المفتري (ص ٤٢).

(٣) تبين كذب المفتري (ص ٣٨).

الطور الثاني:

بعد خروجه على المعتزلة، سلك طريق عبدالله بن سعيد بن كلاب البصري[1].

وبدأ يرد علىٰ المعتزلة معتمداً على القوانين والقضايا التي قالها عبدالله بن كلاب.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «وكان أبو الحسن الأشعري لما رجع من الاعتزال سلك طريق أبي محمد بن كلاب»[2].

وذكر الذهبي أن الأشعري لحق بالكلابية وسلك طريقهم[3]. وكذلك قال المقريزي وغيره[4].

وهذا الطور يمثله كتاب «اللمع في الرد علىٰ أهل الزيغ والبدع»، بدليل أن الأشعري، قام بإثبات بعض الصفات التي تُنكرها المعتزلة، ودخل معهم في جدالٍ يشوبه الهجوم الحاد علىٰ ما يعتقدونه. ونراه يذكر أيضاً بعض ما ذهب إليه ابن كلاب[5].

وأيضاً هذا الكتاب من الكتب التي ألقاها الأشعري علىٰ الناس في المسجد الجامع بالبصرة عندما تبرأ من المعتزلة والاعتزال.

يقول ابن عساكر بعد ذكره لرواية خروج الأشعري من المعتزلة: «ودَفَعَ

---

(١) قال الذهبي في ترجمته من السير (١١: ١٧٤): «رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، أبو محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب القطان البصري صاحب التصانيف في الرد علىٰ المعتزلة، وربما وافقهم... والرجل أقرب المتكلمين إلىٰ السنة، بل هو في مناظريهم. ولابن كلاب كتاب «الصفات» وكتاب «خلق الأفعال» وكتاب «الرد على المعتزلة».

(٢) مجموع الفتاوى (ج ٥ ص ٥٥٦) وانظر أيضاً (ج ٢ ص ١٠ وج ٣ ص ١٠٣).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (ج ١١ ص ٢٢٨).

(٤) انظر الخطط (ج ٣ ص ٣٠٨) وانظر جلاء العينين للآلوسي (ص ٢١٥) دار الكتب العلمية، وغاية الأماني في الرد على النبهاني لأبي المعالي الآلوسي (ج ١ ص ٣٠٨)، نشر جامعة العلوم الأثرية. باكستان.

(٥) انظر اللمع للأشعري بتحقيق الدكتور حمودة غرابة (ص ٤٣ - ٤٤).

الكتب إلىٰ الناس، فمنها «كتاب اللمع»، وكتابٌ أظهر فيه عوار المعتزلة، سماه بكتاب «كشف الأسرار وهتك الأستار» وغيرها. . .»[1].

أما عن طريقة ابن كلاب يقول ابن تيمية رحمه الله: «محمد بن عبدالله بن سعيد بن كلاب البصري: الذي صنف مصنفات رَدَّ فيها علىٰ الجهمية والمعتزلة وغيرهم. وهو من متكلمة الصفاتية. وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسُنة، لكن فيها نوعٌ من البدعة، لكونه أَثْبَتَ قيام الصفات بذات الله، ولم يثبت قيام الأمور الاختيارية بذاته، ولكن له في الرد علىٰ الجهمية ـ نفاة الصفات والعلو ـ من الدلائل والحجج وبسط القول ما بين به فضله في هذا الباب، وإفساده لمذاهب نفاة الصفات بأنواعٍ من الأدلة والخطاب.

وصار ما ذكره معونةً ونصيراً وتخليصاً من شبههم لكثير من أولي الألباب، حتى صار قدوةً وإماماً، لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات وناقضوا نفاتها، وإن كانوا قد شركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فسادَ بعض ما قالوه من جهة المعقول، ومخالفته لسنة الرسول»[2].

فابن كلاب كان يرد علىٰ المعتزلة والجهمية ومَنْ تبعهم بطريقةٍ يميل فيها إلى مذهب أهل السنة والحديث، ولكن لما كَثُرَ جدالُه معهم ورده عليهم، ومناظرته لهم بالطرق القياسية، سَلَّمَ لهم أصولاً هم واضعوها، فمِنْ هنا دخلت البدعة في طريقته.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «. . . ولكن لما حدّث أبو محمد بن كلاب، وناظر المعتزلة بطريق قياسية، سَلَّمَ لهم فيها أصولاً هم واضعوها ـ من امتناع تكلمه تعالىٰ بالحروف، وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك، لأن ذلك يستلزم أنه لم

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (ج ١٢ ص ٣٦٦).

يحل من الحوادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادثٌ ـ اضطره ذلك إلىٰ أن يقـول: ليس كلام الله إلا مجـرد المعنىٰ، وأن الحروف ليست من كـلام الله، وتابعه علىٰ ذلك أبو الحسن الأشعري[1].

فالأشعري وجد أن ابن كلاب أكثر الرد على المعتزلة وأظهـر فضائحهم وألزمهم أشياء كثيرة، فتابعه على ما قال بغيةَ أن يرد هو أيضـاً علىٰ المعتزلـة. لكن فـات الأشعري أن ابن كـلاب وإن رَدَّ علىٰ المعتـزلـة وهتـك أستـارهم، وأثبت لله تعالىٰ الصفات اللازمة، إلا أنه وافقهم في إنكار الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالىٰ وقدرته. فنفىٰ كما نفت المعتزلة أن يتكلم الله تعالى بمشيئته وقدرته. كما نفىٰ أيضاً الصفات الاختيارية مثل: الرضى، والغضب، والبغض والسخط. . . وغيرها.

فابن كلاب وافق السلف في إثباته الصفـات اللازمـة به تعـالىٰ كالحيـاة والعلم والقدرة، ووافق المعتزلةَ في إنكاره كل ما يقوم بذاته تعالىٰ ممـا يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها»[2].

وعلى هـذا يكون ابنُ كـلاب قد أحـدث مذهبـاً جديـداً، فيه مـا يوافق السلف، وفيه ما يوافق المعتزلة والجهمية.

وفي هـذا يقول ابن تيميـة رحمه الله: «كـان الناس قبـل أبي محمد بن كلاب صنفين:

فـأهـل السنـة والجمـاعـة يُثبتـون مـا يقـوم بـالله تعـالى من الصفـات والأفعال التي يشاؤوها ويقدر عليها.

والجهمية من المعتزلة وغيرهم تُنكر هذا وهذا.

فأثبت ابنُ كلاب قيام الصفات الـلازمة بـه، ونفى أن يقوم بـه ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٣٧٦).

(٢) انظر المصدر السابق (ج ١٣ ص ١٣١ ـ ١٥٤).

ووافقه على ذلك أبو العباس القلانسي وأبو الحسن الأشعري»[1].

وهذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب، دفع الإمام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السلف إلىٰ أن يحذروا منه ومن أتباعه الكلابية[2].

وطريقة ابن كلاب التي وافقه الأشعري عليها، ونسج على قوانينه في هذا الطور تتلخص بالآتي:

١ ـ إثبات الصفات اللازمة التي تقوم بذاته تعالى، كالعلم والقدرة...

٢ ـ نفي الصفات الاختيارية التي تتعلق بمشيئته تعالىٰ وقدرته. مثل كونه تعالىٰ يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلامه تعالىٰ قائمٌ بذاته أزلاً وأبداً.

٣ ـ كلام الله تعالىٰ معنى قائم بذاته، هو الأمر بكل مأمور أمر به، والخبر عن كل مخبرٍ أخبر الله عنه، إن عَبَّر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراةً، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً.

٤ ـ إن القرآن العربي لم يتكلم الله به، وإنما هو من كلام جبريل وغيره، عبر به عن المعنىٰ القائم بذاته تعالى.

٥ ـ نفي أن يكون الله تعالىٰ يحب ويرضىٰ عن المؤمنين بعد إيمانهم، ويغضب ويبغض الكافرين بعد كفرهم[3].

وهذه الطريقة التي أحدثها ابن كلاب البصري لم يسبقه إليها غيره، ووافقه عليها الأشعري ورَدَّ من خلالها علىٰ الجهمية والمعتزلة.

وقبل الإنتقال إلى الطور الثالث، نُريد أن نوضح بإيجاز مذهب السلف

---

(١) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول لابن تيمية (ج ٢ ص ٤ ـ ٥)، على هامش كتاب منهاج السنة النبوية، نشر مكتبة الرياض.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٣٦٨).

(٣) انظر عن طريقة ابن كلاب وموافقة الأشعري لها في هذا الطور: مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٤٩ و١٦٥ و٣٧٦ و٥٨٣ وج ١٣ ص ١٣١). وانظر مقالات الإسلاميين للأشعري عن طريقة ابن كلاب، (ج ١ ص ٢٤٩).

الصالح في الصفات التي تتعلق بمشيئة الله تعالىٰ وقدرته: ـ يثبت السلف الصالح لله تعالىٰ كل الصفات التي أثبتها الله تعالىٰ لنفسه، والتي أثبتها له نبيه ﷺ من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تحريفٍ ولا تأويل. ويقولون: إن الله تعالىٰ مستوٍ علىٰ عرشهِ بائنٌ من خلقه، ويُثبتون له تعالىٰ صفةَ النزول والإتيان والمجيء كما أخبر تعالىٰ، وكما أخبر رسوله ﷺ.

ويُثبتون له صفة الغضب والرضىٰ والمحبة والبغض والسخط، والقبض والطي ونحو ذلك مما وصف الله تعالىٰ به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ.

ويقولون: إن الله تعالىٰ يتكلم، وكلامه بمشيئته وقدرته، وكلامه ليس بمخلوق، بل كلامه صفةٌ له قائمة بذاته، وإن كان مع ذلك حادث الآحاد قديم النوع ـ بمعنىٰ أنه لم يزل متكلماً إذا شاء ـ فإن صفة الكلام صفة كمال، ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، وكلامه بحرف وصوت يسمعه مَنْ بَعُد كما يسمعه مَنْ قَرُبْ.

وإن كنا لا ندرك كيفية الصفات، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا، حسب ما خاطبنا الله تعالىٰ به من الكلام العربي، كما قال الإمام مالك، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ استوىٰ عَلىٰ العَرْشِ**﴾ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

وقال الإمام أحمد وغيرُه من السلف: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه.

وهٰذا هو مذهب السلف جميعاً أمثال الإمام أحمد والبخاري وابن خزيمة والدارمي وابن منده وابن المبارك وسائر أصحاب الحديث[1].

الطور الثالث:

مكث الأشعري زمناً علىٰ طريقة ابن كلاب، يرد علىٰ المعتزلة وغيرهم

---

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية (ج ٦ ص ٢١٨ وج ١٢ ص ٢٤٣ و٣٧٢). وانظر أيضاً شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ١٢٧) طبع المكتب الإسلامي.

من خلال ما اعتقده في هذه الطريقة.

ولكن الله تعالىٰ مَنَّ عليه بالحق فنوَّرَ بصيرته، وذلك بالرجوع التام إلىٰ مذهب أهل السنة والجماعة، والتزام طريقتهم واتباع منهجهم ومسلكهم.

وكان هٰذا هو الذي أراد أن يلقىٰ الله تعالىٰ عليه، متبرئاً من المذاهب التي عاشها، وداعياً إلىٰ طريقة السلف ومذهبهم، ومنتسباً إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وهذا الطور نظراً لأهميته في المجال الاعتقادي عند كثيرٍ من الناس، فقد أثبتناه له ـ بعد توفيق الله تعالى ـ بثلاثة وجوه: ـ

الوجه الأول: «أقوال العلماء»:

لقد شهد كثيرٌ من العلماء والأئمة برجوع الأشعري الرجوع التام إلىٰ مذهب السلف الصالح. وهؤلاء الأئمة ما قالوا هذه الشهادة إلا بعد أن سبروا حياته وعرفوا ما كان عليه وما استقر عليه. ومن هؤلاء العلماء:

١ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1].

٢ ـ تلميذه الحافظ ابن القيم[2].

٣ ـ الحافظ الذهبي[3].

٤ ـ الحافظ ابن كثير، وقد قال رحمه الله: «ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

الحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبع: وهي الحياة والعلم

---

(١) انظر موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (ج ٢ ص ١٠)، ومجموع الفتاوى (ج ٦ ص ٥٣).

(٢) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١١٢).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (ج ١٥ ص ٨٦). قال الذهبي فيه: «رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات وقال فيها: تُمَرُّ كما جاءت. ثم قال: وبذلك أقول وبه أدين ولا تؤوَّل».

والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

الحال الثالث: إثباتُ ذلك كله من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ جرياً على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخراً»[1].

٥ - الشيخ نعمان الآلوسي[2].

٦ - الشيخ أبو المعالي محمود الآلوسي[3].

٧ - العلامة محب الدين الخطيب. وقال رحمه الله في بيان أطوار الأشعري ورجوعه التام إلىٰ مذهب السلف: -

«أبو الحسن الأشعري علي بن إسماعيل من كبار أئمة الكلام في الإسلام. نشأ أول أمره علىٰ الاعتزال، وتتلمذ فيه على الجبائي. ثم أيقظ الله بصيرتَه وهو في منتصف عمره وبداية نضجه، فأعلن رجوعه عن ضلالة الاعتزال.

ومضى في هذا الطور نشيطاً يؤلف ويناظر ويُلقي الدروس في الرد على المعتزلة، سالكاً طريقاً وسطاً بين طريقة الجدل والتأويل، وطريقة السلف.

ثم محض طريقته وأخلصها لله بالرجوع الكامل إلى طريقة السلف في إثبات كل ما ثبت بالنص من أمور الغيب التي أوجب الله على عباده إخلاص الإيمان بها. وكتبَ بذلك كتبه الأخيرة، ومنها في أيدي الناس كتاب «الإبانة»، وقد نص مترجموه على أنها آخر كتبه، وهٰذا ما أراد أن يلقى الله عليه. وكل ما خالف ذلك مما يُنسب إليه، أو صارت تقول به الأشعرية، فإن الأشعري رجع عنه إلىٰ ما في كتاب الإبانة وأمثاله»[4].

---

(١) اتحاف السادة المتقين للمرتضى الزبيدي (ج ٢ ص ٥) نشر دار الفكر.

(٢) انظر جلاء العينين (ص ٢١٣).

(٣) انظر غاية الأماني في الرد على النبهاني (ج ٢ ص ٤٠٨).

(٤) انظر التعليق رقم ٢ من ص ٤١ على المنتقىٰ للذهبي.

الوجه الثاني: «التقاؤه الحافظ زكريا الساجي»:

بعد خروج الأشعري من الاعتزال ومن التخلص من طريقة ابن كلاب، لجأ إلىٰ الأئمة من أهل الحديث ممن عُرفوا بسلامة عقيدتهم وصفاء منهجهم ـ وقد ذكرنا بعضهم ـ ليأخذ منهم مقالة السلف وأصحاب الحديث، ومن أشهرهم الحافظ الثبت محدث البصرة زكريا الساجي.

ولقد اهتم كثيرٌ من العلماء بهذا الالتقاء وجعلوه نقطةَ تحولٍ كبيرةٍ عند الأشعري، وجعلوا له أهميته القصوىٰ في إعلان الأشعري رجوعه إلىٰ مذهب السلف الصالح، وانتسابه إلىٰ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

يقول ابن تيمية عن الأشعري: «وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرىٰ، وذلك آخر أمره، كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم»(١).

ويقول أيضاً: «قلتُ: زكريا بن يحيى الساجي، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري ما أخذه من أصول أهل السنة والحديث. وكثير مما نقل في كتاب «مقالات الإسلاميين» من مذهب أهل السنة والحديث، وذكر عنهم ما ذكره حماد بن زيد من أنه فوق العرش، وأنه يقرب من خلقه كيف شاء»(٢).

أقول: إن هذا اللقاء بين الحافظ الساجي والأشعري، كان له الدافع القوي والمؤثر علىٰ الأشعري في إعلان نسبته إلى الإمام أحمد بن حنبلٍ رحمه الله، والأخذُ بكل ما كان يقوله، واعتقاد كل ما كان يعتقده، خصوصاً أنه التقى ببغداد بعض تلاميذه.

ومن الذين أبرزوا هذا اللقاء وأحاطوه اهتماماً الحافظ الذهبي رحمه الله، فنراه عندما يترجم للحافظ الساجي يقول: «وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري الأصولي تحرير مقالة أهل الحديث والسلف»(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (ج ٣ ص ٢٨٨).

(٢) المصدر السابق (ج ٥ ص ٣٨٦).

(٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (ج ٢ ص ٧٠٩) نشر دار إحياء التراث العربي.

وقال في مكان آخر عن الساجي: «أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف»[1].

قال أيضاً في مكان آخر: «وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري علم الحديث، ومقالات أهل السنة»[2].

ومن الذين أثبتوا للأشعري هذا اللقاء مع المحدث الحافظ زكريا الساجي، وجعلوه نقطة تحول كبيرة عند الأشعري: الإماماان: ابن القيم[3] وابن كثير[4] وغيرهما.

الوجه الثالث: «تأليفه كتاب الإبانة وإثباتها له»:

إن آخر الكتب التي ألفها الأشعري رحمه الله هو كتاب «الإبانة» وقد ذكر في هذا الكتاب إنتسابه للإمام أحمد رحمه الله، والتزامه بعقيدة السلف الصالح، واتباع أئمة الحديث، وذكر بعد هذا عقيدة السلف الصالح في أمور الدين.

ولقد أثبتَ هذا الكتاب للأشعري جمعٌ كثيرٌ من الأئمة، من المتقدمين والمتأخرين[5].

وأقربُ العلماء زمناً بزمن الأشعري هو ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) فقد ذكر في كتابه «الفهرست» ترجمةً للأشعري، وذكر جملةً من كتبه التي ألفها، ومنها كتاب «التبيين عن أصول الدين»[6].

وجاء بعده ابنُ عساكر وانتصر للأشعري، وأثبتَ له كتاب «الإبانة» ونقل

---

(١) سير أعلام النبلاء (ج ١٤ ص ١٩٨).

(٢) مختصر العلو (ص ٢٢٣ و٢٤٣).

(٣) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٩٧).

(٤) انظر البداية والنهاية (ج ١١ص ١٣١) وغاية الأماني للآلوسي (ج ١ ص ٤٨٠).

(٥) لقد كتب الشيخ حمادالأنصاري رسالةً صغيرةً في حجمها كبيرة في نفعها، أثبت فيها رجوع الأشعري إلى مذهب السلف، كما نقل أقوالاً كثيرةً عن الأئمة في إثباتهم كتاب الإبانة للأشعري.

(٦) انظر الفهرست (ص ٢٥٧).

منها كثيراً في كتابه «التبيين» للإشادة بحسن عقيدة الأشعري. قال ابن عساكر عن الأشعري: «وتصانيفه بين أهل العلم مشهورة معروفة، وبالإجادة والإصابة للتحقيق عند المحققين موصوفة، ومَنْ وقف علىٰ كتابه المسمىٰ «الإبانة» عرف موضعه من العلم والديانة»[1].

وذكر عن الإمام أبي عثمان الصابوني أنه ما كان يخرج إلىٰ مجلس درسه إلا وبيده كتاب الإبانة لأبي الحسن الأشعري، ويظهر الإعجاب به ويقول: ما الذي يُنكر علىٰ من هذا الكتاب شرح مذهبه.

ثم قال ابن عساكر: فهذا قول الإمام أبي عثمان، وهو من أعيان أهل الأثر بخراسان[2].

ثم جاء ابن درباس (ت ٦٥٩هـ)، وألف كتاباً في الذب عن الأشعري، وأثبت له كتاب الإبانة. وقال: «أما بعد. . . فاعلموا معشر الإخوان، وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا جميعاً للصراط المستقيم، بأن كتاب «الإبانة عن أصول الديانة» الذي ألفه الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده، وبما كان يدين الله سبحانه وتعالىٰ بعد رجوعه عن الاعتزال بِمَنِّ الله ولطفه.

وكل مقالة تُنسب إليه الآن مما يخالف ما فيه، فقد رجع عنها، وتبرأ إلىٰ الله سبحانه منها.

كيف وقد نَصَّ فيه علىٰ أنه ديانته التي يُدين الله سبحانه بها. وروىٰ وأثبت ديانةَ الصحابة والتابعين وأئمة الحديث الماضين، وقول أحمد بن حنبل رضي الله عنهم أجمعين، وأنه ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله. فهل يسوغ أن يُقال: أنه رجع إلى غيره؟ فإلىٰ ماذا يرجع تراه.

يرجع عن كتاب الله وسنة نبي الله، خلافَ ما كان عليه الصحابة والتابعون، وأئمة الحديث الماضين، وقد علم أنه مذهبهم ورواه عنهم. هذا

---

(١) تبيين كذب المفتري (ص ٢٨).

(٢) تبيين كذب المفتري (ص ٣٨٩).

لعمري ما لا يليق نسبته إلىٰ عوام المسلمين كيف بأئمة الدين. . .

وقد ذكر هذا الكتاب، واعتمد عليه وأثبته عن الإمام أبي الحسن رحمه الله، وأثنىٰ عليه بما ذكره فيه، وبرأه من كل بدعة نسبت إليه، ونقل منه إلى تصنيفه، جماعة من الأئمة الأعلام من فقهاء الإسلام، وأئمة القراء، وحفاظ الحديث وغيرهم»[1].

ثم ذكر رحمه الله جماعةً من هؤلاء الأئمة الذين أثبتوا كتاب «الإبانة» للأشعري ومنهم:

١ ـ إمام القراء أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم الفارسي (ت ٤٤٦هـ).

٢ ـ الحافظ أبو عثمان الصابوني (ت ٤٤٩هـ).

٣ ـ الفقيه الحافظ أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

٤ ـ الإمام الفقيه أبو الفتح نصر المقدسي (ت ٤٩٠هـ).

٥ ـ الفقيه أبو المعالي مجلي صاحب كتاب الذخائر في الفقه (ت ٥٥٠هـ).

وهناك جَمع كثير من العلماء ممن أثبت كتاب «الإبانة» للأشعري، غير الذين ذكرهم ابن درباس، ومنهم:

٦ ـ الإمام ابن تيمية رحمه الله (ت ٧٢٨هـ)[2].

٧ ـ الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ).

وقال رحمه الله: «وكتاب الإبانةَ من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه. ونسخه بخطه الإمام محيي الدين النووي»[3].

٨ ـ الإمام ابن القيم ـ(ت ٧٥١هـ)[4].

---

(١) رسالة الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس (ص ١٠٧) تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي.

(٢) انظر مجموع الفتاوى (ج ٥ ص ٩٣ وج ٦ ص ٣٥٩).

(٣) مختصر العلو (ص ٢٣٩).

(٤) انظر اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١١٣).

٩ ـ الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)[1]

١٠ ـ العلامة ابن فرحون المالكي (ت ٧٩٩هـ)[2].

وهناك جمعٌ كثير لا يُحصىٰ عددهم من العلماء والأئمة من الـذين أثبتوا كتاب «الإبانة» للأشعري وأنه آخر ما صنف.

(١) انظر إتحاف السادة المتقين للمرتضىٰ الزبيدي (ج ٢ ص ٣).

(٢) انظر الديباج المذهب (ص ١٩٥).

هـ ـ وفاته

اختلفت المصادر التي ترجمت لأبي الحسن الأشعري فيما يتعلق بتاريخ وفاته.

والذي عليه أكثرُ المؤرخين هو أن وفاته سنة أربع وعشرين وثلاثمئة. ونصر هذا التاريخ وأيده الحافظ ابن عساكر. وذكر روايات كثيرةً تدعم ما ذهب إليه، وفي النهاية ذكر ما يرجح هذا التاريخ.

وهو أن ابن فورك ذكر هذا التاريخ، وابن فورك كان تلميذاً لأبي الحسن الباهلي، وكان الباهلي هذا تلميذاً للأشعري.

فيكون ابن فورك قد أخذه من شيخه الذي هو أعلم بوفاة شيخه الأشعري[١].

وهذا التاريخ رجحه أيضاً الحافظ ابن كثير[٢]، والحافظ الذهبي[٣].

* * *

ومن خلال ما ذكرنا يتضح لنا الآتي:

١ ـ أن الأشعري نشأ في بداية أمره على الاعتزال ثم رجع عنه.

٢ ـ أنه سلك بعد رجوعه عن الاعتزال طريقةَ أبي محمد بن كلاب في إثبات بعض الصفات وتأويل الأخرى.

---

(١) انظر تبيين كذب المفتري (ص ١٤٧).

(٢) انظر البداية والنهاية (ج ١١ ص ١٨٧).

(٣) انظر سير أعلام النبلاء (ج ١٥ ص ٨٦).

٣ ـ أنه في النهاية رجع إلىٰ مذهب السلف، ونصر مذهبهم. وقال بقولهم، والتقىٰ ببعض أهل الحديث، وأخذ عنهم مقالةَ أهل السنة والجماعة، وألَّفَ كتاب «الإبانة» الذي أراد أن يلقىٰ الله تعالىٰ، وهو معتقدٌ ومؤمنٌ بكل ما ذكر فيه.

٤ ـ أن هذا الكتاب ثابتٌ له بشهادة العلماء والأئمة الذين ذكرناهم، وشهادتهم تكفي في الرد على مَنْ زعم أنه منسوبٌ إليه.

* *



الباب الأول
عقيدة الأشعري في الصفات الذاتية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول : عقيدة السلف والأشعري والأشاعرة في الصفات.

الفصل الثاني : مذهب الأشعري في الصفات الذاتية ومخالفة الأشاعرة له.

الفصل الثالث : مذهب الأشعري في صفة كلام الله تعالىٰ ومخالفة الأشاعرة له.



الفصل الأول
عقيدة السلف والأشعري والأشاعرة في الصفات

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : تعريف عقيدة السلف الصالح في الصفات.

المبحث الثاني : تعريف عقيدة الأشعري في الصفات.

المبحث الثالث : تعريف عقيدة الأشاعرة في الصفات.

المبحث الرابع : رجوع كبار الأشاعرة إلى مذهب السلف.



المبحث الأول
تعريف عقيدة السلف الصالح في الصفات

السلف: تُطلق هذه الكلمة ويُراد بها معنىً لغوي ومعنىً اصطلاحي

فأما اللغوي: فقد جاء في اللسان: «والسلف أيضاً مَنْ تقدمك من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل... إلى أن قال: ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح»[1].

وأما المعنىٰ الاصطلاحي: فإن كلمة السلف تُطلق ويُراد بها، أصحاب القرون الثلاثة الأولىٰ المفضلة الذين جاء ذكرهم في حديث رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[2].

وهم يشملون الصحابة الكرام الذين عايشوا النبي ﷺ وجاهدوا معه، وتلقوا العلم عنه مشافهةً، وجاء بعدهم من تبعهم بإحسان من أعيان التابعين والأئمة المفضلين المشهود لهم بالاستقامة في الدين، وتابع التابعين الذين هم بكل خيرٍ فائزون ولكل مكرمة راجون[3].

وهذا التحديد الزمني ليس كافياً في بيان السلف، بل لا بد أن يُضاف إليه الموافقة التامة لكل ما جاء في كتاب الله تعالى، والخضوع التام لكل ما

---

(١) لسان العرب لابن منظور (ج ٩ ص ١٥٩) دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٥٦.

(٢) البخاري في الشهادات، باب لا يشهد علىٰ جور إذا أشهد (ج ٥ ص ٢٥٩ مع فتح الباري رقم الحديث ٢٦٥٢). ومسلم في الفضائل، باب فضل الصحابة (ج ٤ ص ١٩٦٣، رقم الحديث ٢١٢).

(٣) انظر لوامع الأنوار البهية للشيخ محمد بن أحمد السفاريني (ج ١ ص ٢٥)، مطبعة الأصفهاني، جدة سنة ١٣٨٠ هـ.

جاء عن سنة رسول الله ﷺ من غير مخالفةٍ لا ظاهراً ولا باطناً. وفي هذا يقول الشيخ محمد أحمد الخفاجي: «وليس هذا التحديد الزمني كافياً في ذلك، بل لا بد أن يُضاف إلىٰ هذا السبق الزمني موافقةَ الرأي للكتاب والسنة وروحها، فَمَنْ خالف الكتاب والسنة فليس بسلفي، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابع التابعين»[1].

وإلىٰ هذا ذهب أيضاً الشيخ أحمد بن حجر القطري حيث قال: «وعلى ذلك فالمراد بمذهب السلف، ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والتابعون لهم بإحسانْ إلىٰ يوم الدين، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهِدَ له بالإمامة، وعرف عظيم شأنه في الدين، وتلقىٰ الناس كلامهم خلفاً عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك والنخعي والبخاري ومسلم وسائر أصحاب السنن، دون من رُمي ببدعة أو شُهِّر بِلقبٍ غير مرضي، مثل الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة»[2].

وعقيدتهم رحمهم الله تعالىٰ قائمةٌ على الأخذ بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ جملةً وتفصيلاً، مع التسليم الكامل والانقياد التام لكل ما وصف الله تعالىٰ به نفسه المقدسة، أو وصفه به نبيه ﷺ في الأحاديث الصحيحة الثابتة عنه.

فالسلف يُثبتون لله تعالىٰ ما وصف به نفسه، وما وصفه به نبيه ﷺ، وينفون عنه ما نفاه تعالىٰ عن نفسه، وما نفاه عنه نبيه ﷺ.

إثباتهم من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ونفيهم من غير تحريفٍ ولا تعطيل. وَهُم علىٰ يقينٍ تامٍ واعتقادٍ جازمٍ، أن الله سبحانه وتعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته، فكما أن له ذاتاً لا تشبه ذوات

---

(١) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة، للشيخ محمد أحمد خفاجي (ص ٢١)، مطبعة الإمامة.

(٢) العقيدة السلفية بأدلتها العقلية والنقلية، للشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي، ط أولى، بيروت، سنة ١٩٧٠م.

المخلوقين، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين.

يقول ابن تيمية رحمه الله في توضيح مذهب السلف في الصفات: ـ

«أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلىٰ قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة ـ وهو: الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر، خيره وشره.

ومن الإيمان بالله: الإيمانُ بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى: ١١]. فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلِمَ عن مواضعه، ولا يُلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفاتِ خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كُفْؤَ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً من خلقه»[١].

والسلف حينما بحثوا في صفات الله تعالى كان معتمدهم علىٰ أسس ثلاثة:

الأول: تنزيه الله تعالىٰ عن مشابهة المخلوقات في جميع صفاته، فكما أن له ذاتاً لا تشابه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته. وإلىٰ هذا الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾.

الثاني: إثبات جميع الصفات الواردة في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. وإلىٰ هٰذا الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

الثالث: اليأس وقطع الطمع في إدراك كيفية صفات الله تعالىٰ، فكما أنه لا يطمع أحدٌ من المخلوقين في إدراك كيفية الذات، فكذلك

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (ج ٣ ص ١٢٩).

الصفات، لأن الكلام في الصفات كالكلام في الذات. وإلىٰ هٰذا الإشارةُ بقوله تعالىٰ: ﴿وَلا يُحِيطُونَ به علماً﴾ [طه: ١١٠][1].

يقول ابنُ كثير رحمه الله حاكياً مذهب السلف:

«وأما قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ اسْتوىٰ عَلىٰ العَرْشِ﴾ فللناس في هٰذا المقام مقالاتٌ كثيرةٌ جداً ليس هٰذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحٰق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً[2] وهو: إمرارها كما جاءت من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ، والظاهر المتبادر إلىٰ أذهان المشبهين منفيٌ عن الله تعالى، فإن الله تعالىٰ لا يشبهه شيء من خلقه و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصيرُ﴾، بل الأمر كما قال الأئمة منهم: نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، قال: مَنْ شَبَّهَ الله بخلقه كفر، ومَنْ جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفىٰ عن الله تعالىٰ النقائص فقد سلك سبيل الهدىٰ»[3].

ومرادُ السلف بقولهم: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، أي إمرارُ آيات وأحاديث الصفات علىٰ ما هي عليه مع الإيمان بها وبمعناها وما دلت عليه، مع عدم التعرض لها لا بتحريفٍ ولا تأويلٍ ولا تكييفٍ. والقول فيها كما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله: الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

---

(١) انظر أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ج ٢ ص ٣٠٤)، طبع وتوزيع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد سنة ١٤٠٣هـ.
وانظر أيضاً «أبو الحسن الأشعري وعقيدته» للشيخ حماد الأنصاري (ص١٧) ط ثانية، مطبعة الفجالة الجديدة، سنة ١٣٩٥هـ.

(٢) انظر أقوالهم في مختصر العلو للذهبي، طبع المكتب الإسلامي، (ص ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٧٦، ١٨٩، ١٩١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ج ٢ ص ٢٢٠) دار المعرفة للطباعة والنشر سنة ١٣٨٨هـ.

والسلف مجمعون علىٰ الإقرار بصفات الله تعالىٰ الواردة في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ، والإيمان بها وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز.

وقد ذكر هذا الإجماع غيرُ واحدٍ من العلماء المحققين، منهم الإمام ابن عبد البر رحمه الله تعالىٰ(١)، وأبو الحسن الأشعري.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: «وأجمعوا علىٰ وصف الله تعالىٰ بجميع ما وصف به نفسه وَوَصَفَهُ به نبيه ﷺ من غير اعتراضٍ فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم»(٢).

وقد عَبَّرَ السلف عن عقيدتهم في صفات الله تعالىٰ بعبارةٍ جامعةٍ مانعةٍ تدل في حقيقتها علىٰ صفاء المنبع ونقاء المورد، واتفقت كلمتهم جميعاً علىٰ أن يقولوا في صفات الله تعالىٰ الثابتة له: أمروها كما جاءت بلا كيف. **فقولهم**: «أمروها كما جاءت»، إثباتٌ لها ورد علىٰ المعطلة المحرفين. **وقولهم**: «بلا كيف»، رد علىٰ الممثلة المشبهين.

ومن أقوالهم في ذلك ما رُوِيَ عن الأوزاعي أنه قال: سُئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا: أمروها كما جاءت.

ورُوي عن الوليد بن مسلم أنه قال: سألت مالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد والأوزاعي عن الأخبار التي جاءت في الصفات فقالوا: «أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف».

قال ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ بعد ذكره لهذه النقول عن الأئمة:

«وقولهم رضي الله عنهم: أمروها كما جاءت، رَدٌّ علىٰ المعطلة. وقولهم بلا كيف: رد على الممثلة.

والزهري ومكحول أعلم التابعين في زمانهم، والأربعة الباقون أئمة

---

(١) انظر التمهيد (ج ٧ ص ١٤٥) ط ثانية وزارة الأوقاف المغربية سنة ١٣٨٧هـ.

(٢) رسالة إلىٰ أهل الثغر للأشعري (ص ٢٢٤) تحقيق عبدالله شاكر الجنيدي.

الدنيا في عصر تابعي التابعين»[1].

وعن سفيان بن عيينة قال: سُئل ربيعة بن أبي عبدالرحمن[2] عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟

قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومِنَ الله الرسالة، وعلىٰ الرسول البلاغ، وعلينا التصديق[3].

وهذا القول مرويٌ عن السيدةَ أم سلمة زوج النبي ﷺ، وعن الإمام مالك تلميذ ربيعة بن عبدالرحمن[4].

وقد سُئل سفيان بن عيينة عن أحاديث الصفات، التي منها قوله ﷺ: «إن الله يجعل السماء علىٰ أصبع، وقلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، وحديث نزوله تعالى كل ليلة إلىٰ سماء الدنيا» ونحو هذه الأحاديث فقال رحمه الله: «هذه الأحاديث نرويها ونقر بها كما جاءت بلا كيف»[5].

وقول الأئمة هنا: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، موافق أيضاً لمن قال منهم: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول.

فإنما نفوا جميعاً علم الكيفية بالصفة، ولم ينفوا حقيقة الصفة ومعناها[6].

وكذلك يقولون في جميع الصفات الواردة في كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ من إثبات: السمع، والبصر، والكلام، والوجه، والعينين، واليدين،

---

(١) الفتوىٰ الحموية لابن تيمية (ص ٢٤)، ط ثالثة المطبعة السلفية، القاهرة سنة ١٣٩٨هـ.

(٢) هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ القرشي المدني أبو عثمان. وكان شيخاً للإمام مالك. وكان يقال له: ربيعة الرأي. وهو تابعي جليل، وكان حافظاً للحديث ثقة ثبتاً مفتياً في المدينة. (ت ١٣٦هـ). سير أعلام النبلاء (٦: ٨٩) وشذرات الذهب (١: ١٩٤).

(٣) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ج ٣ ص ٣٩٨)، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع.

(٤) انظر المصدر السابق (ج ٣ ص ٣٩٨).

(٥) انظر التمهيد لابن عبد البر (ج ٧ ص ١٤٨).

(٦) انظر الفتوى الحموية لابن تيمية (ص ٢٥).

والقدرة، والعظمة، والإستواء، والنزول، والضحك، والفرح، والرضىٰ، والغضب، وغيرها من الصفات الثابتة لله تعالىٰ، وكلمتهم فيها واحدة من أولهم إلىٰ آخرهم، ولم يؤولوها تعطيلاً، ولم يحرفوها تبديلاً، ولم يثبتوها تمثيلاً، بل أثبتوا بلا تمثيل، ونزهوا بلا تعطيل.

وإلىٰ هذا أشار البغوي رحمه الله بعد أن ذكر جملةً من صفات الله تعالى، وذكر أدلتها فقال: «. . . فهذه ونظائرها صفاتٌ لله تعالى وَرَدَ بها السمع، يجب الإيمان بها، وإمرارها علىٰ ظاهرها، معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالىٰ لا يشبه شيءٌ من صفاته صفاتَ الخلق، كما لا تشبه ذاتُه ذواتَ الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وعلىٰ هذا مضىٰ سلفُ الأمة، وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل ووكلوا العلم فيها إلىٰ الله عز وجل[1]، كما أخبر الله سبحانه وتعالىٰ عن الراسخين في العلم. قال عز وجل: ﴿والرَّاسِخُونَ في العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾ [آل عمران: ٧][2]».

الرد علىٰ مَنْ زعم أن مذهب السلف التفويض:

عرفنا فيما سبق أن مذهب السلف في صفات الله تعالىٰ، إثبات ما أثبته لنفسه، وما أثبته له رسولُه ﷺ، ونفي ما نفاه تعالىٰ عن نفسه وما نفاه عنه رسوله ﷺ، إثباتاً بلا تمثيل، ونفياً بلا تعطيل.

وزعمت الأشاعرة أن الناس في صفات الله تعالى علىٰ مذهبين:

الأول: مذهب السلف وهو التفويض.

الثاني: مذهب الخلف وهو التأويل.

ويفسرون مذهب السلف: بأنه مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث

---

(١) يريد رحمه الله أن السلف وكلوا إلىٰ الله تعالىٰ العلم بكيفيات الصفات.

(٢) شرح السنة للبغوي (ج ١ ص ١٧٠) تحقيق زهير الشاويش، ط أولى المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٠هـ.

من غير فهمٍ لمعاني نصوصهما، مع تفويض معانيها إلىٰ الله تعالىٰ.

ومعظم الأشاعرة ينسبون هـذا المذهب إلىٰ السلف، لأنهم لم يفهموا حقيقةَ مذهبهم، ولم يتدبروا أقوالهم، ويربطوا بينها جميعاً.

ومن هؤلاء الرازي رحمه الله فقد قال أيضاً بعد أن عقد فصلاً لتقرير مذهب السلف: «وحاصل هٰذا المذهب أن هذه المتشابهات يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالىٰ منها شيءٌ غير ظواهرها، ثم يجب تفويضُ معناها إلىٰ الله تعالىٰ، ولا يجوز الخوضُ في تفسيرها»[1].

ومنهم أيضاً السيوطي، والزرقاني، فقد نسبا هٰذا المذهب إلىٰ السلف الصالح[2].

والسبب الذي دفعهم إلىٰ هذا: اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفةٌ دلت عليها هذه النصوص، وتمسكوا بالشبهات الفاسدة، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ـ وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنىً ـ بقوا مترددين بين طريقتين: ـ

الأولى :مجرد الإيمان بالألفاظ، وتفويض معانيها لله تعالى، وهي التي يُسمونها طريقة السلف.

والثانية :صرف اللفظ عن حقيقته إلىٰ معانٍ أخرىٰ بأنواعٍ من التكلفات والمجازات، وهي التي يُسمونها طريقة الخلف[3].

وفي هذا قال صاحب جوهرة التوحيد:

وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهاً[4]

---

(١) أساس التقديس (ص ١٨٢)، مطبعة الحلبي.

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج ٢ ص ٦) نشر المكتبة الثقافية. ومناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (ج ٢ص ١٨٢) مطبعة عيسى الحلبي.

(٣) انظر الفتوى الحموية لابن تيمية ص ٦.

(٤) انظر تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد للبيجوري (ص ٥٦)، المطبعة الخيرية.

واحتج الأشاعرة علىٰ ما قالوه بشبهتين:

الأولى: أن كثيراً من السلف وقف علىٰ قوله تعالى: ﴿إلا اللَّهُ﴾ من قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الفِتْنَةِ وابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا﴾ [آل عمران: ٧].

وعلىٰ هذا تكون آيات الصفات من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله. والتأويل المذكورُ في الآية يُراد به المعنىٰ الاصطلاحي الخاص الذي هو: صرفُ اللفظ عن الاحتمال الراجح إلىٰ الاحتمال المرجوح لدليلٍ يقترن به.

ويلزم من هذا أنَّ لهذه الآيات معاني تخالف مدلولها المفهوم منها، وأن ذلك المعنىٰ المراد منها لا يعلمه إلا الله تعالى، لا يَعلمه جبريل الذي نزل بالقرآن، ولا محمد ﷺ[1].

الثانية: أن كثيراً من السلف قال في صفات الله تعالى: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف[2].

ومن خلال هاتين الشبهتين نسب الأشاعرة مذهب التفويض في معاني صفات الله تعالىٰ إلىٰ السلف الصالح.

وقد ناقش العلماء هاتين الشبهتين علىٰ ضوء ما ذكره السلف أنفسهم، وما سطروه في كتبهم، وبينوا أن هذا المذهب باطلٌ من وجوه عديدة:

الأول: يُقال لهم: أن التفويض تفويضان: الأول: تفويضٌ صَحَّتْ نسبته إلىٰ السلف الصالح وهو مذهبهم، وهو: التفويض بعلم كيفيات الصفات إلىٰ الله تعالى، لأن هذا من العلم الذي استأثر الله تعالىٰ به، لا يعلمه أحدٌ من

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ج ١ ص ١٤) تحقيق د. محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض سنة ١٣٩٩هـ.

(٢) انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (ج ٢ ص ٦).

خلقه، ولا ينبغي لأحدٍ أن يبحث في كيفية الصفات. والواجب علىٰ الجميع أن يقطعوا الطمع في إدراك كيفية الصفات، كما قطعوا الطمع في إدراك كيفية الذات.

وهذا هو تفويض السلف الصالح الذي دلت عليه أقوال الأئمة منهم، مثل قول الإمام مالك رحمه الله حينما سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥] كيف استوىٰ؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

فالإمام مالك بيّن أن معنىٰ الاستواء ظاهرٌ وثابتٌ ومعلومٌ، ولكن كيفية ذلك الاستواء غيرُ معلومٍ لنا ولا نعقله، والواجب علينا أن نفوّض إلىٰ الله كيفية ذلك الاستواء.

قال ابن الماجشون[1] والإمام أحمد وغيرهما من السلف: «إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه»[2].

وقال الترمذي رحمه الله عن آيات وأحاديث الصفات:

«والمذهب في هٰذا عند أهل العلم من الأئمة مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وابن المبارك، ووكيع وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا: تُروىٰ هذه الأحاديث ونؤمن بها ولا يقال: كيف، وهذا الذي اختاره أهل الحديث، أن يرووا هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر ولا يتوهم ولا يقال: كيف. وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»[3].

---

(١) هو عبد العزيز بن عبدالله بن أبي سلمة. الإمام المفتي الكبير أبو عبدالله. سكن مدة ببغداد وحدث عن الزهري وجماعة من المحدثين. وكان ثقةً فقيهاً ورعاً كثيرَ الحديث. مات في بغداد سنة ١٦٤هـ. سير أعلام النبلاء (٧: ٣٠٩)، شذرات الذهب (١: ٢٥٩).

(٢) أنظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ج ١ص ٢٠٧). وانظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ١ ص ١٦٥) توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

(٣) جامع الترمذي (ج ٤ ص ٩٧) تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر.

ويَتَّضِحُ من هٰذا أن السلف كانوا يُثبتون الصفات لله تعالى، مع معرفتهم لمعناها، وكانوا يُفَوِّضُون في كيفية الصفات، ولا يفسرونها تأويلاً وتعطيلاً، ولا يتوهمونها تشبيهاً وتمثيلاً.

والثاني: تفويضٌ مكذوب علىٰ السلف لم يقولوا به وهو:

التفويض بعلم معاني نصوص الصفات إلىٰ الله تعالىٰ:

وهذا هو مراد الأشاعرة من التفويض الذي قالوه، ونسبوه إلىٰ السلف الصالح، والسلف منه براء، بدليل ما ذكرنا من أقوالهم من أنهم كانوا يعرفون معاني صفات الله تعالىٰ، ويفوضون في معرفة كنهها وكيفياتها[1].

الوجه الثاني: أن يُقال لهم: ماذا تريدون بالمتشابه الذي أطلقتموه وجعلتم آيات الصفات منه؟

فإن كانوا يريدون أن كيفية الصفات وحقائقها من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله فهذا حق. لأن هٰذا من العلم الذي استأثر الله تعالىٰ به لنفسه، ولا ينبغي لأحدٍ من خلقه أن يبحث فيه، ومن قال من السلف: انه تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى بهذا المعنى فهو حق[2].

وإن كانوا يريدون أن معنىٰ آيات الصفات من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله ـ وهذا هو مرادهم ـ فهٰذا باطل، لأن آيات الصفات ظاهرة المعنىٰ.

وقد اتفق السلف من الصحابة والتابعين علىٰ الإيمان بها وإثباتها لله تعالىٰ وإمرارها كما جاءت مع فهم معانيها وإثبات حقائقها.

وكذلك فإن الصحابة والتابعين قد فَسَّروا القرآن، وكانوا يتناولونه آية آية بالشرح والتفصيل، وهم مع ذلك يعلمون تفسير آيات الصفات وإن كانوا لا يعلمون كيفيتها.

---

(١) انظر أضواء علىٰ طريق الدعوة إلى الإسلام. د. محمد أمان الجامي، (ص ٣٠)، ط ثانية، المكتب الإسلامي.

(٢) انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ١ ص ١٦٥).

قال أبو عبدالرحمن السلمي[1]: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـ عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهما ـ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لا يتجاوزونها حتىٰ يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً.

وقال مجاهد: عرضتُ المصحف علىٰ ابن عباس من فاتحته إلىٰ خاتمته أقف عند كل آيةٍ وأسأل عنها[2].

وقد بين ابن تيمية أن الإمام أحمد ومن قبله الأئمة فسروا النصوص التي تسميها الجهمية متشابهات، وبَيَّنوا معانيها وفسروها آيةً آيةً وحديثاً حديثاً، ولم يقل أحد منهم: إن هذه الآيات والأحاديث لا يفهم معناها إلا الله تعالىٰ، بل الطوائف كلها مجتمعة علىٰ إمكان معرفة معناها[3].

وقال رحمه الله: «. . . وكذلك نَصَّ أحمد في كتاب «الرد علىٰ الزنادقة والجهمية» أنهم تمسكوا بمتشابه القرآن، وتكلم أحمد علىٰ ذلك المتشابه وبَيَّن معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرىٰ في ذلك علىٰ سنن الأئمة قبله.

فهذا اتفاقٌ من الأئمة علىٰ أنهم يعلمون معنىٰ هٰذا المتشابه، وأنه لا نُسكت عن بيانه وتفسيره، بل يُبَيَّن ويُفَسَّر باتفاق الأئمة من غير تحريفٍ له عن مواضعه. أو إلحادٍ في أسماء الله وآياته»[4].

الوجه الثالث: أن يُقال: أن الله تعالىٰ أنزل القرآن للناس هدىً ورحمةً وبياناً وشفاءً لما في الصدور، وأمر عباده بتدبره وفهمه وعقله فقال: **﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ أَمْ علىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** [محمد: ٢٤]. وقال: **﴿أَفَلا**

---

(١) هو: عبدالله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ. وكان مقرىء الكوفة، قرأ القرآن وجَوَّده ومهر فيه وعُرض علىٰ عثمان وعلي وابن مسعود وأبي. مات سنة أربع وسبعين. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ٤ ص ٢٦٧).

(٢) انظر الفتوى الحموية لابن تيمية (ص ٢٣).

(٣) تفسير سورة الإخلاص (ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، مكتبة المنار الإسلامية.

(٤) الإكليل في المتشابه والتأويل (ص ٣٤)، نشر المطبعة السلفية.

﴿يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدوا فِيه اخْتِلافاً كَثيراً﴾ [النساء: ٨٢]. وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّروا القَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

فلم يفرق تعالىٰ في فهم القرآن وتدبره بين آيات الأحكام، وآيات الصفات، ولم يستثنِ آياتَ الصفات من الأمر العام الذي أمر به تعالى. فلو أخذنا بما قاله الأشاعرة من تفويض معاني الصفات لانتفت الغايةُ المطلوبة منا في فهم القرآن وتدبره.

يقول ابن تيمية رحمه الله راداً علىٰ مذهب هؤلاء: ـ

«وأما التفويض: فإنَّ من المعلوم أن الله تعالىٰ أمرنا أن نتدبر القرآن، وحَضَّنا علىٰ عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منا الاعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟

وأيضاً فالخطاب الذي أُريد به هدانا والبيان لنا وإخراجنا من الظلمات إلىٰ النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أُريد منا أن نعرف باطنه من غير بيانٍ في الخطاب لذلك، فعلىٰ التقديرين لم نُخاطب بما بين فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هٰذا الخطاب باطلٌ وكفرٌ.

وحقيقةُ قول هؤلاء في المخاطِب لنا: أنه لم يُبيِّنْ الحق ولا أَوْضَحه مع أمره لنا أن نعتقده، وأنَّ ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يُبيِّنْ به الحق، ولا كشفه، بل دل ظاهره علىٰ الكفر والباطل، وأراد منا أن لا نفهم منه شيئاً أو نفهم ما لا دليل عليه فيه.

وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد»[١].

الوجه الرابع: أن يُقال: أن استدلال الأشاعرة بما قاله السلف في صفات الله: «أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف» علىٰ أنه تفويضٌ لها مع عدم معرفة

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ج ١ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢).

معانيها، استدلالٌ في غير محله، وهو في الحقيقة حجةُ عليهم لا لهم، لأن قول السلف هٰذا يدل علىٰ أمرين: ـ

أ ـ إثبات الصفات حقيقةً لله تعالىٰ من غير تعرضٍ لها بتأويلٍ أو تحريفٍ، وإبقاء ألفاظها علىٰ ما دلت عليه من معانٍ ظاهرة.

ب ـ تفويضُ العلم بكيفية الصفات إلىٰ الله تعالىٰ، ولا ينبغي لأحدٍ من الخلق أن يسأل عن كيفياتها، بل الواجبُ قطع الطمع في إدراك ذٰلك.

وقولُ السلف هٰذا موافقٌ لما قاله الأئمة منهم، أمثال ربيعة وتلميذه مالك في قوله تعالىٰ: ﴿الرَّحْمٰنُ علىٰ العَرْشِ اسْتَوىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوىٰ؟ فقالا: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة.

وهو أيضاً موافقٌ لما قاله الأئمة منهم: أمثال سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك وابن عيينة ووكيعٌ وغيرهم: نروي هذه الأحاديث كما جاءت ونؤمن بها، ولا يقال: كيف، ولا نفسر ولا نتوهم[1]. وهو أيضاً موافقٌ لما قاله ابن الماجشون والإمام أحمد وغيرهما من السلف: «إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه»[2].

يقول ابن تيمية رحمه الله مبيناً فسادَ هذا الاستدلال وما يترتب عليه من لوازم فاسدة: ـ

«. . . فقول ربيعة ومالك: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب» موافقٌ لقول الباقين: «أمروها كما جاءت بلا كيف» فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة، ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهمهم لمعناه علىٰ ما يليق بالله لما قالوا: الإستواء غير مجهول، والكيف غير معقول. ولما قالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

---

(١) انظر جامع الترمذي (ج ٤ ص ٩٧).

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ج ١ ص ٢٠٧).

فإنّ الاستواء حينئذٍ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم. وأيضاً فإنه لا يحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلىٰ نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضاً فإنَّ مَنْ ينفي الصفات الخبرية، أو الصفات مطلقاً لا يحتاج إلىٰ أن يقول: بلا كيف. فمن قال: إن الله ليس علىٰ العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيف.

فلو كان مذهبُ السلف نفيَ الصفات في نفس الأمر لما قالوا: بلا كيف. وأيضاً فقولهم: أمروها كما جاءت بلا كيف. يقتضي إبقاء دلالتها علىٰ ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظٌ دالـةٌ علىٰ معاني، فلو كانت دلالتها منتفية، لكان الواجب أن يُقال: أَمِروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد. أو: أمروا لفظها مع اعتقادِ أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة.

وحينئذ تكون قد أُمِرَّت كما جاءت، ولا يُقال حينئذٍ بلا كيف، إذ نفيُ الكيفية عما ليس بثابت لغو من القول»[1].

وبهذا يُعلم أن قول السلف: «أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف» إنما يعني إثبات الصفات علىٰ ما هي عليه، وما دلت عليه من معانٍ ظاهرةٍ من غير تعرضٍ لها بتحريفٍ أو تأويلٍ أو تشبيهٍ، ويعني أيضاً تفويض كيفية الصفات إلىٰ الله تعالى، لأنَ هٰذا مما استأثر الله تعالىٰ بعلمه.

الوجه الخامس: أن يُقال: أن نسبة التفويض ـ الذي قصده الأشاعرة ـ إلىٰ السلف، باطل لما يترتب عليه من محاذير كثيرة: ـ

منها: أن يكون النبي ﷺ ومن قبله الأنبياء، غير عالمين بمعاني ما أنزل الله تعالىٰ عليهم من النصوص. ومِنْ أعظم هذه النصوص آيات الصفات التي أثبتها الله تعالىٰ لنفسه. وأن يكون النبي ﷺ قد تلقىٰ أشياءَ من ربه وأُمر بتبليغها وهو لا يعلم معناها ولا يفهم مرماها.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٥ ص ٤١).

وهذا اتهامٌ شنيعٌ للأنبياء في أنهم لم يُبلغوا البلاغَ المبينَ الواضح الذي يستبين به وجهُ الحق وتنجلي به الظلمات.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «... فعلىٰ قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أُنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذٍ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثيرٌ مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه... ومعلومٌ أن هذا قدحٌ في القرآن والأنبياء، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله هدىً وبياناً للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبينَ للناس ما نزل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله، ومع هٰذا فأشرف ما فيه - هو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقاً لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمرَ ونهىٰ ووعد وتوعد، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر - لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بينَ للناس ما نزل اليهم، وبلغ البلاغ المبين»(1).

ومنها: أن يكون الصحابة ومَنْ تبعهم بإحسانٍ من أئمة السلف، قد تلقوا هٰذه النصوص من غير أن يفهموها أو يعلموا معناها، وحينئذٍ يكونون بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون ما خاطبهم الله به، وأمرهم أن يؤمنوا به ويعتقدوه.

والناظر في هذا الكلام، لا يرىٰ إلا أن القوم قد تنقصوا من حق الصحابة ومَنْ تبعهم، واتهموهم بالجهل وعدم الفهم.

وهذا اتهامٌ باطلٌ من أساسه، لأن السلف كانوا أعلم الناس بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأعرف الناس باللغة العربية التي نزل بها القرآن، وأفقههم ديناً وعلماً، وأحسنهم تمسكاً واتباعاً.

كيف يُقال هٰذا في حقهم، وقد نقل إلينا العلماء من أهل السنة، أن السلف جميعاً قد اتفقوا علىٰ الإقرار بآيات الله وصفاته مع فهم معانيها وإثبات

---

(1) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ج 1 ص 204).

حقائقها لله تعالىٰ حتى قالوا: «إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه»[1].

* * * *

وأخيراً: إن مذهب السلف الصالح هو إثبات جميع الصفات لله تعالىٰ حقيقةً، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ. ومع هٰذا فهم يفهمون معاني هٰذه الصفات، ويفوضون في كيفيتها إلىٰ الله تعالىٰ، لأنه من العلم الذي استأثر الله تعالىٰ به.

ومَنْ زعم غير هٰذا فقد تَقوَّل عليهم ما لم يقولوه، واتهمهم بالجهل وسوء الفهم، وهذا الزعم في الحقيقة، جهلٌ مِنْ قائله بمذهبهم ومعتقدهم حيث قال عنهم ما لم يقولوه.

* *

(١) انظر المصدر السابق (ج ١، ص ٢٠٧)، ومختصر الصواعق لابن القيم (ج ١ ص ١٦٥).

المبحث الثاني:
تعريف عقيدة الأشعري في الصفات

لقد عرفنا في المبحث السابق أن السلف رضي الله عنهم كانوا يُثبتون لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه من الصفات، وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تكييفٍ ولا تمثيل.

وينفون عنه تعالىٰ ما نفاه عن نفسه، وما نفاه عنه نبيه ﷺ من غير تحريفٍ ولا تأويلٍ. والأشعري رحمه الله في نهاية المطاف سلك سلكهم، ونهج نهجهم، وسار في ذلك علىٰ طريقتهم، فأثبت لله تعالىٰ من الصفات وما أثبته لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ، ونفىٰ عن الله تعالى ما نفاه عن نفسه وما نفاه عنه نبيه ﷺ.

وقد بَيَّنَ رحمه الله مدىٰ التزامه وتمسكه بطريقة السلف الصالح حينما ذكر في كتابه «مقالات الإسلاميين» عقيدةَ أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث، وذكر مجمل اعتقادهم وأن عقيدتهم في صفات الله قائمة علىٰ الآتي:

١ - يثبت أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث الصفات الثابتة لله تعالىٰ في كتابه العزيز وفي سنة رسوله ﷺ إثباتاً حقيقياً علىٰ الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته.

٢ - ويُثبتون أيضاً لله تعالىٰ صفةَ الاستواء علىٰ العرش حقيقةً، وأن الاستواء من أبرز الأدلة علىٰ علو الله تعالىٰ علىٰ خلقه.

٣ - ويُثبتون صفة اليدين والعينين والوجه، ولا يكيفون شيئاً من ذلك. كما يثبتون له صفةَ السمع والبصر والقوة.

٤ ـ ويُثبتون صفة الكلام لله تعالىٰ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٥ ـ ويقولون: أن الله سبحانه وتعالىٰ يُرى بالأبصار يوم القيامة، كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون.

٦ ـ ويُصدقون ويؤمنون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ من أن الله سبحانه ينزل إلىٰ السماء فيقول: «هل من مستغفر؟» كما جاءت الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

٧ ـ ويقرون أن الله تعالىٰ يجيءُ يوم القيامة والمَلَكُ صفاً صفاً، وأنه تعالىٰ يقرب من خلقه كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [قٓ: ١٦][١].

ثم ختم رحمه الله مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث، بما يدلل علىٰ القضية التي من أجلها سرد معتقدهم، وهي التزامه وتمسكه التام بما يقولون ويدينون. فقال: «فهذه جملةُ ما يأمرون به، ويستعملونه ويرونه. وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير»[٢].

ولم يكتف الأشعري بهٰذا حتىٰ يبين صراحة أنه علىٰ مذهب السلف، بل إنه جمع كافة الإجماعات التي أجمع عليها السلفُ فيما يتعلق بالعقائد عامة وما يتعلق بالأسماء والصفات خاصة وأودعها كتابه «رسالة إلىٰ أهل الثغر بباب الأبواب». ومن هذه الإجماعات التي تتعلق بالأسماء والصفات:

١ ـ إجماعهم علىٰ إثبات صفة السمع، والبصر، واليدين، والقبضة، واليمين.

٢ ـ وإجماعهم علىٰ إثبات صفة النزول والمجيء، وإثبات صفة العلو لله

(١) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (ج ١ ص ٣٤٥) مكتبة النهضة المصرية.

(٢) المصدر السابق (ج ١ ص ٣٤٥).

ى وأنه تعالىٰ فوق عرشه دون أرضه.

- إجماعهم علىٰ أن المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم، علىٰ ما أخبر به تعالىٰ في قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣].

وقد بَيَّنَ معنىٰ ذٰلك النبي ﷺ، ودفع كُلَّ إشكالٍ فيه بقوله للمؤمنين: «ترون ربكم عياناً»[١].

ثم ذكر الأشعري رحمه الله غير هذه الإجماعات، وختمها بإجماعٍ شاملٍ يعتبر أهم قاعدة في عقيدة السلف فقال: «وأجمعوا علىٰ وصف الله تعالىٰ بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه ﷺ من غير اعتراضٍ فيه، ولا تكييفٍ له، وأن الإيمان به واجبٌ وترك التكييف له لازم»[٢].

ثم فَصَّلَ معتقده رحمه الله في كتابه الأخير «الإبانة»، فقد بَيَّنَ في هذا الكتاب أن عقيدته التي يعتقدها ويُدين لله تعالىٰ بها هي:

التمسك بكتاب رب العالمين، واتباع سنة سيد المرسلين، والالتزام بما جاء عن الصحابة والتابعين وأئمة الدين، مقتدياً في ذلك بإمام أهل السنة والجماعة الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله.

وفي هذا يقول رحمه الله: «قولُنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا ﷺ، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون. وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن حنبل، نَضَّرَ الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قولَه مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين،

---

(١) انظر رسالة إلىٰ أهل الثغر للأشعري، تحقيق عبدالله شاكر الجنيدي (ص ٢١٠، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٥).

(٢) انظر رسالة إلىٰ أهل الثغر للأشعري (ص ٢٢٤).

وزيغ الزائغين وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمامٍ مقدّمٍ، وجليل معظم، وكبير مفخم، وعلى جميع أئمة المسلمين»[1].

وقد سُئل رحمه الله عن عقيدته التي يعتقدها وديانته التي يُدين الله تعالىٰ بها، فأجاب:

● وجملةُ قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا نرد من ذلك شيئاً.

● وأن الله عز وجل إلَهٌ واحدٌ لا إلَه إلا هو، فردٌ، صمدٌ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً. وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدىٰ ودين الحق.

● وأن الجنة حق والنار حق.

● وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها.

● وأن الله تعالىٰ يبعث مَنْ في القبور.

● وأن الله استوى على العرش كما قال: ﴿**الرَّحْمٰنُ على العَرْشِ اسْتَوى**﴾ [طه: ٥].

● وأن له وجهاً بلا كيف كما قال: ﴿**وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ والإِكْرامِ**﴾ [الرحمن: ٢٧]. وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿**خلقت بيدي**﴾ [صٓ: ٧٥] ﴿**بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة: ٦٤]. وأَنَّ له عيناً بلا كيف كما قال: ﴿**تجري بأعيننا**﴾ [القمر: ١٤]. وفي المقالات وأن له عينين بلا كيف[2].

● وأن لله علماً كما قال: ﴿**أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾ [النساء: ١٦٦]، وكما قال: ﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثى وَلَا تَضَعُ إلا بِعِلْمِهِ**﴾[فاطر: ١١].

● ونُثبت لله السمع والبصر ولا ننفي ذلك، كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (ص ١٧) تحقيق عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة دار البيان.

(٢) جـ ١، ص ٣٤٥.

● ونُثبت أن لله قوة كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَروا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّة﴾ [فصلت: ١٥].

● ونقول: أن كلام الله غير مخلوق، وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له: كن فيكون، كما قال: ﴿إِنَّما قَوْلُنا لِشَيْءٍ إذا أَرَدْناه أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون﴾ [النحل: ٤٠].

● ونقول: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن مَنْ قال بخلق القرآن فهو كافر.

● ونُدين بأن الله يُرىٰ في الآخرة بالأبصار كما يُرىٰ القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول الله ﷺ. ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة كما قال الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففون: ١٥].

● وأن موسىٰ عليه السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا.

● وأن الله تعالى تجلىٰ للجبل فجعله دكاً فأعلم بذلك موسىٰ أنه لا يراه في الدنيا.

● ونُدين بأن الله تعالىٰ يقلب القلوب، وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن.

● وأنه سبحانه «يضع السمٰوات علىٰ أصبع والأرضين علىٰ أصبع»، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكييفٍ.

● ونصدق بجميع الروايات التي يُثبتها أهل النقل من النزول إلىٰ السماء الدنيا، «وأن الرب عز وجل يقول: هل من سائلٍ؟ هل من مستغفرٍ؟» وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل.

ونقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجاءَ رَبُّكَ وَالمَلَكُ صَفاً صَفاً﴾ [الفجر: ٢٢].

● وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوريد﴾ [قٓ: ١٦]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دنا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدنىٰ﴾ [النجم: ٨ ـ ٩]. . .[1].

* * * *

وبعد هٰذا المجمل الذي ذكره أبو الحسن الأشعري لعقيدته وديانته شرع في بيان ما أجمله هنا بالشرح والتفصيل، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة، كما سنذكره عنه في موضعه في طيات هٰذا البحث إن شاء الله تعالى.

والخلاصة:

يتبين لنا مما ذكره الأشعري عن عقيدته أن معتقده في صفات الله تعالى قائم على:

١ ـ الإيمان بما جاء في كتاب رب العالمين من صفاتٍ أثبتها تعالىٰ لنفسه.

٢ ـ الأخذُ بما جاء عن رسول الله ﷺ من أحاديثَ صحيحة مثبتة لصفات رب العالمين.

٣ ـ القول بما قاله سلف هذه الأمة، وأئمة الحديث، لأن عقيدتهم هي العقيدة السليمة والطريقة المستقيمة القائمة علىٰ إثبات الصفات اللائقة بالله تعالىٰ من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ومن غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ. وقدوته في ذلك ومثله الأعلىٰ إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

* *

(١) الإبانة للأشعري (ص ١٨).

المبحث الثالث:
تعريف عقيدة الأشاعرة في الصفات

الأشاعرة: طائفةٌ من أهل الكلام ينتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وينسبون إليه مذهبهم الكلامي.

ومذهبهم في نصوص الصفات ـ من الكتاب أو السنة ـ قائمٌ على تأويلها بأنواع المجازات وغرائب اللغات، تأويلاً يصل إلى تحريفها وإخراجها عن ظاهرها المراد واللائق بجلال الله تعالىٰ.

وهذا المذهب المنسوب إلىٰ الأشعري، لا يمثل إلا طوره الثاني الذي عاشه، سالكاً فيه ومتأثراً بطريقة ابن كلاب البصري، وهذه الطريقة كانت قريبةً من غيرها إلىٰ مذهب أهل السنة.

وكانت هذه الطريقة تتسم بالجدل الكلامي، ومقارعة الحجج العقلية بالحجج العقلية أيضاً، مبتعدين في ذلك كله عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مع التسليم لبعض أصول المعتزلة.

وهذه الطريقة يصفها ابن تيمية بأنها برزخٌ بين السلف والجهمية، باعتبار أنهم أخذوا كلاماً صحيحاً من مذهب السلف، وكلاماً وأصولاً عقليةً من مذهب الجهمية ظنوها صحيحة وهي فاسدة[1].

ويقول العلامة محب الدين الخطيب: «الأشعرية منسوبون إلىٰ أبي الحسن الأشعري...

وقد علمتَ أن أبا الحسن الأشعري كانت له ثلاثة أطوار:

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٦ ص ٤٧١).

أولها :انتماؤه إلى المعتزلة.

والثاني :خروجه عليهم ومعارضته لهم بأساليبَ متوسطة بين أساليبهم ومذهب السلف.

والثالث :انتقاله إلىٰ مذهب السلف، وتأليفه في ذلك كتاب «الإبانة» وأمثاله. وقد أراد أن يلقىٰ الله على ذلك.

أما الأشعرية: أي المذهب المنسوب إليه في علم الكلام، فكما أنه لا يمثل الأشعري في طور اعتزاله، فإنه ليس من الإنصاف أيضاً أن يلصق به فيما أراد أن يلقىٰ الله عليه، بل هو مستمدٌ من أقواله التي كان عليها في الطور الثاني، ثم عدل عن كثيرٍ منها في آخرته التي أتمها الله عليه بالحسنى»[1].

فمن هذا المنطلق يُطلق أحياناً على الأشعرية بأنهم كلابية.

ويصف ابنُ تيمية رحمه الله ابن كلاب بأنه إمام الأشعرية[2]، ويصف متكلمي الأشاعرة بالكلابية أيضاً[3].

ومتكلمو الأشاعرة أيضاً اعترفوا بهذا، فنجد الكبار منهم أمثال ـ البغدادي والشهرستاني ـ يصفون ابن كلاب بقولهما: إنه من شيوخنا[4].

وربما يقول غيرهما: إنه من أصحابنا[5].

ولهذا وصفه ابن حزم بأنه شيخ قديم للأشعرية[6].

ولم يكتف الأشاعرةُ بهذا، بل إنهم طوروا المذهب وزادوا عليه أصولاً كثيرةً من مذهب المعتزلة، كما فعل الجويني الذي كان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم الجبائي المعتزلي.

---

(١) التعليق رقم ٢ (ص ٤٣) على المنتقى للذهبي.

(٢) انظر الفتاوىٰ لابن تيمية (ج ١٢ ص ٢٠٣).

(٣) المصدر السابق (ج ١٧ ص ٣٦٠).

(٤) انظر أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٤) مطبعة مدرسة الإلٰهيات تركيا. ونهاية الأقدام للشهرستاني (ص ٣٠٣) حرره الفرد جيوم، مكتبة المثنى، بغداد.

(٥) الإرشاد للجويني (ص ١١٩)، مطبعة السعادة.

(٦) الفصل لابن حزم (ج ٤ ص ٢٠٨)، دار المعرفة للطباعة والنشر.

وفي هـذا يقول ابن تيميـة رحمه الله: «. . . . فمن قـال: أن الأشعري كان ينفيها، وأن له في تأويلها قولين فقد افترىٰ عليه، ولكن هذا فعـلُ طائفـةٍ من متأخري أصحابه كأبي المعالي ونحوه، فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشيـاءَ من أصـول المعتزلـة»[1] وأيضاً فـإن كثيراً من التـلاميذ أضـافـوا إلىٰ المـذهب أفكارهم وآرائهم الخاصة.

يقول الدكتور حمودة غـرابه: «وأمـا مذهب الأشعـري نفسه فقـد مزجـه أغلب أتباعه بـآرائهم، ومَنْ حاول منهم، كـالشهرستـاني أن يضعه في صـورةٍ خاصةٍ، تميزه عن رأي تلامذته، فـإنه لم يسلم من الخـطأ في هٰذا التصـوير، مما كان له أسوأ الأثر في تكوين فكرةٍ خاطئةٍ عن هٰذا المذهب في نفس قارئه ومن تعرض لذلك»[2].

ومن هٰـذا نرىٰ أن مـذهب الأشاعـرة جَمَعَ أقـواله واستمـد أصـولـه من مذاهبَ كلاميةٍ عديدةٍ، كالمعتزلة والكلابية والجهمية والمرجئة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «والأشعريـة الأغلب عليهم أنهم مرجئـة في «باب الأسماء والأحكـام». جبريـة في «باب القـدر» وأما في الصفـات فليسوا جهمية محضة بل فيهم نوعٌ من التجهم»[3].

وقد انتسب إلىٰ المذهب الأشعـري كثيرٌ من أتبـاع المذاهب المعتمـدة كالشافعية والمالكية، وبعض الحنابلة كابن الجوزي وابن عقيل.

ويرىٰ ابن تيمية رحمه الله أن مجرد الانتسـاب إلى الأشعري بـدعة، لا سيما وأنه بذلك يوهم حسناً بكل من انتسب هٰذه النسبة، وينفتح بذلك أبواب شر.

وأمـا من قال بكتـاب الإبانـة الذي صنفـه الأشعري في آخـر عمره ولم

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٢٠٣) وانظر أيضاً (ج ٦ ص ٥٢).
(٢) كتاب الأشعري أبو الحسن (ص ٤) مطبعة الرسالة، القاهرة.
(٣) مجموع الفتاوى (ج ٦ ص ٥٥). وأحياناً يصفهم ابن تيمية بالجهمية الكلابية معاً، انظر (ج ٤ ص ١٥٨).

يُظهر مقالةً تُناقض ذٰلك فهذا يُعد من أهل السنة[1].

تقسيمات الصفات عند الأشاعرة:

اعتاد الأشاعرة علىٰ أن يذكروا في كتبهم، ما هو الواجب علىٰ المكلف شرعاً أن يعرفه تجاه رب العالمين؟

ثم قالوا: يجب علىٰ المكلف شرعاً أن يعرف ما يجب في حق الله تعالىٰ وما يستحيل وما يجوز. وفي هذا يقول صاحب جوهرة التوحيد:

فكل من كلف شرعاً وجبا عليه أن يعرف ما قد وجبا
لله تعالى والجائز والممتنعا[2]

والواجبُ في حق الله، يقصدون به ما يثبت لله تعالىٰ من الصفات التي يتصف بها جل جلاله.

وبناءً علىٰ هذا يكون الأشاعرة أوجبوا لله تعالىٰ صفاتاً، وجعلوها واجبةً علىٰ العبد المكلف شرعاً أن يعرفها.

ثم راحوا يسلكون فيما أوجبوه في حق الله تعالىٰ وأثبتوه من الصفات مسلكاً خاصاً بهم، فقسموا الصفات إلىٰ أربعة أقسام: ـ

١ ـ الصفة النفسية: ويُعرفونها بأنها الحال الواجبة للذات، ما دامت الذات غير معللة بعلة[3].

٢ ـ الصفات السلبية: ويُعَرِّفونها بأنها التي سلبت أمراً لا يليق بالله[4].

٣ ـ صفات المعاني: وقد عُرِّفت بأنها كل صفةٍ قائمةٍ بموصوفٍ زائدةٍ علىٰ الذات، موجبةٍ له حكماً[5].

---

(١) المصدر السابق (ج ٦ ص ٣٥٩).
(٢) تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد للبيجوري (ص ١٩).
(٣) شرح أم البراهين للسنوسي (ص ٢٥) مطبعة الاستقامة.
(٤) حاشية الدسوقي علىٰ أم البراهين (ص ٩٣) مطبعة عيسىٰ الحلبي.
(٥) حاشية الصاوي علىٰ شرح الخريدة البهية (ص ٧٦) مطبعة الاستقامة.

٤ ـ الصفات المعنوية: وهي ملازمة لصفات المعاني، وقد عرفت بأنها الحال الواجبة للذات، ما دامت المعاني قائمة بالذات[1].

وهذه الصفات يُطلقون عليها أيضاً اسم الصفات العقلية، بمعنىٰ أن طريق إثباتها العقل وحده.

وهذه الأقسام التي ذكروها اشتملت على عشرين صفة وهي:

«الوجود، والقدم، والبقاء، ومخالفته تعالىٰ للحوادث، وقيامه تعالىٰ بنفسه ـ أي لا يحتاج إلى محلٍ ولا مخصص ـ والوحدانية ـ أي لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ـ، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام. وكونه تعالى قادراً، مريداً، عالماً، حياً، سميعاً، بصيراً، ومتكلماً»[2].

ويضيف النسفي صفةً أخرىٰ تُضم إلىٰ هذه العشرين وهي صفة «التكوين»[3].

هذا من ناحية ما أثبته الأشاعرة من الصفات في حق الله تعالىٰ، وطريقة تقسيمهم لهذه الصفات.

تقسيمات الصفات عند أهل السنة:

أما أهل السنة والجماعة فقد قسموا صفات الله تعالىٰ إلىٰ قسمين:

١ ـ ثبوتية.

٢ ـ وسلبية.

أما الثبوتية فقد عَرَّفوها: بأنها ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه، كالحياة

---

(١) حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية (ص ٧٦)، مطبعة الاستقامة.

(٢) شرح أم البراهين للشيخ أحمد الأنصاري (ص ١١).

(٣) العقائد النسفية للنسفي بشرح التفتازاني (ص ٨٨).

والعلم والقدرة والاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا، والوجه والعينين، واليدين ونحو ذلك.

فيجب إثبات هذه الصفات كلها لله تعالى حقيقة علىٰ الوجه اللائق به تعالى، بدليل السمع والعقل.

فأما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا آمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ والكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالله وَملاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بعيداً﴾ [النساء: ١٣٦] فالإيمانُ بالله يتضمن الإيمانَ بصفاته، والإيمانُ بالكتاب الذي نَزَّلَ علىٰ رسوله يتضمن الإيمانَ بكل ما جاء فيه من صفات الله.

وكونُ محمد ﷺ رسوله يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به عن مرسله وهو الله عز وجل.

وأما العقل: فلأن الله تعالىٰ أخبر بها عن نفسه، وهو أعلم بها من غيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً، فوجب إثباتُها له كما أخبر بها من غير تردد، فإن التردد في الخبر إنما يتأتىٰ حين يكون الخبرُ صادراً ممن يجوز عليه الجهل أو الكذب أو العي، بحيث لا يفصح بما يريد، وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعةٌ في حق الله عز وجل، فوجَبَ قَبولُ خبره على ما أخبر به. وهكذا نقول فيما أخبر به النبي ﷺ عن الله تعالى، فإنَّ النبي ﷺ أعلمُ الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادةً وأفصحهم بياناً، فوجب قَبول ما أُخبر به على ما هو عليه.

وأما الصفات السلبية فهي التي نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، وكلها صفات نقصٍ في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان والعجز والتعب.

فيجبُ نفي هذه الصفات عن الله تعالى لما سبق، مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس بكمال إلا أن يتضمن

ما يدل علىٰ الكمال، وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فنفي الموتِ عنه يتضمن كمال حياته.

وقوله تعالى: ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩] نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ الله لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمٰواتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤] فنفيُ العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته(١).

وبعد هذا قَسَّم أهلُ السنة الصفات الثبوتية إلى قسمين: -

١ - صفات ذاتية. ٢ - صفات فعلية.

وعَرَّفوا الذاتية بأنها: الصفات التي لا تنفك عن الذات، بل هي ملازمة لها أزلاً وأبداً، ولا تتعلق بها مشيئته تعالىٰ وقدرته، وهي التي لم تزل ولا يزال الله متصفاً بها، كصفة الحياة والعلم والسمع والبصر والقوة والوجه واليدين والعينين والقدم وغيرها.

وعَرَّفوا الفعلية بأنها: الصفات التي تتعلق بها مشيئةُ الله تعالىٰ وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو لم يزل موصوفاً بها، بمعنىٰ أن نوعها قديمٌ وأفرادها حادثة. كالنزول إلىٰ سماء الدنيا، والإتيان والمجيء، والضحك، والرضىٰ، والغضب وغيرها(٢).

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٠٨) والقواعد المثلىٰ للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٢١)، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد خليل هراس (ص ١٠٥) نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض. والقواعد المثلىٰ للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٢٥).

ويُطلق عليها أيضاً «الصفات الاختيارية».

«وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً. وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متىٰ شاء بما شاء. كما في قوله: ﴿إِنَّما أَمْرُه إذا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].»[1].

الفرق بين تقسيم الأشاعرة وتقسيم أهل السنة:

من خلال النظر في التقسيمين اللذين ذكرناهما عن الأشاعرة وأهل السنة، نجد أن الأشاعرة أثبتوا لله تعالىٰ بعض الصفات، ولم يثبتوا له تعالى البعض الآخر الذي ورد في كتابه ووردت به الأدلة الصحيحة من سنة الرسول ﷺ، كما نجد أيضاً أن طريقة إثباتهم لهذه الصفات مبنية علىٰ ما اقتضته الأدلة العقلية فقط، فالعقل عندهم له السيادة المطلقة في إثبات الصفات ونفيها.

وأيضاً فالناظر في هذه التقسيمات التي ذكرها الأشاعرة، يَجدها قد اشتملت علىٰ عدة محاذير: -

منها: إطلاق الصفة النفسية في حق الله تعالىٰ. وهذا الإطلاق لا يجوز في حقه تعالىٰ لأنه يحمل في طياته معنيين: أحدهما صحيح، والآخر فاسد.

يقول العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله موضحاً هذا المحذور: -

«... ولا يخفىٰ علىٰ عالمٍ بالقوانين الكلامية والمنطقية، أن إطلاق النفسية علىٰ شيءٍ من صفاته جل وعلا أنه لا يجوز، وأن فيه من الجرأة علىٰ الله ما الله عالم به. وإن كان قصدهم بالنفسية في حق الله تعالىٰ الوجود فقط وهو صحيح، لأن الإطلاق الموهم للمحذور في حقه تعالىٰ لا يجوز، وإن كان المقصود به صحيحاً، لأن الصفة النفسية في الاصطلاح لا تكون إلا جنساً أو فصلاً. فالجنس كالحيوان بالنسبة إلىٰ الإنسان، والفصل كالنطق

---

(١) انظر القواعد المثلىٰ للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٢٥).

بالنسبة إلىٰ الإنسان. ولا يخفى أن الجنس في الاصطلاح قدرٌ مشتركٌ بين أفراد مختلفة الحقائق، كالحيوان بالنسبة إلى الإنسان والفرس والحمار. وأن الفصل صفة نفسية لبعض أفراد الجنس ينفصل بها عن غيره من الأفراد المشاركة له في الجنس، كالنطق بالنسبة إلى الإنسان، فإنه صفته النفسية التي تفصله عن الفرس مثلاً، المشارك له في الجوهرية والجسمية والنمائية والحساسية.

ووصفُ الله جل وعلا بشيءٍ يُراد به اصطلاحاً ما بينا لك من أعظم الجرأة على الله تعالىٰ كما ترىٰ، لأنه جل وعلا واحدٌ في ذاته وصفاته وأفعاله، فليس بينه وبين غيره اشتراكٌ في شيء من ذاته ولا في صفاته حتى يُطلق عليه ما يطلق علىٰ الجنس والفصل»[1].

ومن هذه المحاذير أيضاً: ما أطلقوه على بعض صفات الله تعالىٰ بـ «الصفات السلبية». وقد عَرَّفوها بأنها التي سلبت عن الله تعالىٰ أمراً لا يليق به. وقد ذكرنا أيضاً أن أهل السنة يطلقون على بعض صفات الله تعالى: «الصفات السلبية»، ولكن هٰذا السلب الذي ذكره الأشاعرة غير السلب الذي ذكره أهل السنة، فالسلبُ الذي عند أهل السنة، إنما هو مدح لله تعالى، لأنه ينضمن ثبوت كمال ضده، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩] لكمال عدله، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] لكمال قدرته.

فهذا السلب والنفي لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفيٍ يأتي في صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة إنما هو لثبوت كمال ضده[2].

أما السلب عند الأشاعرة فإنه لا يشتمل علىٰ المدح والكمال لأنه نفي

---

(١) أضواء البيان للعلامة الأمين الشنقيطي (ج ٢ ص ٣٠٦) طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض.

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ١٠٨).

صرف، والنفي ليس بكمال إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال، وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً[1].

ومثل هذا قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ولا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

فنفى عنهم الغدر والظلم لا لكمال قدرتهم، وإنما لبيان عجزهم وضعفهم.

وقال الآخر:

لٰكِنَّ قَوْمي وإنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ في شَيْءٍ وإنْ هَانَا

لما اقترن بنفي الشر عنهم ما يدل علىٰ ذمهم عُلِمَ أن المراد عجزهم وضعفهم[2].

ويضيف شارح الطحاوية رحمه الله مأخذاً آخراً علىٰ السلب الذي ذكره الأشاعرة فيقول: «وهٰذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبالٍ ولا كساحٍ ولا حجامٍ ولا حائك! لأدبك علىٰ هذا الوصف وإن كنت صادقاً. وإنما تكون مادحاً إذا أجملتَ النفي فقلت: أنت لست مثل أحدٍ من رعيتك، أنت أعلىٰ منهم وأشرف وأجل. فإذا أجملتَ في النفي أجملتَ في الأدب»[3].

ومن هٰذه المحاذير أيضاً: ما أطلقوه علىٰ الصفات السبع التي أثبتوها وهي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام، الصفات العقلية، على اعتبار أن مصدر إثبات هذه الصفات العقل وحده[4]. وليس لكتاب الله تعالى دخلٌ في إثباتها.

ولا شك أن هٰذه مخالفةٌ كبيرة وجرأةٌ عظيمةٌ، وذٰلك لأن الله سبحانه

---

(١) انظر القواعد المثلىٰ للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٢٣).

(٢) انظر شرح الطحاوية (ص ١٠٨).

(٣) المصدر السابق (ص ١٠٩).

(٤) انظر الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص ١١٩) مطبعة دار الأمانة بيروت.

وتعالىٰ قد أثبتَ لنفسه هٰذه الصفات في كتابه العزيز.

فأثبت لنفسه القدرة فقال: ﴿وَكَانَ الله عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قديراً﴾ [الفتح: ٢١].

وأثبت لنفسه الإرادة فقال: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وأثبت لنفسه العلم فقال: ﴿والله بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وأثبت لنفسه الحياة فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلىٰ الحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وأثبت لنفسه السمع والبصر فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وأثبت لنفسه الكلام فقال: ﴿وَكَلَّمَ الله مُوسىٰ تَكْلِيماً﴾ [النساء: ١٦٤].

فأثبت الله تعالىٰ لنفسه هٰذه الصفات المقدسة علىٰ ما يليق بكماله وجلاله.

ولا مانع أن تكون هٰذه الصفات ثابتةً لله تعالىٰ بالأدلة العقلية الموافقة للأدلة السمعية الخبرية، ويكون طريق إثباتها الدليلين معاً، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

ومن المحاذير أيضاً: ما أطلقوه علىٰ الصفات المعنوية: بأنها الأوصاف المشتقة من صفات المعاني السبع المذكورة. وبأنها أيضاً زائدةٌ علىٰ صفات المعاني.

ويرد العلامة الأمين الشنقيطي رحمه الله علىٰ هٰذا الذي زعموه وقالوه، ويُبين بالتحقيق العلمي الصواب في هٰذه المسألة فيقول عن الصفات المعنوية: «والتحقيق أنها عبارة عن كيفية الاتصاف بالمعاني.

وعَدُّ المتكلمين لها صفات زائدة علىٰ صفات المعاني، مبنيٌ علىٰ ما يسمونه الحال المعنوية، زاعمين أنها أمرٌ ثبوتي ليس بموجود، ولا معدوم. والتحقيق الذي لا شك فيه أن هٰذا الذي يسمونه الحال المعنوية لا أصل له،

وإنما هو مطلق تخيلات يتخيلونها، لأن العقل الصحيح حاكم حكماً لا يتطرقه شك. بأنه لا واسطة بين النقيضين البتة.

فالعقلاء كافة مطبقون علىٰ أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، ولا واسطة بينهما البتة. فكل ما هو غير موجود فإنه معدوم قطعاً، وكل ما هو غير معدوم فإنه موجود قطعاً، وهٰذا مما لا شك فيه كما ترىٰ»[1].

هٰذا بالنسبة لما أُخذ علىٰ تقسيمات الأشاعرة للصفات الإلٰهية.

وأما تقسيم أهل السنة والجماعة للصفات فنقول:

إن السلف رضي الله عنهم لم يكن من شأنهم التوسع في تقسيم الصفات وتنويعها، إذ ليس من شأنهم الإسراف في الكلام في الصفات الإلٰهية، بل كانوا لا يتجاوزون الكتاب والسنة.

إلا أن بعض الأئمة من أهل السنة الذين حضروا الفتنة بعد نشأة علم الكلام، وابتلاهم الله بمناقشة آراء علماء الكلام والرد عليهم، اضطروا إلىٰ تقسيم الصفات الإلهية بقدر مستنبط من الأدلة الشرعية من كتاب الله تعالىٰ وسنة رسوله ﷺ. فقد ذكر الأئمة من أهل السنة، أن من الصفات الثابتة لله تعالىٰ، ما يكون معلوماً بالدليل السمعي الذي يوافق الدليل العقلي، فتكون الصفات ثابتةً لله تعالىٰ بالنقل والعقل معاً مثل: القدرة، والإرادة، والكلام، والعلو، والعزة وغيرها.

ومنها ما يكون معلوماً بالدليل السمعي فقط، وهي التي يُطلق عليها «الصفات الخبرية» بمعنىٰ أنه لا سبيل إلىٰ إثباتها إلا عن طريق السمع والخبر عن الله تعالىٰ أو عن رسوله ﷺ. ولا سبيل للعقل علىٰ انفراده إلى إثباتها. مثل صفة الاستواء، والنزول، والإتيان والمجيء، والوجه، واليدين، والعينين وغيرها.

وهذه كلها صفاتٌ ثابتةٌ لله تعالىٰ بالدلائل الشرعية التي ذكرها الله تعالىٰ

---

(١) أضواء البيان للعلامة الشنقيطي (ج ٢ ص ٣١٠).

ونَبَّه عليها.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «إنَّ كثيراً مما دل عليه السمع يُعلم بالعقل أيضاً، والقرآن يبين ما يستدل به العقل ويرشد إليه وينبه عليه، كما ذكر الله ذلك في غير موضع. فالله سبحانه وتعالىٰ يبين الآيات الدالة عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وغير ذلك، ما أرشد العباد إليه ودلهم عليه، كما بين أيضاً ما دل على نبوة أنبيائه وما دل على المعاد وإمكانه. فهذه المطالب شرعية من جهتين: من جهة أن الشارع أخبر بها، ومن جهة أنه بَيَّن الأدلة العقلية التي يُستدل بها عليها»[1].

فأهل السنة كما يستدلون بالأدلة السمعية الخبرية علىٰ إثبات الصفات لله تعالىٰ، فإنهم في الجهة المقابلة لا يهملون العقل، لما يرون من وظيفته التي أودعها الله تعالى فيه.

ويمكن أن نضرب مثالاً لما ذكرنا، بصفة العلو، فإن النصوص كلها دلت على وصف الإلٓه بالعلو والفوقية علىٰ المخلوقات، واستوائه علىٰ العرش. فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيُعلم بالعقل الموافق للسمع.

وأما استواءه على العرش فيُعلم بطريق السمع فقط»[2].

يبقى أن نقول: أن الأئمة من أهل السنة سلكوا عدةَ طرق عقلية لإثبات الصفات.

يقول ابن تيمية رحمه الله في هٰذا: «من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نظار السنة في هذا الباب:

أنه لو لم يكن موصوفاً بإحدىٰ الصفتين المتقابلتين: لَلَزِم اتصافه بالأخرىٰ، فلو لم يُوصف بالحياة لوُصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز، ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوُصف بالصمم

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص ٩٣)، تحقيق زهير الشاويش، طبع المكتب الإسلامي.

(٢) الرسالة التدمرية لابن تيمية ص ٩٣.

والخرس، والبُكْم. وطرد ذلك: أنه لو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلاً فيه. فسلبُ إحدىٰ الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرىٰ، وتلك صفة نقصٍ يُنزه عنها الكامل من المخلوقات، فتنزيه الخالق عنها أولى»[1].

وبهذا يتضح لنا الفرق بين تقسيم الأشاعرة للصفات، وبين تقسيم أهل السنة، وأن تقسيم الأشاعرة ترتب عليه من المحاذير ما ذكرناه، وأما تقسيم أهل السنة فقد كان ـ والحمد لله ـ موافقاً للأدلة الشرعية سواءً من الكتاب أو السنة.

* * *

تأويل الصفات عند الأشاعرة

عرفنا فيما سبق أن الأشاعرة استخدموا طريقةً خاصةً بهم لتقسيم وتنويع صفات الله تعالىٰ.

ومن خلال النظر في تلك التقسيمات وجدنا أن الأشاعرة لم يثبتوا لله تعالىٰ إلا بعض الصفات.

أما الصفات الأخرىٰ الكثيرة الثابتة لله تعالىٰ، والتي أثبتها سلفُ هذه الأمة لله تعالىٰ علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته وكماله، فإنَّ الأشاعرة لم يُثبتوها، بل إنهم راحوا يؤولونها ويخرجونها عن ظاهرها المراد واللائق به تعالىٰ، وهذه بعض الأمثلة لتأويلات الأشاعرة لصفات الله تعالىٰ.

١ ـ أثبت الله تعالىٰ لنفسه صفة الاستواء فقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ علىٰ العَرْشِ اسْتوىٰ﴾ [طه: ٥] فأوَّل جمهور الأشاعرة هذه الصفة وقالوا: المراد بالاستواء: القهر والغلبة والاستعلاء. وقالوا أيضاً: المراد بها الاستيلاء والقهر ونفاذ القدر وجريان الأحكام الإلٰهية.

٢ ـ أثبت الله تعالىٰ لنفسه صفة اليدين والعينين والوجه.

---

(١) الرسالة التدمرية ـ لابن تيمية (ص ٩٦).

لكن الأشاعرة أوَّلوا هٰذه الصفات وقالوا: المراد باليدين القدرة أو النعمة، والمراد بالعينين البصر، والمراد بالوجه الذات أو الوجود. وأن المقصود من ذكر الوجه في الآية إنما هو للتأكيد والمبالغة.
أما العينان فقد أوَّلوها أيضاً علىٰ شدة العناية والحراسة.

٣ ـ أثبت الله تعالىٰ له صفةَ الإتيان والمجيء، وأثبت له تعالىٰ نبيُّه ﷺ صفةَ النزول إلىٰ سماء الدنيا.

لكن الأشاعرة أوَّلوا هٰذه الصفات، وحكموا عليها بأنها غير مراده بعقولهم وقالوا: إن المراد بالنزول هو نزول الرحمة، أو نزول الأمر، أو نزول أشرافٍ من الملائكة.

وأن المراد من الإتيان: هو إتيان آيات الله، أو إتيان أمر الله وقضاءه الفصل وحكمه العدل. وأن المراد من المجيء: هو مجيء الملك.

٤ ـ أثبت النبيُّ ﷺ صفةَ القَدَم لله تبارك وتعالىٰ علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته.

لكن الأشاعرة أوَّلوا هٰذه الصفة وقالوا المراد منها: الجبار المتجبر من العباد، أو بعض الأمم المستوجبة للنار في علم الله تعالىٰ[1].

هذه بعض التأويلات التي ذكرها الأشاعرة في كتبهم، وهي غيضٌ من فيض، وليس القصد ذكرُ جميع التأويلات في هذا المقام، إنما القصد ذكر بعض التأويلات للتمثيل والتدليل علىٰ مخالفة الأشاعرة لأهل السنة والجماعة.

وسوف نذكر ـ إن شاء الله تعالى ـ هٰذه التأويلات وغيرها مفصلةً في الأبواب الأخرىٰ في هذه الرسالة، والأوجه التي تُبطل تأويلاتهم.

وهذه التأويلات وغيرها سلكها أئمة المعتزلة، وقالوا بها حينما صادمتهم

---

(١) أنظر هذه التأويلات مفصلة في الإرشاد للجويني (ص ١٥٥)، وما بعدها. وأساس التقديس للرازي (ص ٨١)، وما بعدها.

النصوص الصريحة من كتاب الله تعالىٰ، والصحيحةُ من سنة الرسول ﷺ.

يقول ابن تيمية رحمه الله مبيناً أن هٰذه التأويلات الأشعرية هي عينها تأويلات المعتزلة: «وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس ـ مثل أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر ابن فورك[1] في كتاب التأويلات، وذكرها أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سَمَّاه «تأسيس التقديس»، ويُوجد كثيرٌ منها في كلام خلق كثير غير هؤلاء، مثل أبي علي الجياني، وعبد الجبار أحمد الهمداني، وأبي الحسين البصري، وأبي الوفاء بن عقيل، وأبي حامد الغزالي وغيرهم ـ هي بعينها تأويلات بشر المريسي[2] التي ذكرها في كتابه، وإنْ كان قد يوجد في كلام بعض هؤلاء رَدُّ التأويل وإبطاله أيضاً، ولهم كلامٌ حسن في أشياء.

فإنما بينتُ أن عين تأويلاتهم هي عين تأويلات المريسي، ويدل علىٰ ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي، أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري، صَنَّفَ كتاباً سماه «نقض عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترىٰ علىٰ الله من التوحيد»، حكىٰ فيه هٰذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي، بكلامٍ يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من المتأخرين الذين اتصلت إليهم جهته وجهة غيره، ثم رَدَّ ذٰلك عثمان بن سعيد بكلامٍ إذا طالعه العاقل الذكي عَلِمَ حقيقةَ ما كان عليه السلف، وتبين له ظهورُ الحجة لطريقتهم وضعف حجة مَنْ خالفهم، ثم إذا رأىٰ الأئمة ـ أئمة الهدىٰ ـ قد أجمعوا علىٰ ذم المريسية، وأكثرهم كَفَّروهم أو ضَلَّلُوهم، وعلم أنَّ هٰذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المريسي، تبين الهدىٰ

(١) هو محمد بن الحسن بن فورك، أبو بكر الأنصاري الأصبهاني الشافعي. وكان فقيهاً أصولياً نحوياً ومتكلماً علىٰ طريقة الأشاعرة. (ت ٤٠٦هـ). سير أعلام النبلاء (١٧ : ٢١٤)، شذرات الذهب (٣ : ١٨١).

(٢) أبو عبد الرحمن بشر بن غياث البغدادي المريسي من كبار الفقهاء، وكان رأس المعتزلة في زمانه وكان جهمياً يقول بقول الجهم ولم يدركه بل تلقف مقالاته من أتباعه. وكان والده يهودياً صباغاً. (ت ٢١٨هـ). سير أعلام النبلاء (١٠ : ١٩٩)، شذرات الذهب (٢ : ٤٤).

لمن يريد الله هدايته، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

وهذه التأويلات المعتزلية والأشعرية لم تَمُتْ بموتِ أصحابها، بل وُجِد من الناس وعلىٰ مر العصور مَنْ يدعو إليها، وفي عصرنا هذا كثرت المقالات والمؤلفات لإحياء هٰذه التأويلات التي تُبْعد المسلم المؤمن كل البعد عن منهج السلف الصالح المستقيم.

يقول البوطي في بيان هذه التأويلات: ـ

«ومذهب الخلف الذين جاؤوا من بعدهم[2] هو تأويلُ هذه النصوص بما يضعها علىٰ صراطٍ واحدٍ من الوفاق من النصوص المحكمة الأخرىٰ التي تقطع بتنزه الله تعالىٰ عن الجهة والمكان والجارحة، فَفَسَّروا الاستواء في ﴿الرَّحْمٰنُ علىٰ العَرْشِ استوىٰ﴾ بتسلط القوة والسلطان، وهو معنىً ثابتٌ في اللغة معروف. وفسروا اليدين في الآية الأخرى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بالقوة والكرم. والعين ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلىٰ عَيْنِي﴾ بالعناية والرعاية. وفسروا الأصبعين في الحديث «إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن بالإرادة والقدرة»[3].

* * * *

شبهة وجوابها:

زعم بعض المتكلمين من الأشاعرة أن بعض السلف أَوَّلَ بعض الأحاديث التي ورد فيها ذكرُ الصفات الإلٰهية، وأنه أقر التأويل فيها.

فقد ذكر الرازي في كتابه «أساس التقديس» [ص ٨١] نقلاً عن الغزالي في إحيائه: أن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أَقَرَّ بالتأويل في ثلاثة أحاديث وهي:

---

(١) الفتوى الحموية الكبرىٰ لابن تيمية (ص ١٤ ـ ١٥).

(٢) الضمير يعود علىٰ السلف.

(٣) كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ص ١٢٥) دار الفكر.

الأول :قوله ﷺ: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض».
الثاني :قوله ﷺ: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن».
الثالث :قوله ﷺ: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن».

وهٰذا الكلام باطلٌ من أساسه، ولا يصح عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كيف وهو الذي كَرَّسَ وقته وجهده للدفاع عن العقيدة السلفية، والرد علىٰ المعتزلة والجهمية القائلين بالتأويل الفاسد ولوازمه، كيف والكل يعرف صبره وثباته علىٰ الحق في المحنة التي أشعل نيرانها المعتزلة. كيف يُقال في حق مَنْ كان هٰذا حاله: أنه أَوَّلَ بعض أحاديث الصفات؟!!!

ولقد رَدَّ الإمام ابنُ تيمية رحمه الله علىٰ هذه الفرية وفَنَّدها فقال:

«وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية: أن الإمام أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء ـ ثم ذكر الأحاديث ـ فهذه الحكاية كذبٌ علىٰ أحمد، لم ينقلها أحدٌ عنه بإسناد، ولا يُعرف أحدٌ من أصحابه نقل ذلك عنه. وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد مجهول لا يعرف لا علمه بما قال، ولا صدقه فيما قال»[1].

وأما الجواب عن الأحاديث الثلاثة فإليك ما قاله العلماء عنها فقد ذكروا فيها ما يأتي:

الحديث الأول: قالوا عنه إنه حديث موضوع باطل لا يصح عن النبي ﷺ.

قال ابن الجوزي فيه: هٰذا حديث لا يصح.
وقال ابن العربي: هٰذا حديث باطل لا يُلتفت إليه[2].

كما بين الشيخ الألباني بطلان هذا الحديث، وذكر أقوال أئمة الحديث فيه[3].

---

(١) الفتاوىٰ لابن تيمية (ج ٥ ص ٣٩٨).
(٢) العلل المتناهية لابن الجوزي (ج ٢ ص ٨٥) مطبعة إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد الباكستان.
(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (ص ٢٥٧) طبع المكتب الإسلامي.

قال ابن تيمية رحمه الله: «وأما الحديث الأول: فقد رُويَ عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت.

والمشهور إنما هو عن ابن عباس قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صافحه وقبَّله فكأنما صافح الله وقبل يمينه.

ومَنْ تَدَبَّر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه إلا علىٰ مَنْ لم يتدبره. فإنه قال:

«يمين الله في الأرض» فقيده بقوله: «في الأرض» ولم يُطلق فيقول: يمين الله، وحكم اللفظ المقيد يُخالف حكم اللفظ المطلق. ثم قال: «فَمَن صافحه وقَبَّله فكأنما صافح الله وقبل يمينه» ومعلوم أن المشبه غير المشبه به، وهٰذا صريحٌ في أن المصافح لم يصافح يمينَ الله أصلاً، ولكن شُبِّهَ بمن يصافح الله، فأول الحديث وآخره يبين أن الحَجَر ليس من صفات الله كما هو معلوم عند كل عاقل، ولكن يُبين أن الله تعالىٰ كما جعل للناس بيتاً يطوفون به، جعل لهم ما يستلمونه»[1].

وأما الحديث الثاني فقد رواه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة رضي الله عنه[2].

وهٰذا الحديث علىٰ ظاهره، لأن النفس اسم مصدر من نَفَّسَ يُنَفِّسُ تنفيساً ونفساً. مثل قولهم: فَرَّجَ يفرج تفريجاً وفرجاً. هٰكذا قال أهل اللغة. قال ابن الأثير في النهاية: «النفس من نَفَّسَ يُنَفِّسُ تنفيساً ونفساً كما يقال: فَرَّجَ يُفَرِّجُ تفريجاً وفرجاً. كأنه قال: أجد تنفيس ربكم من قبل اليمن»[3].

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة: «والنفس: كل شيء يفرج به عن مكروب»[4].

---

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (ج ٦ ص ٣٩٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (ج ٢ ص ٥٤١) المكتب الإسلامي بيروت.

(٣) النهاية لابن الأثير (ج ٥ ص ٩٤)، تحقيق محمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية.

(٤) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ج ٥ ص ٤٦٠) تحقيق عبد السلام هارون، =

وبهذا يزول الإشكال حول الحديث، ويكون المعنىٰ: أن تنفيس الله تعالىٰ عن المؤمنين وما يُلاقونه من كربات إنما يكون في جهة اليمن.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أهل اليمن: «وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة، وفتحوا الأمصار، فبهم نَفَّسَ الرحمن عن المؤمنين الكربات»[1].

أما الحديث الثالث فقد رواه الإمام مسلم في صحيحه عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد يُصَرِّفُه حيث يشاء»[2].

والسلف رضي الله عنهم أثبتوا لله تعالىٰ الأصابع علىٰ ما يليق بجلاله تعالىٰ وعظمته، ولم يعرف عن أحد منهم أنه تَأَوَّلَ شيئاً في هذا الحديث الصحيح.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «أما قوله: قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن. فإنه ليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع، ولا مماس لها، ولا أنها في جوفه، ولا في قول القائل هٰذا بين يدي ما يقتضي مباشرته ليديه؟

وإذا قيل السحاب المسخر بين السماء والأرض، لم يقتض أن يكون مماساً للسماء والأرض ونظائر هذا كثيرة»[3].

وبهذا يُعلم أن الإمام أحمد رحمه الله بريءٌ مما نُسب إليه من كلامٍ لا يُقال في حق إنسان عادي فضلاً عن أن يكون إمام أهل السنة.

= مطبعة مصطفىٰ البابي الحلبي، مصر.

وانظر أيضاً ترتيب القاموس المحيط (ج ٤ ص ٤١٤) ترتيب الطاهر أحمدالزواوي مطبعة عيسىٰ البابي، مصر.

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (ج ٦ ص ٣٩٨).

(٢) مسلم في القدر، باب تصريف الله القلوب كيف شاء (ج ٤ ص ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٤).

(٣) الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص ٤٩).

وبهذا يتضح أن ما أثاره الأشاعرة حول هذه الأحاديث الثلاثة لا أصل له وذلك بما اتضح من أن:

الحديث الأول باطل وموضوع لا يصح رفعه إلىٰ النبي ﷺ. وإنما هو من كلام ابن عباس. وقد شرحه ابن تيمية وبَيَّنَ أنه واضح لمن تدبر معناه لأنه قيده بقوله: «يمين الله في الأرض» ولم يُطلق فيقول «يمين الله».

وأما الحديث الثاني فقد ذكرنا عن أهل اللغة ما قيل فيه وأنه ليس من أحاديث الصفات.

وأما الحديث الثالث فقد رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه ولا إشكال فيه، بل هو علىٰ ظاهره اللائق بالله تعالىٰ كغيره من أحاديث الصفات، ومنهج السلف في هذا الباب واضحٌ كما مر ذكره.

معاني التأويل:

عرفنا أن الأشاعرة ذهبوا إلىٰ تأويل صفات الله تعالى، ولكن نريد أن نعرف الآن ما هي إطلاقات التأويل.

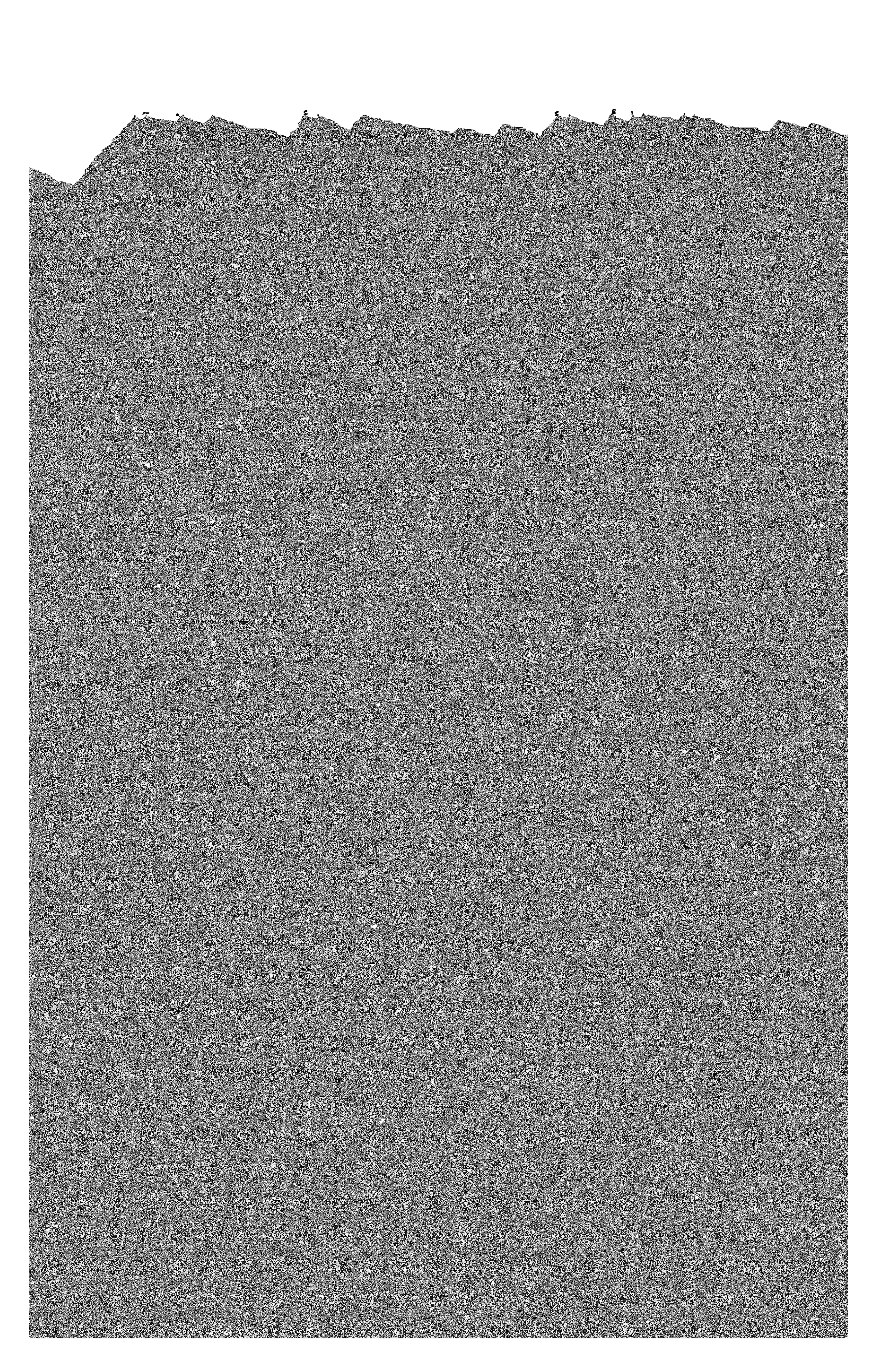
يُطلق التأويل ويراد به ثلاثة معان: ـ

الأول: يُطلق التأويل ويُراد به: تفسير الكلام وبيان معناه، سواءً وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير متقاربان أو مترادفان، وهٰذا ـ والله أعلم ـ هو الذي عناه مجاهد من أن العلماء يعلمون تأويله.

الثاني: يُطلق التأويل ويراد به: الحقيقة الخارجية التي يؤول إليها الكلام في الواقع ونفس الأمر.

وهذا المعنىٰ هو الذي ذكره الله سبحانه في كتابه في كثيرٍ من الآيات، كقوله حكاية عن المشركين وتكذيبهم لأخبار القيامة والمعاد:

﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْويلُه يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جآءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].



والـرَّاسِخُـون في العلم﴾ [آل عمـران: ٧] كمـا نقــل ذلـك عن ابن عبــاس ومجاهد ومحمـد بن جعفر بن الـزبير ومحمـد بن إسحاق وابن قتيبـة وغيرهم، وكلا الوقفين جائز وحق باعتبار[١].

والمعنىٰ الثاني مذكورٌ في كثير من الآيات القرآنية كما ذكرنا. والتـأويل بهذا المعنىٰ قد استُعمل في نوعي الكلام، لأن الكلام نوعان:

إنشاء: ويشتمل علىٰ أمور الشريعة من الأوامر والنواهي.

وإخبار: وهٰذا يشتمل علىٰ إخبار الله عن أمور الغيب كالقيامة وأحوالها، والبعث، والوعد والوعيد، ومن هٰذا النوع أيضاً آيات الصفات التي وصف الله بهـا نفسه. وتـأويل النـوع الأول: هو تنفيـذ الأوامـر والنـواهي، وإيجـادُ نفس الفعل المأمور به. ومن هنا قال بعض السلف: إن السنة هي تأويل الأمر.

ومن هٰذا أيضاً قول السيدة عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعـه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي»، يتأول القرآن[٢]. تعني قوله تعالى: ﴿فَسَبِّح بِحَمْدِ رَبِّك واسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾.

وتأويل النوع الثاني: هو عين المخبر به إذا وقع وتحقق وجـوده، وليس تأويله فهم معناه. وهذا النوع لا يعلم حقيقته كيفاً وقدراً وصفة إلا الله تعالىٰ. فتأويل ما أخبر الله به في الجنة ـ من الأكل والشرب واللباس والنكاح وغيرها ـ ومـا أخبـر بــه في قـولــه: ﴿فَـلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَــا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُـرَّةِ أَعْيُن﴾ [السجدة: ١٧].

وما أخبر به أيضاً في الحديث القدسي: «أعددتُ لعبادي الصـالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر علىٰ قلب بشر»[٣].

---

(١) انظر الفتاوى (ج ١٣ ص ٢٢٨) والرسالة التدمرية (ص ٥٨).

(٢) البخاري في كتاب الأذان، بـاب التسبيح والـدعاء في السجـود (ج ٢ ص ٢٩٩) فتح البـاري رقم الحديث ٨١٧).

(٣) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلوا كَلامَ الله﴾ (ج ١٣ ص ٤٦٥ مـع فتح البـاري رقم ٧٤٩٨) ومسلم في الإيمان، بـاب أدنى أهـل الجنـة منـزلـة فيهـا (ج ١ ص ١٧٦، رقم ١٨٩).

وما أخبر به أيضاً عن الساعة وقيامها ونحو ذلك، فتأويل هذه الغيبيات كلها هي الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان ويُعبر عنها باللسان، وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه، كما قال تعالىٰ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفالُها﴾ [محمد: ٢٤] ﴿أَفَلَمْ يدَّبَّروا القَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨] فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه.

وتأويل ما أخبر الله به عن نفسه المقدسة المتصفة بما لها من حقائق الصفات، هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها وهو الكيف المجهول.

فالاستواء مثلاً صفةٌ ثابتةٌ لله تعالىٰ وصف الله بها نفسه المقدسة، فهذه الصفة معلومة بعلم معناها، وتفسر وتترجم بلغة أخرى وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ(١).

أما المعنىٰ الثالث من معاني التأويل فهٰذا هو الذي لم يكن معروفاً في زمن سلف هذه الأمة وإنما وجد واصطلح عليه بعد انتهاء القرون الثلاثة الأولىٰ المفضلة. وهو كما يقول ابن تيمية: الذي عناه كثير من المتأخرين الذين تكلموا في تأويل نصوص الصفات(٢).

وأصبح هٰذا المعنىٰ هو المقصود عند إطلاق كلمة التأويل، وأصبح من الشهرة بحيث تنوسي أو تجوهل بجانبه المعنىٰ الصحيح والمستقيم الذي كان يستخدمه السلف في بيان معنى التأويل.

واستطاع المعنيون بالتأويل من رجال علم الكلام والأصول أن يفسحوا لهذا المعنىٰ المتأخر مجالاً في القواميس اللغوية المتأخرة التي دونت بعد القرون الثلاثة الأولىٰ للهجرة(٣).

---

(١) انظر الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص ٥٨) والفتوىٰ الحموية (ص ٢١)، وابن تيمية وقضية التأويل، د. محمد السيد الجليند (ص ٤٥).

(٢) انظر الرسالة التدمرية (ص ٥٩).

(٣) انظر ابن تيمية وقضية التأويل (ص ٤٥).

يقول الدكتور محمد السيد عن هٰذا المعنى للتأويل:

١ - «لم يرد هذا المعنىٰ في معاجم القرن الرابع الهجري، ومعنىٰ ذٰلك أنه لم يكن معروفاً بين رجال اللغة والمعنيين بها، ولم يكن مشتهراً بينهم حتىٰ ذٰلك التاريخ.

٢ - روىٰ ابنُ منظور هٰذا المعنىٰ عن «ابن الأثير» ورواه الزبيدي عن «ابن الكمال» و«السبكي» و«ابن الجوزي» وهؤلاء ليسوا رواة لغة ولا محدثين بها، بل لم يكن واحدٌ منهم موجوداً في عصر الرواية، فلا يُعتد بكلامهم في ذلك، ولم يُعرف عن أحدٍ منهم أنه اشتغل برواية اللغة، وإنما هم بين فقيهٍ أو متكلمٍ أو أصولي.

٣ - إن رواية هذا المعنىٰ جاءت مجردة عند كل منهما عن الأمثلة والشواهد، التي تبين استعمال التأويل في هٰذا المعنىٰ الذي أرادوا توضيحه، وهٰذا عكس ما عهدناه منهما إزاء الاستعمالين الآخرين للفظ التأويل، حيث أورد كل منهما من الأمثلة والشواهد ما وضح به المعنىٰ المراد من الكلمة، ويترتب علىٰ هٰذه الملاحظة نتيجةٌ مهمةٌ وهي: أن الكلمة لم تُستعمل في هٰذا المعنىٰ مطلقاً بين رجال اللغة في العصور المتقدمة، إذ لو استعملت عندهم في ذٰلك المعنىٰ لأوردوا لها أمثلة وشواهد توضيحية، كما فعلوا إزاء الاستعمالين الآخرين»[1].

وهٰذاالاصطلاح قد يكون فيه معنىً صحيحٌ دل عليه الدليل، مثل تأويل قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. إلىٰ أن المعنىٰ: إذا أردت أن تقرأ القرآن[2].

أما إذا استخدم في تأويل صفات الله تعالىٰ، وصرفها عن ظاهرها اللائق بالله تعالىٰ مثل تأويل الاستواء بالاستيلاء، واليد بالنعمة أو القوة

---

(١) ابن تيمية وقضية التأويل (ص ٣٥).

(٢) انظر فتح رب البرية بتلخيص الحموية، للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٥٧)، مطبوعات إدارة المعاهد العلمية.

وغيرها من التأويلات، فحينئذ يكون تأويلاً فاسداً وباطلاً لا حقيقة له، ويكون تحريفاً للكلم عن مواضعه.

وفي هذا يقول ابن تيمية رحمه الله: «أما التأويل المذموم والباطل: فهو تأويلُ أهل التحريف والبدع، الذين يتأولونه علىٰ غير تأويله، ويَدَّعُونَ صرف اللفظ عن مدلوله إلىٰ غير مدلوله بغير دليلٍ يُوجب ذلك، ويَدَّعُون أن في ظاهره من المحذور ما هو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل، ويصرفونه إلىٰ معانٍ هي نظير المعاني التي نفوها عنه، فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه، فإنْ كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفي مثله، وإن كان المنفي باطلاً ممتنعاً كان الثابت مثله»[1].

فمن هٰذا يتبين أن التأويل الحق والصحيح هو الذي استخدمه سلف هٰذه الأمة ودل عليه القرآن الكريم. والتأويل الذي استخدمه الأشاعرة واستغلوه لما ذهبوا إليه، يكون باطلاً وممتنعاً لا حقيقة له وهو بمثابة تحريف الكلم عن مواضعه.

* * * *

الشبه التي اعتمدها الأشاعرة لتأويل الصفات

عرفنا أن السلف أثبتوا لله تعالىٰ جميع الصفات التي أثبتها الله تعالىٰ لنفسه، والتي أثبتها له نبيه ﷺ من غير تمثيلٍ ولا تكييفٍ، ونفوا عنه ما نفاه تعالىٰ عن نفسه وما نفاه عنه نبيه ﷺ من غير تعطيلٍ ولا تحريفٍ.

وعرفنا أيضاً أن الأشاعرة ذهبوا إلى تأويل جميع الصفات عدا بعض الصفات التي أثبتوها وأطلقوا عليها الصفات العقلية، وأنهم اختاروا المعنى الثالث من معاني التأويل الذي يتماشىٰ ويتناسب مع ما ذهبوا إليه.

والذي دعىٰ الأشاعرة إلىٰ هذا التأويل اعتمادهم علىٰ شبهٍ - هي في

---

(١) الرسالة التدمرية - لابن تيمية (ص ٧١).

الحقيقة أوهىٰ من بيت العنكبوت ـ جعلوها أدلةً قطعية وأسساً يقينيةً لا يمكن التخلي عنها بحالٍ من الأحوال، ولا يمكن لأحدٍ أن يبحث في صفات الله تعالىٰ بمعزلٍ عنها.

الشبهة الأولى والرد عليها:

الشبهة الأولىٰ التي اعتمدها الأشاعرة لتأويل صفات الله تعالى هي: تقديم العقل علىٰ النقل عند التعارض.

يقول الرازي الذي اعتبر هذه الشبهة القانون الكلي للمذهب الأشعري «في الصفات»: الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضةً بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها؟

اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوتِ شيءٍ ثم وجدنا أدلةً نقليةً يُشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلو الحال من أحد أمورٍ أربعة:

إما أن يصدق مقتضىٰ العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين وهو محال. وأما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال. وإما أن يصدق الظواهر النقلية ويكذب الظواهر العقلية وذلك باطل. لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته وكيفية دلالة المعجزة علىٰ صدق الرسول ﷺ وظهور المعجزات علىٰ محمد ﷺ.

ولو جَوَّزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهماً غير مقبول القول. ولو كان كذٰلك لخرج أن يكون مقبول القول في هٰذه الأصول وإذا لم تثبت هٰذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة. فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يُفضي إلىٰ القدح في العقل والنقل معاً وأنه باطل. ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبقَ إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هٰذه الدلائل النقلية إما أن يُقال أنها غير صحيحة، أو يقال أنها صحيحة، إلا أن المراد منها غير ظواهرها»[1].

---

(١) أساس التقديس (ص ١٦٨) وانظر أيضاً الإرشاد للجويني (ص ٣٥٩).

وهذه الشُّبهَة وجدت لها مكاناً كبيراً وواسعاً في أفكار الأشاعرة قاطبة، بحيث أصبحت قضيةً مسلمةً لا تقبل الجدل ولا النقاش.

ولهذا تجد القدماء منهم أمثال الجويني يجعلها أصلاً من أصول العقائد، وأخذها عنه تلميذه الغزالي وذكرها في كتابه «قانون التأويل» ثم تناقلها القوم حتىٰ أصبحت قانوناً كلياً للمذهب الأشعري[1].

وهم بهذه الشبهة ضَيَّقوا واسعاً وجَمَّدوا كل النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وسدوا علىٰ القلوب معرفةَ الله تبارك وتعالىٰ ومعرفة صفاته وأسمائه من جهة الكتاب ومن جهة سنة الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوىٰ. وأحالوا الناس إلىٰ قضايا وهميةٍ ومقدمات خيالية اصطنعوها من عند أنفسهم سموها قواطع عقلية وبراهين يقينية وهي في التحقيق كما قال تعالىٰ: ﴿كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآن ماءً حَتىٰ إذا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً، وَوَجَدَ الله عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَالله سَرِيعُ الحِسابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٣٩ - ٤٠].

ومن العجب أنهم قَدَّموها علىٰ نصوص الوحي وعزلوا لأجلها النصوص، ولم يظفروا بالعقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية. ولو حَكَّموا نصوص الوحي لفازوا بالمعقول الصحيح الموافق للفطرة السليمة[2].

ولقد تصدىٰ لهذه الشبهة الإمام ابنُ تيمية وأَلَّفَ فيها مؤلفاً ضخماً سماه «درء تعارض العقل والنقل» والذي استفتحه بالقانون الكلي للأشاعرة الذي ذكره الرازي ورَدَّ عليه وفَنَّدَهُ بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة، وجَمَعَ أوجهاً عديدةً لإبطال هذه الشبهة بلغت أربعةً وأربعين وجهاً.

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ج ١ ص ٦).

(٢) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ٣٩٨).

وسأذكر بعضاً من هٰذه الوجوه التي تُبَيِّنُ عدمَ صحة ما ذهب إليه الأشاعرة.

من هذه الوجوه: أن قوله: إذا تعارض النقل والعقل. إما أن يريد به القطعيين، فلا نسلمُ إمكان التعارض حينئذٍ. وإما أن يريد به الظنيين، فالمقدم هو الراجح مطلقاً. وإما أن يُريد به ما أحدهما قطعي، فالقطعيُ هو المقدم مطلقاً، وإذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعياً لا لكونه عقلياً. فعُلم أن تقديم العقلي مطلقاً خطأ، كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقلياً خطأ.

ومنها: إذا علم صحة السمع، وأن ما أخبر به الرسول فهو حق، فأما أن يعلم أنه أخبر بمحل النزاع، أو يُظن أنه أخبر به، أو لا يُعلم ولا يُظن. فإن علم أنه أخبر به امتنع أن يكون في العقل ما يُنافي المعلوم بسمعٍ أو غيره. فإن ما عُلم ثبوته أو انتفاؤه لا يجوز أن يقوم دليلٌ يناقض ذلك.

وإن كان مظنوناً أمكن أن يكون في العقل علمٌ ينفيه، وحينئذ فيجب تقديم العلم علىٰ الظن، لا لكونه معقولاً أو مسموعاً بل لكونه علماً.كما يجب تقديمُ ما عُلم بالسمع علىٰ ما ظُنَّ بالعقل، وإن كان الذي عارضه من العقل ظنياً، فإن تكافأ وقف الأمر، وإلا قُدِّمَ الراجح. وإن لم يكن في السمع علمٌ ولا ظنٌ فلا معارضة حينئذ، فتبين أن الجزم بتقديم العقل مطلقاً خطأ وضلال[1].

ومنها: إذا تعارض الشرع والعقل وَجَبَ تقديمُ الشرع، لأن العقل مصدقٌ للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يُصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوفٌ علىٰ كل ما يخبر به العقل. ومعلومٌ أن هذا إذا قيل أوجه من قولهم، كما قال بعضهم: يكفيك من العقل أن يعلمك صدق الرسول ومعاني كلامه. وقال بعضهم: «العقل متولٍ وَلَّى الرسول ثم عزل نفسه» لأن العقل دل على أن الرسول ﷺ يجب تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر.

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ٨٦).

ويضرب شيخ الإسلام لهذا الوجه بمثال بمن كان خبيراً بالطب أو بالقيافة أو الخرص أو تقويم السلع ونحو ذلك، وعَلِمَ الناسُ بذلك وشهدوا لهم بخبرتهم. وثبت عند الحاكم أنه عالمٌ بذلك دونهم أو أنه أعلم منهم بذلك، ثم نازع الشهود الشاهدون لأهل العلم بالطب والقيافة والخرص والتقويم، أهل العلم بذلك، وجب تقديمُ قولِ أهل العلم بذلك علىٰ قول الشهود الذين شهدوا لهم، وإن قالوا: نحن زكينا هؤلاء وبأقوالنا ثبتت أهليتهم، فالرجوع في محل النزاع إليهم دوننا يقدح في الأصل الذي ثبت به قولهم.

قيل لهم: أنتم شهدتم بما علمتم مِنْ أنه من أهل العلم بالطب أو التقويم أو الخرص أو القيافة ونحو ذلك، وأنَّ قوله في ذٰلك مقبولٌ دون قولكم، فلو قَدَّمنا قولكم عليه في هٰذه المسائل لكان ذلك قدحاً في شهادتكم وعلمكم بأنه أعلم منكم بهٰذه الأمور، وإخباركم بذٰلك لا يُنافي قَبول قوله دون أقوالكم في ذلك، إذ يمكن إصابتكم في قولكم: هو أعلم منا، وخطؤكم في قولكم: نحن أعلم ممن هو أعلم منا فيما ينازعنا فيه من المسائل التي هو أعلم بها منا، بل خطؤكم في هٰذا أظهر. ومن المعلوم أن مباينة الرسول ﷺ لذوي العقول أعظمُ من مباينة أهل العلم بالصناعات العلمية والعملية والعلوم العقلية والاجتهادية كالطب والقيافة والخرص والتقويم لسائر الناس، فإن من الناس مَنْ يمكنه أن يصير عالماً بتلك الصناعات العلمية والعملية كعلم أربابها بها، ولا يمكن مَنْ لم يجعله الله رسولاً إلىٰ الناس أن يصير بمنزلة مَنْ جعله الله تعالىٰ رسولاً إلىٰ الناس، فإن النبوة لا تُنال بالاجتهاد كما هُو مذهب أهل الملل. وإذا كان الأمر كذٰلك فإذا عَلِمَ الإنسانُ بالعقل أن هٰذا رسول الله وعلم أنه أخبر بشيءٍ، ووجد في عقله ما يُنازعه في خبره، كان عقله يُوجب عليه أن يسلم موارد النزاع إلىٰ مَنْ هو أعلم به منه، وأن لا يُقَدِّمَ رأيه علىٰ قوله، ويعلم أن عقله قاصرٌ بالنسبة إليه، وأنه أعلم بالله تعالىٰ وأسمائه وصفاته واليوم الآخر منه، وأن التفاوت الذي بينهما في العلم بذٰلك أعظم من التفاوت الذي بين العامة وأهل العلم بالطب والخرص فالتقويم وغيرها[1].

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ١٣٨).

ومنها: أن تقديم المعقولات على الأدلة الشرعية ممتنعٌ متناقض، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكنٌ مؤتلف فوجب الثاني دون الأول، وذٰلك لأن كون الشيءِ معلوماً بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيءٍ من الأشياء، بل هو من الأمور النسبية الإضافية، فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بَكْرٌ بعقله، وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقتٍ آخر.

والمسائل التي يُقال إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء، ولم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا، بل كُلٌّ من العقلاء يقول: إن العقل أثبت، أو أوجب أو سَوَّغ ما يقول الآخر: أن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه، بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون إنه من العلوم الضرورية فيقول هٰذا نحن نعلم بالضرورة العقلية، ما يقول الآخر: إنه غير معلوم بالضرورة العقلية. وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق، وهٰذه ـ صفةٌ لازمةٌ له ـ لا تختلف باختلاف أحوال الناس، والعلم بذلك ممكنٌ وَرَدُّ الناس إليه ممكن، ولهٰذا جاء التنزيل بِرَدِّ الناسِ عند التنازع إلى الكتاب والسنة كما قال تعالىٰ: ﴿يا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]. فأمر تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول، وهٰذا يُوجب تقديم السمع، وهٰذا هو الواجب إذ لو رُدوا إلى غير ذٰلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يَزدهم هٰذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً وشكاً وارتياباً.
ولذلك قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ الله النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيما اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. فأنزل الله الكتاب حاكماً بين الناس فيما اختلفوا فيه، إذ لا يمكن الحكم بين الناس في موارد النزاع والاختلاف على الإطلاق إلا بكتابٍ منزلٍ من السماء، ولا ريب أن بعض الناس قد يعلم بعقله ما لا يعلمه غيره، وإن لم يمكنه بيانُ ذٰلك لغيره، ولكن ما عُلم بصريح العقل لا يُتصور أن

يُعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يُعارضه معقول صريح قط[1].

ومنها: أن يُقال: الأمور النقلية التي يُقال: إن العقل عارضها، كإثبات الصفات والمعاد ونحو ذٰلك هي مما عُلم بالإضطرار أن الرسول ﷺ جاء بها وقالها، وما كان معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام امتنع أن يكون باطلاً مع كون الرسول ﷺ رسول الله حقاً، فَمَنْ قَدَحَ في ذٰلك وادعىٰ أن الرسول ﷺ لم يجيء به، كان قوله معلوم الفساد وواضح البطلان بالضرورة من دين المسلمين[2]. ومنها أيضاً: أن يُقال: كونُ الدليل عقلياً أو سمعياً ليس هو صفةٌ تقتضي مدحاً ولا ذماً، ولا صحةً ولا فساداً، بل ذٰلك يُبين الطريق الذي به علم وهو السمع أو العقل، وإن كان السمع لا بد معه من العقل، وكذلك كونه عقلياً أو نقلياً. أما كونه شرعياً فلا يُقابل بكونه عقلياً، وإنما يُقابل بكونه بدعياً، إذ البدعة تقابل الشرعة، وكونه شرعياً صفةُ مدحٍ، وكونه بدعياً صفةُ ذمٍ، وما خالف الشريعة فهو باطل.

ثم الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً، فإن كون الدليل شرعياً يُراد به كون الشرع أثبته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أُريد بالشرعي ما أثبته الشرع فإما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً ولٰكن الشرع نبه عليه ودل عليه فيكون شرعياً عقلياً. وهذا كالأدلة التي نَبَّهَ الله تعالىٰ عليها في كتابه العزيز من الأمثال التي ضربها الله تعالىٰ وغيرها الدالة علىٰ وحدانيته وصدق رسوله وإثبات صفاته وأسمائه وإثبات المعاد واليوم الآخر، فتلك كلها أدلةٌ عقليةٌ تُعلم صحتها بالعقل. وهي براهين ومقاييس عقلية وهي مع ذٰلك شرعية. وإما أن يكون الدليل الشرعي لا يُعلم إلا بمجرد خبر الصادق فإنه إذا أخبر بما لا يُعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً[3].

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ففي الجملة: النصوص الثابتة في الكتاب والسنة لا يُعارضها معقولٌ بَيِّنٌ قط، ولا يعارضها إلا ما فيه اشتباه واضطراب.

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ١٤٤).

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ١٩٥).

(٣) المرجع السابق (ج ١ ص ١٩٨).

وما علم أنه حق لا يعارضه ما فيه إضطراب واشتباه لم يعلم أنه حق.

. . . ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه يجب علىٰ الخلق الإيمان بالرسول إيماناً مطلقاً جازماً عاماً، بتصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أوجب وأمر، وأنَّ كل ما عارض ذٰلك فهو باطل، وأن مَنْ قال: يجب تصديقُ ما أدركتُه بعقلي وَرَدُّ ما جاء به الرسول لرأيي وعقلي، وتقديمَ عقلي علىٰ ما أخبر به الرسول، مع تصديقي بأن الرسول صادق فيما أخبر به، فهو متناقضٌ فاسد العقل ملحدٌ في الشرع. وأما مَن قال: لا أصدق ما أخبر به حتىٰ أعلمه بعقلي فكفره ظاهر، وهو ممن قيل فيه: ﴿وإذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتىٰ نُؤْتىٰ مِثْلَ ما أُوتيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

. . . ومَنْ عارض ما جاءت به الرسل برأيه فله نصيب من قوله تعالىٰ: ﴿كذٰلِكَ يُضِلُّ الله مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤] وقوله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يُجادِلُون فِي آياتِ الله بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ الله وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذا يَطْبَعُ الله عَلىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. . . والسلطان: هو الكتاب المنزل من السماء، فكل مَنْ عارض كتاب الله المنزل بغير كتاب الله الذي قد يكون ناسخاً له أو مفسراً له، كان قد جادل في آيات الله بغيرِ سلطانٍ أتاه»[1].

هٰذا الذي ذكرناه عن ابن تيمية ورَده علىٰ الأشاعرة في شبهتهم تقديم العقل علىٰ النقل عند التعارض يُعتبر غيضٌ من فيضٍ.

وأخيراً: إن النصوص الشرعية ـ من الكتاب أو السنة ـ هي الإمام التي ينبغي الانقياد لها، والخضوع لها، والاقتداء بها، والرجل لا يصبح مؤمناً صادقاً حتىٰ يؤمن بجميع النصوص الواردة في الكتاب أو السنة الصحيحة، ولا يتكلم في دين الله تعالىٰ ـ خصوصاً ما يتعلق بالذات الإلٰهية ـ إلا تبعاً لما جاءت به الأدلة النقلية، فلا يعمل عقله وهواه ورأيه في دين الله أبداً، بل

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٠).

عليه أن يفهم بعقله آيات الصفات ويؤمن بها، ويفوض كيفياتها وحقائقها إلىٰ الله تعالىٰ، لأن السيادة لله تعالىٰ وحده فهو المشرع، وهو العالم بمصالح العباد وهو العالم بصفاته وأسمائه، يُثبت له ما يشاء وينفي عنه ما يشاء، وليس للعقل إلا أن يصدق ذلك ويفهمه ويؤمن به.

* * * *

الشبهة الثانية والرد عليها:

الشبهة الثانية التي اعتمدها الأشاعرةُ لتأويل الصفات هي: ظاهر نصوص الصفات يُوهم التشبيه، وأن ظاهرها غير مرادٍ لله تعالىٰ، بل مرادُ الله منها شيءٌ آخرُ غير ظواهرها. وبناءً علىٰ هٰذا يجب الخوضُ في صرفها عن ظاهرها وتأويلها[1].

ولهٰذا نجد ابنَ فورك الذي أَوَّلَ جميعَ نصوص الصفات في كتابه «مشكل الحديث» نجده يذكر هذه العبارة: «ذِكرُ خبرٍ مما يقتضي التأويل ويُوهم ظاهره التشبيه». ليدلل بهٰذه العبارة علىٰ أن نصوص الصفات ظاهرها التشبيه وما لا يليق بالله تعالىٰ[2]. وعلىٰ هذا مشىٰ الأشاعرة ونظموا هذه الشبهة فقال قائلهم:

وكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا ... أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تنزيها

قال البيجوري شارحاً هٰذا الكلام:

«والمراد بالنص هُنا ما قابل القياس والاستنباط والإجماع، وهو الدليلُ من الكتاب أو السنة سواءً كان صريحاً أو ظاهراً»[3].

وبناءً علىٰ هٰذه الشبهة أصدر السنوسي ـ وهو من أساطين الأشاعرة ـ حكماً قياسياً علىٰ كل من اعتقد هٰذه الظواهر فقال في شرح الكبرىٰ: ـ

«وأما مَنْ زعم أن الطريق بدأ إلىٰ معرفة الحق الكتاب والسنة ويحرم ما

---

(١) انظر أساس التقديس للرازي (ص ١٨٢).

(٢) انظر علىٰ سبيل المثال لا الحصر (ص ٤٢، ٤٤، ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٥٧، ٦٦، ٧٠) من كتاب مشكل الحديث.

(٣) تحفة المريد علىٰ جوهرة التوحيد للبيجوري (ص ٥٦).

سواهما، فالرد عليه أن حجتيهما لا تُعرف إلا بالنظر العقلي، وأيضاً فقد وقعت فيهما ظواهر مَنْ اعتقدها علىٰ ظاهرها كَفَرَ عند جماعةٍ وابتدع»[1].

وقال أيضاً: «أصول الكفر ستة: « . . . ثم عد خمسةً وقال: سادساً: التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها علىٰ البراهين العقلية والقواطع الشرعية، للجهل بأدلة العقول، وعدم الإرتباط بأساليب العرب.

والتمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل هو أصل ضلالة الحشوية فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملاً بظاهر قوله تعالى: ﴿الرَّحْمٰنُ علىٰ العَرْشِ اسْتَوىٰ﴾ ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمآءِ﴾ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ونحوها»[2].

وحقيقة قول الأشاعرة هذا: أن الله تعالىٰ وصف نفسه في كتابه بما ظاهره التشبيه، وما لا يليق به تعالىٰ، وكذٰلك يكون النبي ﷺ قد وصف ربه بأوصافٍ هي في ظاهرها لا تدل إلا علىٰ التشبيه. والنبي ﷺ لم يوضح ولم يبين ما المراد من الصفات التي وصف الله تعالىٰ بها نفسه في كتابه. ولا شك أن هذا طعنٌ في الكتاب وطعنٌ في الرسول ﷺ ووظيفته التي أُرسل من أجلها.

والأشاعرة لم يفهموا من صفات الله تعالىٰ إلا ما هو من صفات المخلوقين ونعوت المحدَثين، فجعلوا للظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنىً باطلاً وفاسداً.

يقول ابن تيمية رحمه الله: إن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هٰذا غير مراد، ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمون هٰذا ظاهرها، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلاً، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم وأحكم من أن

---

(١) شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى للسنوسي (ص ٥٠٢) مطبعة مصطفىٰ الحلبي.

(٢) حاشية الدسوقي علىٰ أم البراهين لمحمد الدسوقي (ص ٢١٩). مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر أو ضلال.

والذين يجعلون ظاهرها ذلك يغلطون من وجهين: -

تارةً يجعلون المعنىٰ الفاسد ظاهر اللفظ، حتىٰ يجعلوه محتاجاً إلىٰ تأويلٍ يخالف الظاهر، ولا يكون كذلك.

وتارةً يَردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ، لاعتقادهم أنه باطل»[1].

ويقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله موضحاً هذا القول ومبيناً فساده وبطلانه:

«إعلم أولاً: أنه غلط في هذا خلقٌ لا يُحصىٰ كثرةً من المتأخرين، فزعموا أن الظاهر المتبادر السابق إلىٰ الفهم من معنىٰ الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث، وقالوا: يجب علينا أن نصرفه عن ظاهره اجماعاً لأن اعتقاد ظاهره كفر، لأن مَنْ شَبَّهَ الخالق بالمخلوق فهو كافر.

ولا يخفىٰ علىٰ أدنىٰ عاقلٍ أن حقيقة معنىٰ هٰذا القول أن الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلىٰ الفهم الكفر بالله والقول فيه بما لا يليق به جل وعلا... ولا يخفىٰ أن هٰذا القول من أكبر الضلال ومن أعظم الافتراء علىٰ الله جل وعلا ورسوله ﷺ، والحق الذي لا يَشك فيه أدنىٰ عاقلٍ أنَّ كُلَّ وصفٍ وصف الله به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ فظاهره المتبادر منه السابق إلىٰ فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيءٍ من صفات الحوادث. فبمجرد إضافة الصفة إليه جل وعلا يُتبادر إلىٰ الفهم أنه لا مناسبة بين تلك الصفة والموصوف بها الخالق وبين شيءٍ من صفات المخلوقين.

وهل ينكر عاقل أن السابق إلىٰ الفهم المتبادر لكل عاقل: هو منافاة الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته، لا والله ولا ينكر ذٰلك إلا مكابر»[2].

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص ٤٧).

(٢) أضواء البيان للأمين الشنقيطي (ج ٢ ص ٣١٩).

وهٰذا هو مذهب السلف الصالح الذين أثبتوا لله تعالىٰ ما أثبتته آياتُ وأحاديث الصفات وجعلوا الظاهر والمتبادر منها حقاً علىٰ حقيقته لائقاً به تعالى، ومنزهاً عن مشابهة صفات المخلوقين ونعوت المحدثين.

وقد أجمعوا علىٰ هٰذا كما نقله ابن عبد البر عنهم فقال:

«أهل السنة مجمعون علىٰ الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها علىٰ الحقيقة لا علىٰ المجاز، إلا أنهم لا يُكَيِّفون شيئاً من ذٰلك ولا يحدون فيه صفة محصورة»[1].

«وهٰذا هو المذهب الصحيح والطريق القويم الحكيم وذٰلك لوجهين:

الأول: انه تطبيق تامٌ لما دل عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته، كما يُعلم ذلك من تَتَبُّعِهِ بعلمٍ وإنصافٍ.

الثاني: أن يُقال: أن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف أو فيما قاله غيرهم، والثاني باطل لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحاً أو ظاهراً ولم يتكلموا مرةً واحدةً لا تصريحاً ولا ظاهراً بالحق الذي يجب اعتقاده. وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق، وإما عالمين به لكن كتموه وكلاهما باطل. وبطلان اللازم يدل علىٰ بطلان الملزوم، فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم»[2].

وشبهة الأشاعرة هذه ـ باطلة من وجوه عديدة: ـ

الأول: أنهم جَنوا علىٰ النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، حيث جعلوا ظاهرها ما يدل علىٰ الضلال، وأن الله تعالىٰ وصف نفسه بما ظاهره المتبادر منه ما لا يليق به تعالىٰ. وهذا معلومُ الفساد والبطلان بالضرورة في دين الإسلام.

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (ج ٧ ص ١٤٥).

(٢) القواعد المثلىٰ ـ للشيخ محمد صالح العثيمين (ص ٣٧).

الثاني: أنه صرفُ لكلام الله تعالىٰ وكلام رسوله ﷺ عن ظاهره المعلوم والمفهوم، وذلك أن الله تعالىٰ خاطب الناس بلسانٍ عربيٍ مُبينٍ ليعقلوا كلامه ويفهموه علىٰ ما يقتضيه هذا اللسان العربي. والنبي ﷺ خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حملُ كلام الله ورسوله علىٰ ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي مع صيانته عن التكييف والتمثيل في حق الله تعالىٰ.

الثالث: أن صرف كلام الله تعالىٰ ورسوله ﷺ عن ظاهره إلىٰ معنىً باطلٍ يخالفه، قولٌ علىٰ الله ورسوله ﷺ بلا علم وهو محرمٌ لقوله تعالىٰ: **﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنها وما بَطَنَ والإِثْمَ والبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وأَنْ تُشركوا باللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وأَنْ تَقُولوا علىٰ اللهِ مَا لَا تَعْلَمون﴾** [الأعراف: ٣٣]. ولقوله سبحانه: **﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾** [الإسراء: ٣٦].

فالصارفُ لكلام الله تعالى ورسوله ﷺ عن ظاهره اللائق إلىٰ معنىً يخالفه قد قفا ما ليس له به علم وقال علىٰ الله ما لا يعلم.

الرابع: أنَّ صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالفٌ لما كان عليه سلف الأمة ومَنْ تبعهم، فيكون باطلاً فاسداً، وذلك لأن الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومَنْ تبعهم بإحسان.

الخامس: أن يُقال لمن قال «ظاهر النصوص يوهم التشبيه»: هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول: لا. فيُقال له: وهل ما أخبر الله عن نفسه صدق وحق؟ سيقول: نعم. ثم يُقال له: هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله تعالىٰ؟ فسيقول: لا. ثم يقال له: هل تظن أن الله سبحانه أراد أن يُعمي الحق عن الخلق في هذه النصوص ليستخرجوه بعقولهم؟ فسيقول: لا.

هذا ما يُقال له باعتبار ما جاء في القرآن.

أما باعتبار ما جاء في السنة فيُقال له: هل أنت أعلم بالله من رسوله ﷺ؟ سيقول: لا. ثم يُقال له: هل ما أخبر به النبي ﷺ صدقٌ وحق؟ فسيقول: نعم. ثم يُقال له: هل تعلم أن أحداً من الناس أفصحُ كلاماً وأبين

من رسول الله ﷺ؟ فسيقول: لا. ثم يقال له أخيراً: إذاً لماذا لا تقر بالصفات التي أثبتها الله تعالىٰ لنفسه وأثبتها له نبيُّه ﷺ علىٰ حقيقتها وظاهرها اللائق به تعالىٰ[1].

السادس: أن الظاهر غير مراد من آيات وأحاديث الصفات أن اللفظ وهو الظاهر فيه إجمال واشتراك، وهٰذه العبارة خطأ إما لفظاً ومعنىً وإما لفظاً لا معنىً. فمن قال: الظاهر غير مراد، بمعنىٰ أن صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراده من صفات الله تعالىٰ، بل صفات الله تعالىٰ لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين وتليق به تعالىٰ.

قلنا له: أصبتَ في المعنىٰ لكن أخطأتَ في اللفظ وأوهمتَ البدعة، وكان يكفيك أن تقول: تُمر كما جاءت علىٰ ظاهرها مع العلم بأن صفات الله تعالىٰ ليست كصفات المخلوقين، وأنه منزهٌ ومقدسٌ عن كل ما يلزم منه حدوثه ونقصه.

ومن قال: الظاهر غير مراد، بمعنى أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته، ولا تختص بصفات المخلوقين غير مراده، فهذا قد أخطأ في اللفظ والمعنى.

أما خطؤه في اللفظ حيث جعل ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، وأما خطؤه في المعنىٰ حيث اعتقد أن لها ظاهراً غير مراد لله تعالىٰ[2].

هذه بعض الوجوه التي تبين فساد وبطلان هذه الشبهة.

ولا ننسىٰ أن نذكر أن هذه الشبهة الفاسدة ترتبت عليها عدة محاذير:

١ - الطعن في نصوص القرآن والسنة الصحيحة، وذلك لاشتمالهما على نصوصٍ لا يجوز اعتقاد ظاهرها، لأن ظاهرها التشبيه بصفات المخلوقين.

---

(١) انظر هذه الوجوه كتاب القواعد المثلىٰ للشيخ محمد صالح العثيمين (ص ٤٠ - ٤١).

(٢) انظر الفتاوى (ج ٦ ص ٣٥٥)، والرسالة التدمرية (ص ٤٧)، والفتوى الحموية (ص ٦٣).

٢ ـ أن يكون الرسول ﷺ قد كتم الحق، وتكلم في صفات الله تعالىٰ بما ظاهره التشبيه وما لا يليق بالله تعالىٰ.

٣ ـ اتهامُ الرسولِ ﷺ بأنه لم يبلغ البلاغ المبين، وقد قيل له: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وأنه أَخَّرَ البيانَ عن وقت الحاجة وخصوصاً ما يتعلق بالعقائد.

٤ ـ الطعن في وظيفة القرآن الذي جعله الله تبياناً لكل شيءٍ، قال تعالىٰ: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

٥ ـ إن النبي ﷺ وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة كانوا مقصرين في إيضاح ما يجب لله تعالىٰ من الصفات، وحينئذٍ إما أن يكون النبي ﷺ والسلف مقصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته، أو مقصرين لعدم بيانهم للأمة، وكلا الأمرين باطلٌ في حق الرسول ﷺ وسلف الأمة [1].

* * * *

الشبهة الثالثة والرد عليها:

الشبهة الثالثة التي اعتمدها الأشاعرةُ لتأويل صفات الله تعالىٰ هي: أن بعض صفات الله وردت عن طريقِ خبر الآحاد، وأحاديث الآحاد لا تُفيد اليقين ولا تثبت بها عقيدةٌ ولا يُلتفت إليها، لأنها كلها ظنيةٌ لا تفيد العلم.

يقول الرازي مبيناً عقيدة الأشاعرة في خبر الواحد: ـ «أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالىٰ فغير جائز، لأن أخبار الآحاد مظنونة، ولم يجز التمسك بالمظنون في معرفة صفات الله وأسمائه، وإنما قلنا إنها مظنونة وذلك لأنا أجمعنا علىٰ أن الرواة غير معصومين... فثبت أن خبر الواحد مظنون، فوجب أن لا يجوز التمسك به لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ

(١) انظر القواعد المثلى للشيخ محمد صالح العثيمين (ص ٤٤).

شَيْئاً﴾ [النجم: ٢٨] ولقوله في صفة الكفار: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦] ولقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. ولقوله: ﴿وأَنْ تَقُولوا علىٰ الله ما لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]. فتُرِكَ العملُ بهذه العمومات في فروع الشريعة لأن المطلوب فيها الظن، فوجب أن يبقىٰ في مسائل الأصول علىٰ هذا الأصل...»[1].

ومعنىٰ هذا القول: أن خبر الواحد يُفيد الظن، والظن في فروع الشريعة يجوز العمل به، أما في الأصول والعقائد فلا يجوز العمل بالظن.

وحقيقة هذه الشبهة تُفضي إلىٰ ترك العمل بالأحاديث الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول، والتي رواها الأئمة كالبخاري ومسلم وغيرهما. وهذا خلافُ مذهب السلف الصالح ومَنْ تبعهم من الأئمة المشهود لهم بالإمامة.

ومذهبُ السلف الصالح وأئمة الحديث قائمٌ علىٰ العمل بالأحاديث الصحيحة التي تُثبت صفات الله تعالىٰ، ولا يفرقون بين المتواتر والآحاد، كما لا يفرقون في الاحتجاج بها بين العقائد والأحكام وبين العلم والعمل لأن الكل من بابٍ واحدٍ.

ولهٰذا كان الأئمة من أصحاب الحديث وعلماء السنة متفقين علىٰ أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقَبول فإنه يُفيد العلم واليقين ويعمل به مطلقاً في العقائد والأحكام.

يقول ابن تيمية رحمه الله موضحاً مذهب السلف في هذه المسألة: «وخبر الواحد المُتلقىٰ بالقَبول يُوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وهو قَولُ أكثر أصحاب الأشعري كالاسفرائيني وابن فورك. فإنه وإن كان في نفسه لا يُفيد إلا الظن، لكن لما قترن به إجماع أهل العلم بالحديث علىٰ تلقيه بالتصديق كان بمنزلة إجماع هل الفقه علىٰ حُكم مستندين في ذلك إلىٰ ظاهرٍ أو قياسٍ أو خبرٍ واحدٍ، فإن ذٰلك الحكم يصير قطعياً عند الجمهور، وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي لأن الإجماع معصوم.

---

(١) أساس التقديس للرازي (ص ١٦٨)، وانظر أصول الدين للبغدادي ص ٢٢.

فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون علىٰ تحليل حرامٍ ولا تحريم حلالٍ، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون علىٰ التصديق بكذب، ولا التكذيب بصدق. . .»[1].

والتفريق الذي ذكروه من أنه يجوز العملَ بأحاديث الآحاد في الشريعة والأحكام ولا يجوز العمل به في العقيدة، لم يرد به كتاب ولا سنة وإنما هوَ قولٌ في دين الله بلا علم. يقول العلامة ابن القيم مبيناً بُطلان هذا التفريق: «وهذا التفريق باطلٌ بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تَحتجُّ بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات، كما تحتج بها في الطلبيات العمليات ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبرَ عن الله بأنه شَرَعَ كذا وأوجبه ورضيه، فَشَرْعُهُ ودينُه راجعٌ إلىٰ أسمائه وصفاته.

ولم تزل الصحابة والتابعون وتابعوهم وأهل الحديث والسنة يحتجون بهٰذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام ولم يُنقل عن أحد منهم البتة أنه جَوَّزَ الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته. فأين سلف المفرقين بين البابين؟ نعم سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هٰذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ويُحيلون علىٰ آراء المتكلمين وقواعد المتكلفين، فهم الذين يُعرف عنهم هٰذا التفريق بين الأمرين. . .»[2].

أما استدلالهم علىٰ أن خبر الآحاد يُفيد الظن وهو موجبٌ للعمل لا للعلم بما ذكره الرازي من الآيات فيُقال لهم هذا الاستدلال باطلٌ من وجهين:

الأول: إن هذا الاستدلال فيه تناقضٌ بين، وذلك لأن الآيات الذامة لاتباع الظن ذَمَّته ذماً مطلقاً، وذَمَّت كُلَّ مَنْ أخذ به ولم تفرق بين العقيدة

---

(١) الفتاوىٰ لابن تيمية (ج ١٨ ص ٤١).

(٢) مختصر الصواعق، لابن القيم (ج ٢ ص ٤١٢)

والشريعة، فإذا سلمنا أنه لا يجوز العمل بالظن، يَلزم من ذلك أن يقال: إن أحاديث الآحاد لا يجوز العمل بها في العقيدة والشريعة لأنها تفيد الظن، والله قد ذَمَّ الآخذين بالظن المتبعين له. وهذا لا يقول به أحد.

ولذلك فإن المعتزلة كانوا منطقيين مع أنفسهم أكثر من الأشاعرة عندما جعلوا الأدلة الناهية عن الظن ناهيةً عن الاحتجاج بحديث الآحاد في العقائد والأحكام.

الوجه الثاني: إن الظن المذكور في الآيات والذي يُذم قائله ومتبعه غير الظن الذي يُفيده خبر الآحاد.

أما الأول فمعناه الخرص الذي هو مجرد الحرز والتخمين والشك. فهٰذا هو الظن الذي نعاه الله تعالىٰ علىٰ المشركين، ومما يؤيده قوله تعالىٰ فيهم: **﴿إنْ يَتَّبِعُونَ إلاَّ الظَّنَّ وإنْ هُمْ إلاَّ يَخْرُصُونَ﴾** [الأنعام: ١١٦].

أما الثاني فمعناه الظن الغالب والراجح الذي يجب الأخذ به والعمل به أيضاً. لأنه ظَنُّ مَنْ هو معصومٌ عن الخطأ، فالأمة أجمعت علىٰ تلقيه بالقَبول والأمة معصومة في إجماعها عن الخطأ[1].

«فثبت مما تقدم أَن الظن الذي لا يجوزُ الأخذ به إنما هو الظن اللغوي المرادف للخرص والتخمين والقول بغير علم، وأنه يَحْرُمُ الحكم به في الأحكام كما يحرم الأخذ به في العقائد ولا فرق.

وإذا كان الأمر كذٰلك فقد سَلَمَ لنا القولُ المتقدم: أن كل الآيات والأحاديث المتقدمة الدالة علىٰ وجوب الأخذ بحديث الآحاد في الأحكام، تدل أيضاً بعمومها وشمولها علىٰ وجوب الأخذ به في العقائد أيضاً، والحق أن هٰذا التفريق بين العقيدة والأحكام في وجوب الأخذ فيها بحديث الآحاد فلسفةٌ دخيلةٌ في الإسلام لا يعرفها السلف الصالح ولا الأئمة الأربعة الذين

---

(١) انظر مختصر الصواعق (ج ٢ ص ٤١٢).
وانظر علوم الحديث لابن الصلاح (ص ٢٤) تحقيق نور الدين عتر، مطبعة الأصل حلب.

يقلدهم جماهير المسلمين في العصر الحاضر»[1].

الأدلة علىٰ وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد وأنها تُفيد العلم اليقيني:

الدليل الأول: أن المسلمين لما أخبرهم الواحد وهم بقباء في صلاة الصبح أنَّ القبلة قد حولت إلىٰ الكعبة، فالمسلمون قَبِلوا خبره واستداروا إلىٰ القبلة، ولم يُنكر عليهم رسول الله ﷺ. وكانوا علىٰ أمرٍ مقطوعٍ به من القبلة الأولىٰ، فلولا حصول اليقين لهم بخبر الواحد لم يتركوا المقطوعَ به المعلوم لخبرٍ لا يُفيد العلم. وغاية ما يُقال فيه أنه خبرٌ اقترنته قرينة. ومعلومٌ أن قرينةَ تلقي الأمة لحديث الآحاد بالقبول وروايته قرناً بعد قرنٍ من غير نكيرٍ من أقوىٰ القرائن وأظهرها.

الدليل الثاني: أن الله تعالىٰ قال: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا**﴾ [الحجرات: ٦] وفي القراءة الأخرىٰ ﴿**فَتَثَبَّتُوا**﴾. وهذا يَدل علىٰ الجزم بقَبول خبر الواحد أنه لا يحتاج إلى التثبت. ولو كان خبره لا يُفيد العلم لأمر بالتثبت حتىٰ يحصل العلم.

ومما يدل عليه أيضاً أن السلف الصالح وأئمة الإسلام لم يزالوا يقولون: قال رسول الله كذا وفعل كذا وأمر بكذا ونهىٰ عن كذا، وهذا معلومٌ في كلامهم بالضرورة..

وفي صحيح البخاري: «قال رسول الله ﷺ» في عدة مواضع، وكثير من أحاديث الصحابة يقول فيها أحدهم: «قال رسول الله ﷺ»، وإنما سمعه من صحابيٍ غيره. وهذه شهادةٌ من القائل وجزم علىٰ رسول الله ﷺ بما نُسب إليه من قولٍ أو فعلٍ، فلو كان خبر الواحد لا يُفيد العلم لكان شاهداً علىٰ رسول الله ﷺ بغير علم»[2].

الدليل الثالث: قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ**

---

(١) الحديث حجة بنفسه للشيخ الألباني (ص ٤٦) الدار السلفية للطباعة الكويت.
(٢) مختصر الصواعق لابن القيم، (ج ٢ ص ٣٩٤).

مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِروا قَوْمَهُم إذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فالله تعالىٰ حَضَّ الطائفة علىٰ التعلم والتفقه عقيدةً وأحكاماً، وحضهم علىٰ أن يُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم بما تعلموه من العقائد والأحكام.

والطائفة في لغة العرب تقع علىٰ الواحد فما فَوق. فلولا أن الحجة تقوم بحديث الآحاد عقيدةً وشريعةً لما حض الله تعالىٰ الطائفة علىٰ التبليغ حضاً عاماً.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُم يَحْذَرُونَ﴾ نظير قوله في آياته المتلوةِ والمشهودة ﴿لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾، وهو سبحانه إنما يذكر ذٰلك فيما يحصل العلم به لا فيما لا يفيد العلم.

الدليل الرابع: قوله تعالىٰ: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُولٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]. أي لا تتبعه ولا تعمل به. ولم يزل المسلمون من عهد الصحابة يقفون أخبار الآحاد ويعملون بها ويثبتون بها الأمور الغيبية والحقائق الاعتقادية مثل بدء الخلق وأشراط الساعة، بل ويُثبتون بها صفاتِ الله تعالىٰ. فلو كانت لا تفيد علماً ولا تُثْبَتْ بها عقيدة لكان الصحابة والتابعون وتابعوهم وأئمة الإسلام كلهم قد قَفَوا ما ليس لهم به علم.

الدليل الخامس: قوله تعالىٰ: ﴿فَاسْئَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُم لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣] فَأَمَر مَنْ لَمْ يعلم أَنْ يسأَلَ أَهْلَ الذكر وهم أولوا الكتاب والعلم، ولولا أن أخبارهم تُفيد العلم لم يأمر بسؤال مَنْ لا يُفيد خبرُه علماً، وهو سبحانه لم يقل: سلوا عدد التواتر، بل أمر بسؤال أهل الذكر مطلقاً، فلو كان واحداً لكان سؤاله وجوابه كافياً[1].

---

(١) انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ٣٩٤). فقد جمع إحدىٰ وعشرين دليلاً لإثبات أن خبر الواحد يُفيد العلم اليقيني، وأنه يجب العمل به في العقائد والأحكام.
وانظر أيضاً: «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» للشيخ ناصر الدين الألباني (ص ٤٥).

وبالجملة: فأدلـة الكتاب والسنـة وعمل الصحـابة وأقـوال العلماء تـدل دلالةً قاطعةً علىٰ وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقائـد والأحكام، وأنـه لا فرق بينهما.

وأخيراً نقول: بهذه الشبه الثلاث التي ذكرناها تَمَكَّنَ الأشاعرةُ من تأويل صفات الله تعالىٰ، وإخراجها عن ظاهرها المراد واللائق بالله تعـالىٰ، ما عـدا ما ذكرنا من إثباتهم لبعض الصفات، والتي أُطلقوا عليها «الصفات العقلية».

* *

المبحث الرابع
رجوع كبار الأشاعرة الى مذهب السلف

لقد برع في مذهب الأشاعرة رجالٌ عرفهم التاريخ، وسطر قوة ذكائهم وفطنتهم، واتساع علومهم وآفاقهم.

وهؤلاء الرجال هم الذين حملوا المذهب على أكتافهم، وقاموا بنشره وتنظيمه وتأليف الكتب في بيانه وتوضيحه.

ولكن هؤلاء المتكلمين الذين طافوا بالمذهب ودرسوا أصوله وقواعده، في نهاية المطاف، كثر في الدين اضطرابهم وتناقضهم وظهرت حيرتهم، خصوصاً بعد أن ظهر لهم أنوار الآيات القرآنية الساطعة، وأحاديث النبي ﷺ الواضحة، فعرفوا أنهم على شفا جرف هار، ففروا من الكلام وأهله ومن المذهب وفلسفته، وراحوا يطرقون أبواب السلف الصالح حيث ثبت لديهم بالأدلة والبراهين سلامة منهجهم، وأن الحق كل الحق معهم، لأنهم التزموا كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ منهجاً وعقيدةً وشريعةً في الحياة.

فنجدهم يُظهرون الشكوى لله تعالى في أُخريات حياتهم، وينصحون تلاميذهم بالالتزام بمذهب السلف الصالح، ويتبرؤون أمامهم من التأويل والتحريف لينالوا بذلك رضى الله تعالى عليهم، وليختم أعمارهم بالحسنى.

ولم يكتفوا بهذا، بل راحوا يسطرون أقوالهم واعترافاتهم بأن مذهب السلف هو الطريق المستقيم والمنهج القويم، وأن ما كانوا عليه من كلام وفلسفة، جلب لهم الحيرة والاضطراب والبعد عن الله تعالى وعن سنة رسوله ﷺ.

وهذه الاعترافات منثورةٌ في كتبهم التي صنفوها في أُخريات حياتهم

وهي أكثر من أن تحصى وأظهر من أن تخفى.

ومَنْ يسأل عن الأسباب التي دعتهم إلى التماس المعرفة العقدية عن طريق علم الكلام وفلسفته، يجدها لا تخلو من ثلاثة أسباب:

الأول: تقليدهم لشيوخهم الذين أخذوا عنهم علم الكلام، لما لهم من المنزلة والمكانة في نفوسهم، وعدم المخالفة لما يقولونه.

الثاني: تأثرهم بالكتب الفلسفية والمنطقية، وكثرة مطالعتهم لها، والبعد عن كتب السنة النبوية.

الثالث: أنهم ما فهموا من صفات الله تعالى إلا ما فهموه من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين.

وسوف نذكر هذه الأسباب في طيات بحثنا هذا عند التعرض لحياتهم واعترافاتهم.

وأخيراً:

فإن أقوالهم واعترافاتهم فيها عبرةٌ وعظةٌ لمن لا يزال في بداية الطريق ممن يسلك مسلك الأشاعرة والخلف، ويتولى نشره والدفاع عنه، فلعله بما سنذكر يُوفق للصواب، ويدين بالحق الذي دان به هؤلاء العلماء اقتداءً بالسلف الصالح.

الإمام الجويني (الأب) ت ٤٣٨هـ:

هو: عبدالله بن يوسف بن محمد، الشيخ أبو محمد الجويني. وهو والد إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن أبي محمد. وأصله من قبيلةٍ يُقال لها: سنبس، وجوين من نواحي نيسابور. سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة، وقرأ الأدب على أبيه، وتفقه بأبي الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، ثم خرج إلى مرو، وإلى أبي بكر عبدالله بن أحمد القفال، ثم عاد إلى نيسابور وعقد مجلس المناظرة، وكان مهيباً لا يجري بين يديه إلا الجد.

وصَنَّفَ التصانيف الكثيرة في أنواع العلوم، وكان زاهداً شديد الاحتياط لدينه حتىٰ ربما أخرج الزكاة مرتين[1].

هذا العالم الجليل كان من الأشاعرة، وتتلمذ وتفقه علىٰ شيوخ أشاعرة، ولكنه تحير في مسائلَ في العقيدة تعلمها من شيوخه وأخذها عنهم، ثم رأىٰ أن الحق ليس عندهم ولا معهم، بل عند سلف هٰذه الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

ولما استقر علىٰ هذا كتب نصيحةً إِلىٰ إخوانه وشيوخه الذين هم علىٰ مذهب الأشاعرة في الكلام.

فقال رحمه الله: ـ «فهذه نصيحة كتبتُها إلىٰ إخواني في الله، أهل الصدق والصفاء والإخلاص والوفاء، لَمَّا تَعَيَّن عَلَيَّ محبتهم في الله، ونصيحتهم في صفات الله، فإن المرء لا يكمل إيمانه حتىٰ يُحب لأخيه ما يحب لنفسه. وفي الصحيحين عن جرير بن عبدالله البجلي قال: «بايعت رسول الله ﷺ علىٰ إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[2].

وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال:

«الدين النصحية» ثلاثاً. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[3].

وأُعرفهم ـ أيدهم الله بتأييده ووفقهم لطاعته ومزيده ـ أنني كنت برهة من الدهر متحيراً في ثلاث مسائل:

مسألة الصفات.

ومسألة الفوقية.

ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد.

وكنت متحيراً في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (ج ١٢ ص ٥٥).

(٢) مسلم في الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (ج ١ ص ٧٥ رقم ٥٦).

(٣) مسلم في الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (ج ١ ص ٧٤، رقم ٥٥).

جميع ذلك، من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

فأجد النصوص في كتاب الله، وسنة رسوله، ناطقةً مبينةً لحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في الحرف والصوت. ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم، منهم مَنْ تَأَوَّلَ الاستواء بالقهر والاستيلاء، وتَأَوَّلَ النزول، بنزول الأمر، وتأول اليدين بالنعمتين والقدرتين، وتأول القدم، بقدم صدق عند ربهم، وأمثال ذلك.

ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله معنىً قائماً بالذات، بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم[1]. ويُبين رحمه الله أن الذين ذهبوا إلىٰ هذه الأقوال، قومٌ لهم في صدره منزلة، تتلمذ عليهم وأخذ منهم فرائض دينه وأحكامه.

ثم يبين ـ رحمه الله ـ أنه كان يجد في قلبه من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن القلب إليها، ويجد الكدر والظلمة منها، ويجد ضيق الصدر وعدم الانشراح لها.

يقول رحمه الله: «فكنت كالمتحير والمضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره، وكنتُ أخاف من إطلاق العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه. ومع ذلك فإذا طالعتُ النصوصَ الواردةَ في كتاب الله وسنة رسوله، أجدها نصوصاً تُشير إلىٰ حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول ﷺ قد صَرَّح بها مخبراً عن ربه واصفاً له بها، وأعلم بالاضطرار أنه يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي الجافي، ثم لا أجد شيئاً يُعقب تلك النصوص التي كان الرسول ﷺ يصف بها ربه لا نصاً ولا ظاهراً، مما يصرفها عن حقائقها ويؤولها كما تأولها هؤلاء ـ مشايخي الفقهاء المتكلمون ـ مثل تأويلهم الاستواء بالاستيلاء ـ والنزول بنزول الأمر، وغير ذلك.

---

(١) رسالة إثبات العلو والفوقية، ضمن الرسائل المنيرية (ج ١ ص ١٧٥) المطبعة العربية بمصر.

ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يُحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لربه من الفوقية واليدين وغيرهما، مثل أن ينقل عنه مقالةً تدل على أن لهذه الصفات معاني أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها، مثل فوقية المرتبة ويد النعمة وغير ذلك»[1].

فالجويني يعترف أنه كان متأثراً بشيوخه الذين لهم في صدره منزلة عالية، وكان يعتقد فيهم الاعتقاد التام لعلمهم وفضلهم.

ولكن الإخلاص الذي ملأ قلبه، والحق الذي نوّر بصيرته، دفعه للبحث والتنقيب عن الحق، خصوصاً بعدما وجد من الحزازات التي لا يطمئن القلب إليها في تأويل الصفات، فهداه الله تعالى إلى المذهب الحق وعقيدة السلف الصالح رحمهم الله.

وفي هذا يقول رحمه الله: - «فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتىٰ لطف الله بي، وكشف لهذا الضعيف عن وجه الحق كشفاً اطمأن إليه خاطره، وسكن به سره، وتبرهن الحق في نوره، وأنا واصف بعض ذلك إن شاء الله تعالى، والذي شرح صدري له في حكم هذه المسائل الثلاث»[2].

ثم أثبتَ العلو لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وبَيَّنَ رحمه الله أن الحكمة الإلّهية اقتضت أن يكون الكون في جهة السُّفْل لكونه مربوباً مخلوقاً، واقتضت العظمةُ الربانيةُ أن يكون الخالق فوق الكون.

---

(١) الرسائل المنيرية (ج ١ ص ١٧٦)

(٢) رسالة النصيحة للجويني، تحقيق زهير الشاويش (ص ١٨٠) المكتب الإسلامي. هذه الرسالة هي بعينها الرسالة الموجودة ضمن الرسائل المنيرية، ولكن نُسبت إلى ابن شيخ الحرمين خطأ، واستدرك المحقق زهير الشاويش هذا الخطأ في التعليق على مختصر العلو (للذهبي ص ٢٧)، وهذا النص الذي ذكرناه بعاليه غير موجود في الرسالة المطبوعة ضمن الرسائل المنيرية، ولهذا قال محققها «هنا سقط في الأصل لم نهتد إليه من نسخ أخرى، فمن عثر على نسخة أخرى فيها النقص فليثبته» (ج ١ ص ١٨٠).
وهذا السقط عثر عليه المحقق زهير الشاويش فأثبته في رسالة النصيحة، ونقلناه عنه.

فإذا أُشير إليه بشيءٍ يستحيلُ أن يُشار إليه إلا من جهة العلو والفوقية. وبَيَّنَ رحمه الله بالأدلة الواضحة أن صفة الاستواء ثابتة لله تعالى، وأنها من أبرز ما يدل على علوه وفوقيته.

وقال عقب كلامه على صفة الاستواء وإثباتها لله تعالىٰ: ـ «إذا علمنا ذٰلك واعتقدناه تخلصنا من شُبه التأويل وعماوة التعطيل وحماقة التشبيه والتمثيل، وأثبتنا علو ربنا وفوقيته واستواءه علىٰ عرشه كما يليق بجلاله وعظمته، والحق واضح في ذٰلك والصدر ينشرح له. فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة، مثل تأويل الاستواء بالاستيلاء وغيره، والوقوف في ذٰلك جهلٌ وعي، مع أن الرب سبحانه وَصَفَ لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدولٌ عن المقصود منه في تعريفنا إياه، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه ولا نقف في ذلك. وكذلك التشبيه والتمثيل حماقةٌ وجهالة، فمن وفقه الله للإثبات بلا تحريف ولا تكييف ولا وقوف، فقد وقع في الأمر المطلوب منه إن شاء الله تعالىٰ. والذي شرح الله به صدري من حال هؤلاء الشيوخ الذين أَوَّلوا الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، واليدين بالنعمتين والقدرتين، هو علمي بأنهم ما فهموا في صفات الرب إلا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله استواءً يليق به، ولا نزولاً يليق به، ولا يدين تليق بعظمته بلا كيف ولا تشبيه، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله به نفسه»[1].

ثم بَيَّن أن الصفات تساق مساق العلو، ولا يُفهم منها ما يُفهم من صفات المخلوقين، بل يوصف الرب تعالى بها كما يليق بجلاله وعظمته، فيُنزل كما يليق به، ويداه ووجهه الكريم كما يليق به وكذلك سائر الصفات.

ثم بين الحق في مسألة الحرف والصوت في كلام الله تعالى فقال: ـ «والتحقيق هو أن الله تعالى تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت يليق به

(١) الرسائل المنيرية (ج ١ ص ١٨١).

يسمع ولا يفتقر ذلك الصوت إلى الحلق والحنجرة.

فكلام الله كما يليق به، وصوته كما يليق به، ولا ننفي الحرف والصوت عن كلامه سبحانه لافتقارهما منا إلىٰ الجوارح واللهوات، فإنهما في جانب الحق لا يفتقران إلىٰ ذلك.

وهذا ينشرح الصدر له ويستريح الإنسان به من التعسف والتكلف بقوله: «هذا عبارة عن ذلك»[1].

إن ما سطره هٰذا الإمام الفاضل الذي عاش برهةً من الزمن علىٰ مذهب الأشاعرة يُعتبر الخلاصة التي يستفيد منها الإنسان إذا وقع في قلبه ما يخالف مذهب السلف الصالح ومنهجهم.

إمام الحرمين الجويني (الابن) ت ٤٧٨هـ:

عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبدالله بن يوسف، أبو المعالي الجويني، والملقب بإمام الحرمين لمجاورته بمكة أربع سنين. وكان مولده في سنة تسع عشرة وأربعمائة. سَمِعَ الحديث، وتفقه علىٰ والده الشيخ أبي محمد الجويني، ودرّس بعده في حلقته. ودخل بغداد وتفقه بها، وروىٰ الحديث، ثم عاد إلىٰ نيسابور فسلم إليه التدريس بها والخطابة والوعظ[2].

ويُعتبر الجويني الابن من أقطاب الأشاعرة ومن أئمتهم، وهو الذي أدخل في المذهب أصولاً من أصول المعتزلة، وكان كثير المطالعة لكتب أبي هاشم الجبائي المعتزلي[3].

وقد كان رحمه الله كثير التصنيف خصوصاً ما يتعلق بعلم الكلام. فمن مصنفاته «الشامل في أصول الدين» و«الإرشاد» و«الرسالة النظامية» وغيرها.

---

(١) المرجع السابق (ج ١ ص ١٨٢).

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (ج ١٨ ص ٤٦٨)، والبداية والنهاية لابن كثير (ج ١٢ ص ١٢٨).

(٣) انظر الفتاوىٰ لابن تيمية (ج ١٢ ص ٢٠٣).

وقد امتلأت كتبه بذكر تأويلات الصفات، وما يتعلق بتقديم العقل علىٰ النقل، وما يتعلق بأفعال العباد وغيرها حتىٰ أصبحت كتبه هي المصدر الوحيد والأساسي لمذهب الأشاعرة.

وبعد هٰذا المشوار الطويل الذي قضاه الجويني في الخوض في علم الكلام وفلسفته، بدت علامات الحيرة والاضطراب علىٰ أفكار الجويني، فهداه الله تعالىٰ إلىٰ الحق، وإلىٰ مذهب سلف هذه الأمة المشهود لهم بالخيرية.

فَعَرَف أن السلف الذين كَفوا ألسنتهم عن هذه الآراء والأفكار، هم أصحاب المذهب السليم والمنهج الحكيم. فَحَرَّمَ التأويلَ الذي امتلأت به كتبه، وأعلن البراءة منه، واستدل علىٰ ما ذهب من تحريم بإجماع السلف ومن تبعهم بإحسان.

قال رحمه الله في بيان هذا: «وذهب أئمة السلف إلىٰ الانكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر علىٰ مواردها، وتفويض معانيها إلىٰ الرب تعالى....

والذي نرتضيه رأياً ونُدين الله به عقلاً اتباع سلف الأمة. فالأولىٰ الاتباع وترك الابتداع. والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة... فلو كان تأويلُ هذه الآي والظواهر مسوغاً ومحتوماً لأوشك أن يكون اهتمامهم[1] بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة.

وإذا انصرم عصرهم وعصر التابعين علىٰ الإضراب عن التأويل، كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع، فحق علىٰ ذي دين: أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويلات المشكلات، ويكل معناها إلىٰ الرب تبارك وتعالى...

ومما استحسنُ من كلام إمام دار الهجرة رضي الله عنه وهو مالك بن أنس أنه سُئل عن قوله تبارك وتعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَىٰ الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾

(١) الضمير يعود علىٰ الصحابة رضي الله عنهم.

فقال: الاستواء معلومٌ، والكيفية مجهولة، والسؤال عنه بدعة. فلتجري آية الاستواء والمجيء وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ وما صح من أخبار الرسول ﷺ كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا»[1].

ومن خلال النظر في كلام الجويني المذكور يتبين لنا أمران: ـ

الأول: أن إمام الحرمين قد سَلَكَ مَسْلَكَ أبيه أبي محمد الجويني في إعلان أن عقيدة السلف هي الحق، وأن فهم ومنهج السلف هو الصحيح وحده فيما يعتقده العبد نحو ربه، وما سواه من المناهج باطل لا محالة. ونجده أيضاً بنصر مذهب السلف ويشيد به، ويحرم التأويل الذي يخالف منهجهم، ويستدل على تحريمه بإجماع الصحابة رضي الله عنهم، وأن هذا الإجماع وحده كافٍ لترك التاويل والعدول عنه.

الأمر الثاني: أنه يقصد رحمه الله بقوله: «ويكل معناها إلى الرب تبارك وتعالى» أي يكل العلم بكيفياتها إلى الرب تبارك وتعالى، بدليل استشهاده بقول الإمام مالك بن أنس ـ وهو من أئمة السلف ـ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وهذه قاعدة السلف جميعاً في صفات الله تعالى. فالمعنى معلومٌ من لغة العرب، والكيف مجهول، وهو من العلم الذين استأثر الله تعالى به.

فالجويني استشهد بقول الإمام مالك الذي يدل على منهج السلف، واستشهاده هذا يؤكد لنا رجوعه إلى مذهب السلف، واعتقاد ما كانوا يعتقدون، والقول بما كانوا يقولون، لأنه أجرى آية الاستواء والمجيء، وصفة اليدين والوجه والعينين والنزول على ما أراده الإمام مالك من قوله: «الاستواء معلوم والكيف مجهول»، وهكذا القول في باقي الصفات. ويدل أيضاً على أن الجويني رجع عما كان عليه من تأويل وفلسفة إلى مذهب السلف ما ذكره الإمامُ أبو الفتح محمد بن علي الفقيه من أنه دخل على الجويني يعوده في مرض موته، فإذا بالجويني يقول:

---

(١) العقيدة النظامية للجويني (ص ٣٢ ـ ٣٣) تقديم وتحقيق د. أحمد حجازي السقا. مطبعة دار الشباب، القاهرة.

«اشـهـدوا عَلَيَّ أني قد رجعتُ عن كل مقالةٍ قلتها أخالف فيها مـا قال السلف الصالح، وأني أموت علىٰ ما تموت عليه عجائز نيسابور»[1]

كما يدل أيضاً علىٰ رجوع الجويني إلىٰ مذهب السلف، مـا ذكره شيـخ الإسلام ابن تيمية عنه. قال رحمه الله:

«وهـذا إمـام الحـرمين تـرك مـا كـان ينتحله ويقـرره، واختـار مــذهب السلف. وكـان يقول: يـا أصحـابنـا لا تشتغلوا بـالكـلام! فلو أني عـرفت أن الكلام يبلغ بـي إلىٰ ما بلغ ما اشتغلت به.

وقـال عند مـوتـه: لقـد خضت البحـر الخضم، وخليت أهـل الإسـلام وعلومهم، ودخلتُ فيمـا نهوني عنـه. والآن: إن لم يتـداركني ربي بـرحمتـه فالويل لابن الجويني، وها أنذا أموت علىٰ عقيدة أمي ـ أو قال ـ عقيدة عجائز نيسابور»[2].

فالجويني يموت علىٰ عقيدة أمه، أو عجائز نيسابور، لعلمه أن عقيدتهم فطرية صافية نقيـة من كل الشـوائب، مبنية علىٰ تـوحيد الله وإثبـات صفاتـه، فهي باقيةٌ علىٰ الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

أبو حامد الغزالي رحمه الله ت ٥٠٥:

هو: زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الـطوسي الغزالي. ولد سنة خمسين وأربعمائة، وتفقه علىٰ إمام الحـرمين، وبرع في علوم كثيـرة ولـه مصنفـات منتشـرة في فنون متعـددة، فكان من أذكيـاء العالم في كـل ما يتكلم فيـه، وساد في شبيبتـه حتى أنه درس بـالنظاميـة ببغـداد في سنـة أربـع وثمانين، وله أربع وثلاثون سنة، فحضر عنده رؤوس العلماء[3].

لقد عاش الغزالي في زمنٍ تكاثرت فيه الآراء والفرق والمذاهب، وكـان

---

(١) انظر مختصر العلو للذهبي (ص ٢٧٥).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٤ ص ٧٣).
(٣) انـظر سيـر أعـلام النبـلاء للذهبي (ج ١٩ ص ٣٢٢)، والبـدايـة والنهـايـة لابن كثيـر (ج ١٢ ص ١٧٣).

من أبرزها: علم الكلام والفلسفة والباطنية والتصوف، والغزالي درس هذه المذاهب كلها وخاض في غمارها.

فقد تلقىٰ الأصول وعلم الكلام علىٰ الجويني، ثم تفرغ لدراسة الفلسفة دراسةً وافيةً، وأكب علىٰ كتب ابن سينا كالشفا والنجاة والإشارات، ودرس أيضاً رسائل أبي حيان التوحيدي، ورسائل أخوان الصفا، ومؤلفات الفارابي، وتهذيب الأخلاق لابن مسكويه.

وفي التصوف أخذ عن كتاب: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي، والقشيري صاحب الرسالة المشهورة، والمحاسبي، والجنيد، لذا نجده لم يدع مذهباً من المذاهب إلا وتوغل فيه[1].

قال الغزالي واصفاً حاله:

«ولم أزل في عنفوان شبابي، منذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن وقد أناف السن علىٰ الخمسين، اقتحم لجة هٰذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور،لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمةٍ، وأتهجم علىٰ كل مشكلة، وأتقحم كُلَّ ورطةٍ وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة لأميز بين محقٍ ومبطلٍ ومتسننٍ ومبتدعٍ.

لا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع علىٰ بطانته، ولا ظاهرياً، إلا وأريد أن أعلم حاصل ظهارته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف علىٰ كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الاطلاع علىٰ غاية كلامه، ولا صوفياً إلا وأحرص علىٰ العثور علىٰ سر صفوته...»[2].

وهٰكذا سار الغزالي في هذه الطرق التي يعتقد أن الحق لا يعدو عن هذه الأصناف الأربعة. وفي هٰذا يقول:

«... فابتدرتُ لسلوك هذه الطرق، باستقصاء ما عند هذه الفرق:

---

(١) أنظر أبو حامد الغزالي والتصوف (ص ٣٧)، عبد الرحمن دمشقية، دار طيبة للنشر والتوزيع.
(٢) المنقذ من الضلال للغزالي (ص ٥) تحقيق محمد محمد جابر ـ نشر المكتبة الثقافية.

مبتدئاً بعلم الكلام، ومثنياً بطريق الفلاسفة، ومثلثاً بتعليمات الباطنية، ومربعاً بطريق الصوفية»[1].

وبعد أن سار الغزالي مستقصياً هٰذه الطرق، وتبحر فيها وبلغ في كل طريقةٍ الذروة فيها، انتهىٰ بعد هذا كله إلىٰ الحيرة والاضطراب، وعرف أن هذه الطرق لا تروي غليلاً، ولا تشفي عليلاً، وعرف أن الطريق الوحيد الموصل إلىٰ معرفة الله وأسمائه وصفاته هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فعاد إلىٰ طريقة السلف وأهل الحديث واشتغل بكتابي البخاري ومسلم وأقبل عليهما بالحفظ والتعلم والإتقان.

وقد اتخذ لنفسه معلمين يحفظ عليهما الصحيحين، وكان يسمع في آخر حياته صحيح البخاري من أبي سهيل محمد بن عبدالله الحفصي، وسنن أبي داود من القاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي[2].

ويحكي تلميذه عبد الغافر الفارسي[3] آخر مراحل حياته قائلاً:

«وكانت خاتمة أمره إقباله علىٰ حديث المصطفى ﷺ ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين - البخاري ومسلم - اللذين هما حجة الإسلام.

ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه من تحصيله»[4].

وهذه المرحلة الأخيرة كثيراً ما يُشير إليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في غالب كتبه، مؤكداً أنه مال إلىٰ طريقة أهل الحديث، ومات وعلىٰ

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالي (ص ١٢).

(٢) انظر طبقات الشافعية للسبكي (ج ٤ ص ١١٠) طبعة دار الفكر.

(٣) هو: أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي الحافظ الأديب صاحب تاريخ نيسابور، ومصنف المفهم في شرح مسلم، وكان إماماً في الحديث واللغة والأدب والبلاغة. مات سنة تسع وعشرين وخمسمائة. شذرات الذهب (٤ : ٩٣)، الأعلام للزركلي (٤ : ١٥٧).

(٤) انظر طبقات الشافعية للسبكي (ج ٤ ص ١١١)، وانظر أيضاً سير أعلام النبلاء (ج ١٩ ص ٣٢٥ - ٣٢٦).

صدره صحيح البخاري[1].

وهـذا يدل على إنصـاف ابن تيمية رحمـه الله وعدلـه، فـإنـه وإن كـان يتعرض كثيراً لآرائه وأفكاره ومؤلفاته بـالنقد، ويُحـذر الناس من مـطالعة هـذه الكتب، لما فيها من أضرارٍ على العقل والروح، ولكنه ما بخسه حقه أبداً.

نعم الكتب التي تركها الغزالي في العقائد والفلسفة والكلام والتصوف، لا شك أنها كلها مضرة، وفيها من البلايا ما لا يعلمـه إلا الله تعالى، فهي إمـا تـراث فلسفي، أو أشعري، أو صـوفي، وكلها مخـالفـة لـطريقـة أهـل السنـة والحديث.

وأخيـراً نقـول: إذا كـان الغـزالي قـد مـات وهـو تـائب عن كـل هـذه المعتقـدات، ومعتقد أن طـريقـة السلف هي الحِق، فهـذا أمـر بينـه وبين الله تعالىٰ، وهو أمرٌ يفرحنا ويثلج صدورنا.

وأما الكتب التي تركها، فينبغي أن تُترك ويُحذر الناس منها أيضاً. وإلى هذا أشار الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله حيث قال:

«أبو حامد كثر القول فيه ومنه.

فأما هذه الكتب ـ يعني المخالفة للحـق ـ فلا يُلتفت إليها. وأما الـرجل فيسكت عنه، ويُفوض أمره إلى الله»[2].

الشهرستاني رحمه الله ت ٥٤٨هـ:

أبـو الفتـح محمـد بن أبي القـاسم عبـد الكـريم بن أبي بكـر أحمـد الشهرستاني. كان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً، برع في علم الكلام على مـذهب الأشاعرة، وتفقـه على أحمد الخـواقي، وعلى أبي نصر القشيـري، وقرأ علم الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتفرد به.

---

(١) أنظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٤ ص ٧٢) ودرء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ١٦٢)، والبداية والنهاية لابن كثير (ج ١٢ ص ١٧٣).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٤ ص ٦٥).

وصنف كتباً كثيرة أشهرها: الملل والنحل، ونهاية الاقدام في علم الكلام، والمناهج والبيان وغيرها.

توفي في شهرستان في أواخر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[1]. والشهرستاني يُعد من كبار الأشاعرة وأئمتهم الذين ساعدوا في نشر المذهب وتنظيمه وإخراجه للناس.

وكانت نهايته كنهاية مَن سلفه من كبار الأشاعرة، الذين وصلوا إلىٰ الحيرة والاضطراب.

يقول ابنُ تيمية رحمه الله: «وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر علىٰ ذقن أو قارعاً سن نادم[2]

وهذا الكلام قاله الشهرستاني في بداية كتابه نهاية الاقدام استفتحه بقوله:

«أما بعد... فقد أشار إليَّ مَنْ إشارته غنم وطاعته حتم، أن أجمع له مشكلات الأصول وأحل له ما انعقد من غوامضها علىٰ أرباب العقول لحسن ظنه بي، إني وقفت على نهايات النظر وفزت بغايات مطارح الفكر ولعله استسمن ذا ورم ونفخ في غير ضرم لعمري...» ثم ذكر البيتين وأولهما لقد طفت...»[3].

فهذا اعترافٌ منه بأنه طاف في كل المعاهد التي تدرس علم الكلام وفلسفته، ووجد نفسه وزملائه واقعين في الحيرة والاضطراب، واضعين أكفهم على أذقانهم. ولو أنهم دخلوا معهد النبي ﷺ وصحابته الكرام لما

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٣ ص ٤٠٣)، مطبعة السعادة، القاهرة.
(٢) الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية (ص ٧) وانظر درء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ١٩٥).
(٣) نهاية الاقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص ١) حرره الفرد جيوم.

وجدوا هذه الحيرة وهذا الاضطراب.

ولهذا رد عليه محمد بن إسماعيل الأمير بقوله:

لعلك أهملتَ الطواف بمعهد الرسول ومن لاقاه من كل عالم
فما حار من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعاً سن نادم[1]

وأخيراً قال الشهرستاني: «فعليكم بدينِ العجائز فهو من أسنىٰ الجوائز»[2].

فهذه الكلمة فيها دلالة واضحة علىٰ أن معتقد العجائز الذين لم يعرفوا الجوهر والعرض أسلم وأحكم عند الله، لأنه سالمٌ من شوائب الكلام وفلسفته.

وهذه الكلمة فيها علامةٌ واضحة علىٰ أن الشهرستاني ينعىٰ على الكلام وأهله، وأنه ما جلب إلا الحيرة والاضطراب، وأن العبد يفوز بأفضل جائزة عند الله إذا لقيه غداً وهو يدين لله تعالىٰ بدين العجائز.

ومَنْ تدبر كلام هذا الرجل الذي طبقت شهرته الأرض يتضح له:

١ - حسن ثقته بصحة اعتقاد العجائز بأنه جائزة عظيمة مقتضية للنجاة من الهلاك.

٢ - سقوط ثقته بعلم الكلام الذي يُخالف دين العجائز، وجزمه بأن اعتقاد تلك القضايا العقلية الفلسفية مقتضيةٌ للويل والهلاك.

٣ - يرىٰ أن حاله الذي بلغ فيه الذروة دون حال العجائز، لأنهن بقين علىٰ الفطرة، وسلمن من الشك والإرتياب، ولزمن الصراط، وثبتن علىٰ السبيل، فرجىٰ لهن أن يكتب الله تعالىٰ في قلوبهن الإيمان، فلهذا يعتبر أن دينهن من أفضل الجوائز.

---

(١) انظر حاشية درء تعارض العقل والنقل بتحقيق الشيخ محمد رشاد سالم (ج ١ ص ١٥٩).
(٢) نهاية الاقدام (ص ٢).

وإذا كانت هذه حال العجائز، فما عسىٰ أن يكون حال العلماء السلفيين[1].

الفخر الرازي رحمه الله ت ٦٠٦هـ:

المتكلم صاحب التفسير والتصانيف الكثيرة، ويعرف بابن خطيب الري. واسمه محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري، أبو المعالي، وأبو عبدالله.

ويعتبر أحد الفقهاء الشافعية المشاهير، الذي صَنَّفَ وأَلَّفَ الكتب الكثيرة في الفقه وأصوله علىٰ مذهب الإمام الشافعي رحمه الله.

وكان معظماً عند الملوك وغيرهم، بُنيت له مدارس كثيرة في بلدان شتىٰ، وكان يحضر مجلس وعظه الملوك والوزراء والعلماء والأمراء والفقراء والعامة وغيرهم[2]. وقد برع في الكلام علىٰ مذهب الأشاعرة، وصنف فيه التصانيف الكثيرة مثل: «أساس التقديس» و«الأربعين»، و«المطالب العالية» وغيرها.

ويُعتبر الرازي من الذين نظموا مذهب الأشاعرة في الكلام، وساعدوا علىٰ نشره في جميع البلدان لِمَا أُوتي من ذكاءٍ وفطنة.

ولكن وصل إلىٰ ما وصل إليه أسلافه من الحيرة والاضطراب في نهاية المطاف، وكأن هاتفاً هتف به أن العمر قد انتهىٰ وانقضىٰ، فانظر إلىٰ ما قدمت من أعمالٍ وهيِّىء لها الجواب حتىٰ تُقدمه بين يدي الله تعالىٰ عند السؤال.

فحينئذٍ شعر أن العمر قد انقضىٰ ولم يَجْنِ منه سوىٰ قيل وقال، وعرف أن الحق والصواب مع الذين شَغلوا أنفسهم بكتاب الله وسنة

---

(١) انظر التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، لعبدالرحمن المعلمي تحقيق ناصرالدين الألباني (ج ٢ ص ٢٣٣) طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث والإفتاء.

(٢) انظر السير للذهبي (ج ٢١ ص ٥٠٠)، والبداية والنهاية (ج ١٣ ص ٥٥).

نبيه ﷺ والتزموهما منهجاً ودستوراً في حياتهم. فأنشد يقول:

نهايةُ إقدام العقول عقال	وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا	وحاصل دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوىٰ أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ثم قال بعد هذا: «لقد تأملتُ الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً،ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، إقرأ في الإثبات:

﴿الرَّحْمٰنُ عَلَىٰ العَرْشِ اسْتَوىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه﴾ [فاطر: ١٠]. واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلماً﴾ [طه: ١١٠] ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ [مريم: ٦٥]. ومَنْ جَرَّبَ مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»(١).

وكان يقول: «مَنْ لزم دين العجائز كان هو الفائز».

وهذه العبارة قالها مِن قبلُ إمام الحرمين الجويني، والشهرستاني، وكأن القوم قد اتفقوا علىٰ أن دين العجائز ومذهبهم هو دين الفطرة السليمة الخالية من كلِّ الشوائب الكلامية والفلسفية.

وقبل وفاة الرازي كتب وصيته ليُعلن فيها صراحةً الرجوع التام والانقياد الكامل لمذهب السلف الصالح، وإثبات الصفات الإلٰهية علىٰ الوجه اللائق بالله تعالى.

يقول ابنُ كثير رحمه الله عن الرازي: «وقد ذُكرت وصيته عند موته، وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلىٰ طريقة السلف وتسليم ما ورد علىٰ الوجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه»(٢).

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل (ج ١ ص ١٥٩)، ومجموع الفتاوى (ج ٤ص ٧٢)، ومجموعة الرسائل الكبرى (ج ١ ص ٩٧)، والبداية والنهاية (ج ١٣ ص ٥٥).

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (ج ١٣ ص ٥٥).

وهكذا ينتهي كل هؤلاء العلماء بعد الرحلة الطويلة في الكلام وتأويلاته، والفلسفة وغموضها إلىٰ منهج السلف الصالح، الذين أثبتوا لله تعالىٰ جميع الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ، ونفوا جميع الصفات التي نفاها الله عن نفسه ونفاها عنه نبيه ﷺ من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وأخيراً: إن في رجوع هؤلاء الأئمة إلىٰ مذهب السلف الصالح، واعترافهم بالحيرة والاضطراب بسبب البعد عن منهج القرآن والسنة، لعبرةً بالغة لطالب الحق.

فإن هؤلاء العلماء جَرَّبوا علم الكلام وتأويلاته، وقطعوا فيه شوطاً كبيراً، ودرسوا الفلسفة وعرفوا ما فيها، ومنهم - كما مر معنا - مَنْ طرق أبواب الباطنية ليعرف تعاليمها ومعتقداتها، ولكن العبرة بما انتهوا إليه. فإنهم رحمهم الله وجدوا هٰذه المذاهب المبتدعة سراباً بِقِيعةٍ يحسبه الظمآن ماء، ووجدوها معقدةً صلبةً تحمل في طياتها مناقضة الوحي المعصوم، ومسخ الفطرة السليمة.

* *



الفصل الثاني
مذهب الأشعري في الصفات الذاتية
ومخالفة الأشاعرة له

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: صفة الوجه.

المبحث الثاني: صفة اليدين.

المبحث الثالث: صفة العينين.



عرفنا في الفصل السابق مذهبَ السلف الصالح في الصفات، وأنه قائم على إثبات كل ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه المقدسة، وما أثبته له نبيه ﷺ، من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، ونفي كل ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه، وما نفاه عنه نبيه ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ.

فلا ينفون عن الله تعالىٰ ما وصفَ به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يُلحدون في أسمائه وآياته، ولا يُكَيِّفون ولا يُمثلون صفاتِه بصفات خلقه، بل يؤمنون بأنه تعالىٰ ليس كمثله شيءٌ لا في صفاته ولا في ذاته.

وعرفنا أيضاً أن مذهب الأشعري هو مذهب السلف الصالح، وأنه موافقٌ لهم فيما أثبتوه لله تعالىٰ من الصفات، وقائلٌ بكل ما يقولون، ومعتقدٌ كل ما يعتقدون.

وعرفنا أن الأشاعرة خالفوا الأشعري الذي ينتسبون إليه، وذٰلك لاختيارهم منهجاً وطريقاً غير المنهج الذي اختاره الأشعري وسار عليه.

وذكرنا عنهم ـ علىٰ سبيل الإجمال ـ أنَّهم أَوَّلوا الصفات الإلٰهية التي وردت في كتاب الله تعالىٰ وفي سنة رسوله ﷺ.

وأما الصفات التي أثبتوها فقد اختاروا منهجاً خاصاً بهم لتقسيمها وتنويعها، وقد ذكرنا المحاذير التي أُخذت علىٰ تلك التقسيمات.

كما عرفنا أيضاً أن أهل السنة والجماعة، قَسَّموا صفات الله تعالىٰ

حسب الأدلة الشرعية المستنبطة من كتاب الله تعالىٰ ومن سنة رسوله ﷺ. إلىٰ قسمين: ـ ١ ـ ثبوتية. ٢ ـ وسلبية.

وقلنا أنهم قسموا الصفات الثبوتية إلىٰ قسمين أيضاً: ـ

أ ـ ذاتية: مثل الوجه، واليدين، والعينين، والسمع، والبصر، والحياة... وغيرها.

ب ـ وفعلية: مثل الاستواء، والنزول، والإتيان، والمجيء، والضحك والفرح... وغيرها.

وفي هٰذا الفصل وما بعده نُريد أن نوضح تفاصيل مذهب الأشاعرة في تأويل الصفات، وأن تأويلاتهم هي بعينها تأويلات المعتزلة. ونوضح أن الأشعري بريء من كل هذه التأويلات، بل قد أعلن هو نفسه، أن هذه التأويلات هي تأويلات أهل الزيغ والبدع والفساد، كما سنرىٰ في معرض رده علىٰ مَن أَوَّلَ الصفات.

كما سيجد القارىء أنٰ هذا المنهج في تأويل الصفات هو منهج المعاصرين في مؤلفاتهم وبحوثهم العلمية، بل سيجد التصريح منهم بأن هٰذا القرآن الذي بين أيدينا مخلوق كما قالت المعتزلة تماماً، ويصرح أحد المؤلفين أنه لا فرق بين قول الأشاعرة والمعتزلة في أن هذا القرآن الموجود في المصحف مخلوق، وأن ما يسمع من دويٍ للخلاف الرهيب حول هذه المسألة، إنما هو للخلاف بين الإمام وأحمد والجهمية[1].

ومعنىٰ هذا أن الإمام أحمد بن حنبل عَرَّضَ نفسه للضرب، وغيره من العلماء عرض نفسه للقتل في مسألةٍ ـ في نظر الكاتب ـ لا تستحق كل هذا الذي جرى.

---

(١) انظر كبرى اليقينيات الكونية للدكتور محمد سعيد البوطي (ص ١٢٥).

المبحث الأول
صفة الوجه

صفةٌ ذاتيةٌ ثابتةٌ لله تعالى علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، وهي صفة خبرية، طريق العلم بها ورود الخبر عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ.

دلّ الكتاب العزيز علىٰ إثباتها:

قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

كما دلت السنة النبوية الصحيحة علىٰ إثباتها حقيقةً لله تعالى فمن ذلك:

١ - ما رُوي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾. قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك». وقال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾. فقال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك». قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً﴾. فقال النبي ﷺ: «هذا أيسر»[١].

٢ - وروىٰ أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين

(١) البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله عز وجل: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (ج ١٣ ص ٣٨٨ مع فتح الباري، رقم ٧٤٠٦).

القوم وبين أن ينظروا إلىٰ ربهم، إلا رداء الكبرياء علىٰ وجهه في جنة عدن»[1].

٣ - وروى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلماتٍ فقال: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[2].

٤ - وعن صهيب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وزيادة﴾. قال: «النظر إلىٰ وجه ربهم عز وجل»[3].

٥ - وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا دخل المسجد: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم. من الشيطان الرجيم»[4].

فهذه الأحاديث النبوية تدل دلالةً واضحةً وظاهرةً علىٰ إثبات صفة الوجه

---

(١) البخاري في التوحيد، باب قول الله عز وجل: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلىٰ ربها ناظرة﴾. (ج ١٣ ص ٤٢٣ فتح الباري رقم ٧٤٤٤)، ومسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة (ج ١ ص ١٦٣ رقم ١٨٠)، والترمذي في الجنة، باب ما جاء في صفة غرف الجنة (ج ٤ ص ٦٧٣ رقم ٢٥٢٨)، مطبعة مصطفى البابي، مصر سنة ١٣٨٢هـ، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ج ١ ص ٦٦ رقم ١٨٦)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) مسلم في الإيمان، باب قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينام... الخ» (ج ١ ص ١٦١، رقم ١٧٩)، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ج ١ ص ٧٠ رقم ١٩٥)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٩) دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٣هـ.

(٣) مسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة. (ج ١ ص ١٦٣، رقم ٢٩٧ و٢٩٨)، وابن مَنده في الرد على الجهمية (ص ٩٥ رقم ٨٣).

(٤) أبو داود في الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد (ج ١ ص ٣١٨، رقم ٤٦٦). قال عنه النووي في الأذكار: «حديث حسن أخرجه أبو داود بإسناد جيد» (ص ٣٣)، طبعة دار القلم، بيروت. وصححه الشيخ الألباني في تخريج الكلم الطيب (ص ٥٢) طبع المكتب الإسلامي.

لله تعالى حقيقةً، على ما يليق بجلاله وعظمته.

مذهب السلف في إثبات صفة الوجه لله تعالى:

ذهب السلف الصالح قاطبةً إلىٰ إثبات هذه الصفة حقيقةً لله تبارك وتعالىٰ علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تكييفٍ ولا تمثيل، ومستندهم في هذا الإثبات الآيات الواردة في كتاب الله والأحاديث الصحيحة الواردة في سنة رسوله ﷺ.

وبناءً علىٰ هذا الإثبات فَسَّر الصحابة والتابعون «الزيادة» التي وردت في قوله تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] بما فسرها به النبي ﷺ من أنها النظر إلىٰ وجه الله تبارك وتعالىٰ.

ومن هؤلاء الصحابة: أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبدالله بن عباس، وغيرهم، رضي الله عنهم جميعاً.

ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وعبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، وعبد الرحمن بن سابط، ومجاهد، وعكرمة، وعامر بن سعد، وعطاء، والضحاك، وقتادة، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم[1].

فالصحابة ومَنْ تبعهم، متفقةٌ كلمتهم علىٰ إثبات صفة الوجه لله تعالىٰ إثباتاً يليقُ بجلاله وعظمته.

ومن الأئمة الذين أثبتوا هذه الصفة لله تعالىٰ، وحكوا فيها مذهب السلف الصالح، الإمام ابن خزيمة رحمه الله، فقد قال حاكياً مذهبهم بعد أن ذكر الآيات القرآنية التي وردت فيها صفة الوجه:

«. . . فأثبتَ الله لنفسه وجهاً وَصَفَهُ بالجلال والإكرام، وحكم لوجهه

---

(١) انظر الشريعة للآجري (ص ٢٥٧)، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، والسنة لابن أبي عاصم (ج ١ ص ٢٠٥)، تحقيق محمد ناصرالدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي. والرد على الجهمية لابن منده (٩٥٩) تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي، وتفسير ابن كثير (ج ٢ ص ٤١٤).

بالبقاء ونفى عنه الهلاك.

فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن والعراق والشام ومصر، مذهبُنا أن نُثْبِتَ لله ما أثبته لنفسه، نُقِرُّ بذلك بألسنتنا، ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، وعز ربنا عن أن نشبهه بالمخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز عن أن يكون عدماً كما قال المبطلون، لأنه مالا صفة له عدم، تعالىٰ الله عما يقوله الجهميون الذين يُنكرون صفات خالقنا الذي وصف الله بها نفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه ﷺ...»[1].

وقال أيضاً رحمه الله: «نحن نقول وعلماؤنا جميعاً في الأقطار: أن لمعبودنا عز وجل وجهاً كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فذوّاه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء ونفى عنه الهلاك. ونقول: إن لوجه ربنا من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحاتُ وجهه كل شيءٍ أدركه بصره...»[2].

مذهب الأشعري في صفة الوجه لله تعالىٰ:

ذهب الأشعريُّ رحمه الله إلىٰ إثبات هذه الصفة الكريمة لله تعالىٰ علىٰ ما يليق بجلاله تعالىٰ وعظمته.

وبهذا يوافق السلف الصالح الذين أثبتوا هذه الصفة لله تعالىٰ، فقد بَيَّن رحمه الله أن من جملة ما يعتقده ويقربه، إثبات صفة الوجه لله تعالىٰ بلا كيف[3].

وعقد باباً لإثبات صفة الوجه والعينين واليدين، وذكر الأدلة على إثبات هذه الصفة فقال: «قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلا وَجْهَهُ﴾

---

(١) التوحيد (ص ١٠).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٢).

(٣) انظر الإبانة (ص ١٨).

[القصص: ٨٨]. وقال عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكـرام﴾ [الرحمن: ٢٧].

فأخبر أن له وجهاً لا يفنى ولا يلحقه الهلاك.

... ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال»[1].

وقال أيضاً رحمه الله مثبتاً هـذه الصفة لله تعـالى: ـ «فَمن سألنـا فقال: أتقـولون: أن لله سبحـانـه وجهـاً؟ قيـل لـه: نقـول ذلـك خـلافـاً لمـا قـالـه المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكرام﴾»[2].

وقد ذكر أيضاً في كتابه «مقالات الإسلاميين» ما يدل علىٰ أنه من الذين يُثبتون هٰذه الصفة الكريمة لله تعالىٰ علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته.

وذلك بأنه ذكر معتقدَ أهل السنـة والجماعـة أصحاب الحـديث، وأنهم أثبتوا هذه الصفة الكريمة لله تعالىٰ بلا كيف، وحسب ما يليق بـالله تعالىٰ، ثم قال رحمه الله بعد أن ذكر معتقـدهم: «وبكل مـا ذكرنـا من قولهم نقـولُ وإليه نذهب وما تـوفيقنا إلا بـالله...»[3]. وبهٰذا يتضـح لنا أن الأشعـري أثبتَ هذه الصفةَ الكريمةَ لله تعالى، موافقاً بذلك السلف الصالح الذين أثبتوها لله تعالى من غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ ولا تحريفٍ ولا تعطيل.

* * * *

مذهب الأشاعرة في صفة الوجه:

ذهب جمهـورُ الأشاعـرة إلىٰ عدم إثبـات هذه الصفـة الكـريمـة، وردوا الآيات والأحاديث المثبتة لهذه الصفة، وذٰلك عن طريق تأويلها وإخراجها عن ظاهرها.

---

(١) الإبانة (ص ٩٥ ـ ٩٦).

(٢) المصدر السابق (ص ٩٦).

(٣) مقالات الإسلاميين (ج ١ ص ٣٤٥).

وهـذه الأحاديث الصحيحـة التي ذكرنـاها أوَّلـوها وجعلوا المـراد منها. الذات، ولهذا قـال البغدادي في أصـول الدين: «والصحيـح عندنـا أن وجهه ذاته»[1].

ومنهم مَنْ جعل لفظ الوجه كنايـةً: تارةً عن الـذات، وتارة عن الـرضى والثواب والجزاء، وقالوا: إن الـوجه المـذكور في قـوله تعـالى: ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلالِ والإكرام**﴾ [الرحمن: ٢٧] صلةً في الكلام وليس صفةً[2].

وحين يذهب الأشاعرة إلىٰ تأويل صفة الـوجه بـالذات تـارةً، وبالـرضىٰ والثواب تارةً أخرىٰ، فإنما يوافقون في ذلك المعتزلة، فإن المعتزلة أوَّلوا صفة الوجه بالذات[3].

ويقول النظام ـ وهو من كبار المعتزلة ـ في تأويل صفة الوجه: «ذكر الله سبحانه الوجه علىٰ التوسع، لا لأن له وجهاً في الحقيقة، وإنما معنىٰ ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ**﴾ أي ويبقىٰ ربك»[4].

وهذه التأويلات الأشعرية والمعتزلية باطلةٌ من وجوهٍ عديدة ـ

منها: أن الله تعالىٰ لما أضاف الـوجه إلىٰ الـذات، وأضاف النعت إلىٰ الوجه فقـال: ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّـكَ ذُو الجَلالِ والإكـرام**﴾ [الرحمن: ٢٧] دل علىٰ أن ذكـر الوجـه ليس بصلة، وأن قولـه: ﴿**ذُو الجَـلالِ والإكـرام**﴾ صفـة للوجه، وأن الوجه صفة للذات.

وتأمل رفع قولـه: ﴿**ذو الجلال والإكـرام**﴾ عند ذكـر الوجـه، وجره في قوله: ﴿**تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام**﴾ [الرحمن: ٧٨].

فذوىٰ الوجه المضاف بالجلال والإكـرام لما كـان القصد الإخبـار عنه،

---

(١) أصـول الدين (ص ١١٠) وانـظر عن تأويلهم لصفـة الوجـه: الإرشاد للجـويني (ص ١٥٥). وانظر غاية المرام للآمدي (ص ١٤٠) طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي بمصر.

(٢) انظر أساس التقديس للرازي (ص ١١٧).

(٣) انظر عن تأويل المعتزلة: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٢٢٧).

(٤) مقالات الإسلاميين للأشعري (ج ١ ص ٢٤٨).

وذوّىٰ المضاف إليه بالجلال والإكرام في آخر السورة لما كان المقصود عين المسمى دون الإسم[1].

ومنها: أن ما زعموه من أن الوجه الوارد في الآيات الكريمة، يُقصد به الثواب باطلٌ، وذلك لأن الثواب مخلوق.

وقد بَيَّن ابنُ القيم رحمه الله أن حمل الوجه على الثواب من أبطل الباطل، وذلك لأن الثواب مخلوق، وقد صح عن النبي ﷺ أنّه استعاذ بوجه الله تعالى، فلو كان الوجه مخلوقاً لما كان للنبي ﷺ أن يستعيذ بمخلوق[2].

ومن الأحاديث التي ورد فيها إستعاذة النبي ﷺ بوجه الله تعالى، ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿قُل هُو القَادِرُ علىٰ أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عذاباً﴾ قال النبي ﷺ: «أعوذ بوجهك... الحديث»[3].

وكان النبي ﷺ يقول في دعائه: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»[4]، فلم يكن النبي ﷺ ليسأل لذة النظر إلى الثواب.

ومنها: «أن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون علىٰ أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة، وهي الزيادة التي فَسَّرَ بها النبي ﷺ والصحابة قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسنىٰ وزيادة﴾ [يونس: ٢٦]، فروىٰ مسلمٌ في صحيحه بإسناده عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسنى وَزِيادة﴾. قال: «النظر إلىٰ وجه الله تعالى»[5]

---

(١) انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ١٧٤).

(٢) انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ١٧٦).

(٣) تقدم تخريجه في صفحة ١٤٧.

(٤) أحمد في المسند (ج ٤ ص ٢٦٤) المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، والنسائي في كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر (ج ٣ ص ٤٦). ورواه الحاكم وصححه. ووافقه الذهبي (ج ٢ ص ٥٢٤) دار الباز للنشر والتوزيع. وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير (ج ١ ص ٤١١) طبع المكتب الإسلامي، بيروت.

(٥) تقدم تخريجه في صفحة ١٤٨.

فَمَنْ أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقة، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو، فيعود النظر عنده إلىٰ خيالٍ مجرد. . .»[1].

وفي حديث النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[2].

في هذا الحديث ما يدل علىٰ بطلان قول الأشاعرة: أن المراد بالوجه الذات أو الثواب، وذلك أن الرسول ﷺ استعاذ بالذات مرة، واستعاذ بالوجه مرةً أخرىٰ.

فتأمل كيف قرره في الاستعاذة بين استعاذته بالذات وبين استعاذته بالوجه الكريم، وهٰذا صريح في إبطال قولهم: إنه الذات نفسها، وأنه الثواب، لأنه لا يجوز الاستعاذة بالثواب وهو مخلوق[3].

وبما ذكرنا يتضح لنا ما يلي:

١ ـ أن الآيات والأحاديث تدل دلالةً واضحةً علىٰ إثبات صفة الوجه حقيقةً لله تعالى.

٢ ـ أن السلف الصالح آمنوا بهذه الآيات والأحاديث، وأثبتوا لله تعالىٰ وجهاً حقيقةً يليق بجلاله وعظمته.
فيجب إثباته له بلا تحريفٍ ولا تعطيلٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

٣ ـ أن الأشعري أثبتَ لله تعالىٰ هذه الصفة الكريمة علىٰ ما يليق بجلاله تعالىٰ وعظمته، وهو بهٰذا يوافق سلفَ الأمة في إثباتهم صفة الوجه لله تعالى.

٤ ـ أن الأشاعرة ردوا الآيات والأحاديث التي أثبتت هذه الصفة، وأَوَّلوها وحَرَّفوها عن ظاهرها المراد واللائق بالله تعالىٰ.

---

(١) مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ١٧٩).

(٢) تقدم تخريجُهُ في صفحة ١٤٨.

(٣) انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ١٨٠).

وهم بهذا يخالفون السلف الصالح، كما يخالفون الأشعري نفسه الذي يَـدَّعـون أنهم ينتسبـون إليـه وأنهم أتبـاعـه، ووافقـوا بهـذه التـأويـلات المعتزلة، الـذين رد عليهم الأشعري بـاعتبارهم الـذين نفوا هـذه الصفة وعَطَّلُوها عن ظاهرها المراد اللائق بالله تعالىٰ.

* *

المبحث الثاني
صفة اليدين

أجمع السلف الصالح على إثبات يدين لله تعالىٰ حقيقة، وهما من صفاته الذاتية الثابتة له حقيقة على الوجه اللائق بجلاله تعالى.

وقد دل على ثبوتهما الكتاب والسنة.

فمن أدلة الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ: ٧٥] وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَت اليَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِما قَالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشآء﴾ [المائدة: ٦٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿يَدُ الله فَوْقَ أَيدِيهم﴾ [الفتح: ١٠].

ومن أدلة السنة النبوية:

١ ـ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلىٰ ربنا فيريحنا من مكاننا هذا. فيأتون آدم فيقولون له: أنت آدم أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك الملائكة، وعَلَّمك أسماءَ كُلِّ شيء، فاشفع لنا إلىٰ ربنا حتىٰ يُريحنا. فيقول لهم: لست هناكم. فيذكر لهم خطيئته التي أصاب»[1].

٢ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «احتج آدم وموسى، فقال له موسىٰ: يا آدم أنت أبونا، خَيَّبتنا وأخرجتنا من الجنة، قال له

---

(١) البخاري في التوحيد، باب قوله عز وجل: ﴿وَكَلَّمَ الله مُوسىٰ تَكليماً﴾ (ج ١٣ ص ٤٧٧ مع فتح الباري رقم ٧٥١٦)، مسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ج ١ ص ١٨٠، رقم ١٩٣).

آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخَطَّ لك بيده، أتلومني على أمرٍ قدره الله عَلَيَّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى، فحج آدم موسى. ثلاثاً»[1].

٣ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يد الله ملأىٰ لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار». وقال: «أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السمٰوات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده». وقال: «عرشه علىٰ الماء، وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»[2].

٤ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدةً يكفؤها الجبار بيده كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة»[3].

٥ - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض ثم يأخذهن»[4].

٦ - عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيءُ الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها»[5].

---

(١) البخاري في القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله (ج ١، ص ٥٠٥ مع الفتح، رقم ٦٦١٤). ومسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (ج ٤ ص ٢٠٤٢ رقم ٢٦٥٢) ولكن بلفظ «وكتب لك التوراة بيده».

(٢) البخاري في التوحيد، باب ﴿لما خلقت بيدي﴾ (الفتح ج ١٣ ص ٣٩٣ رقم ٧٤١١)، والترمذي في التفسير، باب في تفسير سورة المائدة (ج ٥ ص ٢٥٠، رقم ٣٠٤٥). وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ج ١ ص ٦٧ رقم ١٨٩).

(٣) البخاري في الرقائق، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (الفتح ج ١١ ص ٣٧٣ رقم ٦٥٢٠). ومسلم في صفات المنافقين، باب نزل أهل الجنة (ج ٤ ص ٢١٥١ رقم ٢٧٩٢).

(٤) مسلم في صفات المنافقين، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، (ج ٤ ص ٢١٤٨، رقم ٢٧٨٨). وأبو داود في السنة، باب في الرد علىٰ الجهمية (ج ٥ ص ١٠٠، رقم ٤٧٣٢).

(٥) مسلم في التوبة، باب قبول التوبة (ج ٤ ص ٢١١٣، رقم ٢٧٥٩). وأحمد في المسند (ج ٤ ص ٣٩٥). وابن خزيمة في كتاب التوحيد (ص ٧٥).

٧ - عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول ما خلق الله تعالىٰ القلم. فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين»(١).

٨ - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «المقسطون يوم القيامة علىٰ منابرٍ من نورٍ من يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين»(٢).

٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تصدقَ أحدٌ بصدقةٍ من طيب، ولا يقبل الله إلَّا الطيب، إلا أخذها الرحمٰن بيمينه، وإن كانت تمرةً، فتربوا في كف الرحمٰن حتىٰ تكون أعظم من الجبل، كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»(٣).

١٠ - عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك»(٤).

١١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلىٰ الله إلا الطيب، فإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فلوه حتىٰ تكون مثل الجبل»(٥).

١٢ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض

---

(١) ابن أبي عاصم في السنة (ج ١ ص ٤٩) والأجري في كتاب الشريعة (ص ١٧٥).

(٢) مسلم في كتاب الأمارة، باب فضيلة الإمام العادل (ج ٣ ص ٤٥٨ رقم ١٨٢٧). والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة المعوذتين (ج ٥ ص ٤٥٣، رقم ٣٣٦٨). والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات (ص ٣٢٤).

(٣) مسلم في الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، (ج ٢ ص ٧٠٢ رقم ١٠١٤). وابن ماجه في الزكاة، باب فضل الصدقة (ج ١ ص ٥٩٠، رقم ١٨٤٢). وابن خزيمة في التوحيد (ص ٦١). والأجري في الشريعة (ص ٣٢٠).

(٤) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (الفتح ج ١٣ ص ٣٩٣ رقم ٧٤١٢).

(٥) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الملآئِكَةُ والرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وقوله جل ذكره: ﴿إِلَيْه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (الفتح ج ١٣ ص ٤١٥ رقم ٧٤٣٠).

يـوم القيامـة، ويطوي السمـاء بيمينـه ثم يقـول: أنـا الملك أين ملوك الأرض»[1].

١٣ ـ عن عبـدالله بن عمرو بن العـاص رضي الله عنهمـا أنـه سمـع رسـول الله ﷺ يقــول: «إنَّ قلوب بني آدم كلهــا بين أصبعيـن من أصــابــع الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه كيف يشاء»[2].

١٤ ـ عن عبـدالله بن مسعود رضي الله عنـه، أنَّ يهودياً جـاء إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد إن الله يمسك السماوات علىٰ أصبع، والأرضين علىٰ اصبع، والجبال علىٰ أصبـع، والشجـر علىٰ أصبـع، والخـلائق على أصبـع، ثم يقـول: أنـا الملك. فضحـك رســول الله ﷺ حتىٰ بـدت نواجذه ثم قرأ: ﴿وما قَدَروا الله حَقَّ قدره﴾ . . .»[3].

هــذه بعض الأحـاديث التي خَــرَّجهــا الشيخــان (البخــاري ومسلم) وغيـرهمـا، وهي غيض من فيض، وهي تـدل علىٰ إثبـات يـدين حقيقيتين لله تعالىٰ علىٰ ما يليق بجلاله وعـظمته. خصـوصاً وأن الأدلـة قد تنـوعت لإثبات صفة اليدين لله تعالىٰ، وذلك بـإثبات الأصـابع لهمـا، وإثبات القبض بهمـا، وتثنيتهما، وأن الله يبسط يده بالليل ليتـوب مسيءُ النهار، ويبسط يـده بالنهـار ليتوب مسيءُ الليل، وأنه تعالىٰ يتقبل الصدقة بيمينه، وغير ذلك مما هو ثابت لله تعالىٰ بالأدلة الصحيحة.

---

(١) البخاري في التفسير، باب والأرض جميعاً قبضتـه يوم القيـامة، والسموات مطويـات بيمينه. (الفتـح ج ٨ ص ٥٥١ رقم ٤٨١٢). وفي التوحيـد، باب قـول الله تعـالى: ﴿ملك النـاس﴾ (ج ١٣ ص ٣٦٧ رقم ٧٣٨٢). وابن مـاجه في المقـدمة، بـاب فيما أنكـرت الجهميـة (ج ١ ص ٦٨ رقم ١٩٢). والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات (ص ٣٢٣).

(٢) مسلم في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (ج ٤ ص ٢٠٤٥، رقم ٢٦٥٤). وأحمد في المسند (ج ٢ ص ١٦٨). والآجري في الشريعة (ص ٣١٦).

(٣) البخاري في التوحيـد، باب قـول الله تعالى: ﴿لمـا خلقت بيدي﴾ (الفتـح ج ١٣ ص ٣٩٣، رقم ٧٤١٤). وباب قول الله تعـالى: ﴿إنَّ الله يُمسِكُ السَّمٰوات والأَرْضَ أن تزولا﴾ (ج ١٣ ص ٤٣٨ رقم ٧٤٥١). ومسلم في كتاب المنافقين، باب صفة القيـامة (ج ٤ ص ٢١٤٧ رقم ٢٧٨٦). والترمذي في التفسير، باب ومن سـورة الزمـر (ج ٥ ص ٣٧١ رقم ٣٢٣٨). وابن خزيمة في التوحيد (ص ٧٦).

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في هذا: «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع وروداً متنوعاً ومتصرفاً فيه مقروناً بما يدل علىٰ أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط...»[1].

* * *

مذهب السلف الصالح في إثبات صفة اليدين لله تعالى:

لقد أثبت السلف الصالح صفة اليدين لله تعالىٰ حقيقةً علىٰ ما يليق بجلاله وعظمته، إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل، وأثبتوا كل ما دل علىٰ إثبات صفة اليدين من الأصابع والكف والقبض والبسط واليمين وغيرها مما وردت النصوص الصحيحة بإثباته لله تعالىٰ.

يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله حاكياً مذهب السلف الصالح: «والبيان أن الله تعالىٰ له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله، أنه خلق آدم عليه السلام بيديه، قال الله عز وجل لإبليس: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص: ٧٥]. وقال جل وعلا تكذيباً لليهود حين قالوا: ﴿**يَدُ الله مَغْلُولَةٌ**﴾ فكذبهم في مقالتهم: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ**﴾ [المائدة: ٦٤]. وأعلمنا أن الأرض قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه، و﴿**يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح: ١٠]. وقال: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس: ٨٣]. وقال: ﴿**وَتُعِزُّ مَنْ تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَآءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران: ٢٦]. ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً**﴾ [يس: ٧١]»[2].

ثم ذكر رحمه الله أدلة السنة النبوية ـ وقد مرت معنا ـ على إثبات صفة

---

(١) مختصر الصواعق (ج ٢ ص ١٧١)، وانظر أيضاً شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله الغنيمان (ج ١ ص ٣١١) توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

(٢) التوحيد لابن خزيمة (ص ٥٣)، وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي (ج ٢ ص ٤١٢). والشريعة للآجري (ص ٣٢٣).

اليدين لله تعالى. وقد حكى الدارمي رحمه الله أقوال بعض السلف في إثبات صفة اليدين لله تعالى.

منها: ما ذكره رحمه الله عن عكرمة[1] أنه قال في قوله تعالى: **﴿بل يداه مبسوطتان﴾** قال: يعني اليدين.

ومنها: ما ذكره عن نافع بن عمر الجمحي أنه قال: سألت ابن أبي مليكة[2] عن يد الله تعالى واحدة أو اثنتان، قال: بل اثنتان.

ومنها: ما ذكره عن عاصم الجحدري أنه قال في قوله تعالى: **﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾** قال: بيديه[3].

أما عن إثباتهم لصفة الأصابع فقد قال البغوي رحمه الله:

«والأصبع المذكورة في الحديث صفة من صفات الله عز وجل، وكذلك كل ما جاء به الكتاب والسنة من هذا القبيل من صفات الله تعالى كالنفس، والوجه، والعين. . .

فهذا ونظائرها صفات لله تعالى، ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** [الشورى: ١١].

وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة، تلقوها جميعاً بالإيمان

---

(١) أبو عبدالله القرشي مولاهم المدني البربري الأصل، حدث عن ابن عباس وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم من الصحابة وكان من أهل العلم وحجة بالتفسير وعالماً بالفقه والحديث. (ت ١٠٧هـ). سير أعلام النبلاء (٥: ١٢)، شذرات الذهب (١: ١٣٠).

(٢) عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة. الإمام الحجة الحافظ أبو بكر وأبو محمد القرشي التيمي. ولد في خلافة علي أو قبلها. وكان عالماً مفتياً صاحب حديث واتقان، معدود في طبقة عطاء، وقد ولي القضاء لابن الزبير والأذان أيضاً. مات سنة ١١٧ هـ.
سير أعلام النبلاء ٥: ٨٩، شذرات الذهب ١: ١٥٣.

(٣) انظر رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد. للدارمي ص ٣٨.

والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل. . .»[1].

فالسلف جميعاً متفقون على إثبات صفة اليدين لله تعالى، وإثبات الأصابع لهما، وإثبات القبض بهما، وأن الله يبسط يده بالليل والنهار، وأن الله يتقبل الصدقة بيمينه، وأن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين.

يثبتون ذلك كله لله تعالى على ما يليق به من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، يجرون هذا كله على الظاهر، ويقرون بأن تأويله ـ أي ما يؤول إليه من حقيقة ـ لا يعلمه إلا الله تعالى.

مذهب الأشعري في إثبات صفة اليدين:

لقد أثبت الأشعري رحمه الله صفة اليدين لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، موافقاً في هذا الإثبات السلف الصالح الذين آمنوا بنصوص إثبات هذه الصفة الكريمة، وأثبتوا صفة اليدين لله تعالى.

واستدل الأشعري على ما أثبته لله تعالى بقوله: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾ [الفتح: ١٠] وبقوله: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ [صٓ: ٧٥]، وبقوله: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ [المائدة: ٦٤].

ثم استدل على إثبات صفة اليدين لله تعالى بحديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «خلق الله آدم بيده فمسح على ظهره فاستخرج منه ذريته»[2].

وبعد أن أثبت الأشعري صفة اليدين، بدأ يرد على المبتدعة الذين أولوا هذه الصفة.

فبدأ نقاشه معهم باللغة العربية والخطاب العربي، وبين أن اللغة لا

---

(١) شرح السنة للبغوي (ج ١ ص ١٦٨)، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي.

(٢) أبو داود في السنة، باب في القدر (ج ٥ ص ٧٩ رقم ٤٧٠٣). والترمذي في التفسير، باب ومن سورة الأعراف (ج ٥ ص ٢٦٦ رقم ٣٠٧٥). والحاكم في المستدرك (ج ١ص ٢٧). وابن أبي عاصم في السنة (ج ١ ص ٨٧). والبغوي في شرح السنة (ج ١ ص ١٣٨).

حجة لهم فيها، بل هي في الواقع حجة عليهم، لأنه لم يرد في هذه اللغة على سعتها وإحاطتها بكل الأساليب العربية، ما يزعمونه ويؤولون إليه اليد.

وفي هذا يقول رحمه الله: «وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل:

عملت كذا بيديّ، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها، وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة، فبطل أن يكون معنى قوله عز وجل: ﴿بيدي﴾ النعمة»[1].

وقال أيضاً رحمه الله: «ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة، إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمه من قبلها، لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل ﴿بيدي﴾ نعمتي إلى الإجماع، فليس المسلمون على ما ادعى متفقين،وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: بيدي - يعني نعمتي - وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد إليه سبيلاً»[2].

وبعد هذا بدأ يناقشهم بالأساليب العقلية والقياسية، التي هي من جنس ما يعتمدونه في تأويلهم لهذه الصفة وباقي الصفات، فأحسن رحمه الله وأجاد.

وفي هذا يقول: «ويقال لأهل البدع: لم زعمتم أن معنى قوله: ﴿بيدي﴾ نعمتي. أزعمتم ذلك إجماعاً أو لغة؟

فلا يجدون ذلك في الإجماع ولا في اللغة.

وإن قالوا: قلنا ذلك من القياس.

---

(١) الإبانة (ص ٩٨).

(٢) المصدر السابق،(ص ٩٨).

قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله ﴿**بيدي**﴾ لا يكون معناه إلا نعمتي؟.

ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يفسر كذا وكذا، مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق: ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان بقومه**﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿**لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين**﴾ [النحل: ١٠٣] ﴿**إنا جعلناه قرآناً عربياً**﴾ [الزخرف: ٣]، ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ [محمد: ٢٤].

ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره، ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه، علم أنهم علموه لأنه بلسانهم نزل، وليس في لسانهم ما ادعوه»[1].

ثم أخذ رحمه الله يفند الشبهة التي اعتمدوا عليها وتمسكوا بها في تأويلهم اليدين بالقوة، حيث قالوا: معنى قوله تعالى: ﴿**والسماء بنيناها بأيد**﴾ [الذاريات: ٤٧] أي بقوة، وهذا يدل على سلامة تأويلنا اليدين بالقوة ـ على حد زعمهم ـ.

وهذه شبهة واهية لا تستقيم لهم أبداً، فقد رد رحمه الله على هذه الشبهة وفندها وكان مما قال:

«هذا التأويل فاسد من وجوه آخرها[2]، أن الأيدي ليس بجمع لليد، لأن جمع يد التي هي نعمة أيادي، وإنما قال: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: ﴿**بيدي**﴾ معنى قوله: ﴿**بنيناها بأيد**﴾. وأيضاً فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي، وهذا ناقض لقول مخالفنا، وكاسر لمذهبهم، لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة فكيف يثبتون قدرتين.

---

(١) الإبانة، (ص ٩٩).

(٢) لم يذكر الأشعري سوى هذا الوجه في بيان فساد هذا التأويل، وكأن لسان حاله يقول: إن هذا التأويل فاسد بوجوه عديدة، آخرها يكفي في الرد عليها.

وأيضاً فلو كان الله عز وجل عني بقوله: ﴿لما خلقت بيدي﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك مزية، والله عز وجل أراد أن يُرِي فضل آدم عليه السلام إذ خلقه بيده دونه، ولو كان خالقاً لإبليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجاً على ربه فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك، قال له موبخاً على استكباره على آدم أن يسجد له: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت﴾ [ص: ٧٥]، دل على أنه ليس معنى الآية القدرة إذا كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعاً بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين لم يشارك إبليس آدم عليه السلام في أن خلق بهما»[١].

ثم عاد رحمه الله لمناقشتهم بالأسلوب العقلي على تأويلهم اليدين بالنعمة. فقال مخاطباً لهم:

«لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله: ﴿بيدي﴾ يدين ليستا نعمتين؟ فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟ فإن رجعونا إلى شاهدنا وإلى ما نجده فيما بيننا من الخلق، فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: إن عملتم على الشاهد، وقضيتم به على الله عز وجل، فكذلك لم نجد حياً من الخلق إلا جسماً لحماً ودماً، فاقضوا بذلك على الله عز وجل، وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين، وإن أثبتم حياً لا كالأحياء منا، فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا كالأيدي؟»[٢].

وأخيراً: بين الأشعري رحمه الله أن الواجب على المسلمين أن يثبتوا لله تعالى اليدين كما أثبت لنفسه، وأن يفهموا من قوله تعالى: ﴿لما خلقت

---

(١) الإبانة (ص ١٠٠).
(٢) الإبانة (ص ١٠٣).

بيدي﴾ إثبات يدين لله تعالى حقيقة ليستا نعمتين، إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيدي وهو يعني النعمتين[1].

وذكر الأشعري تأكيداً لإثبات صفة اليدين لله تعالى إجماع السلف الصالح على إثبات يدين لله تعالى، فقال:

«وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى: يدين مبسوطتين. وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارحاً، وأنَّ يديه غير نعمته»[2].

والواضح من هذا الكلام أن الأشعري يثبت لله تعالى صفة اليدين والقبض بهما، وطي السموات بيمينه تعالى.

كما أثبت الأشعري صفة الأصابع لله تعالى فقال: «وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب: وأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمٰن»[3].

وأنه سبحانه «يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع»[4]، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكييف»[5].

مذهب الأشاعرة في صفة اليدين:

لقد ذهب الأشاعرة إلى تأويل هذه الصفة، وإخراجها عن ظاهرها اللائق بجلال الله وعظمته. وتكلفوا فيها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. وأولوا أيضاً كل ما دل على هذه الصفة من اليمين والقبضة، والأصابع، والكف وغيرها.

فأولوا اليدين، وقالوا المراد منها:

---

(١) المصدر السابق (ص ١٠٥).
(٢) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢١١).
(٣) تقدم تخريجه (ص ١٩٥).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) الإبانة (ص ٢٣).

١ - الملك.
٢ - أو النعمة.
٣ - أو القدرة.

يقول ابن فورك في بيان تأويل اليد: - «واعلم أنه ليس ينكر استعمال لفظ اليد على معنى النعمة، وكذلك استعماله على معنى الملك والقدرة»[١].

وأولوا القبضة وقالوا المراد منها:
١ - الملك.
٢ - أو القدرة.
٣ - أو تكون في حكم الفناء تحقيقاً للمعاد واستشهدوا بقول القائل: قبض الله نفس فلان إليه أي أفناه[٢].

يقول البيهقي عن القبضة: «وقد تكون بمعنى الملك والقدرة، يقال: ما فلان إلا في قبضتي، يعني ما فلان إلا في قدرتي...»[٣].

وأولوا الأصابع بأن المراد منها:
١ - الملك.
٢ - أو القدرة.

يقول ابن فورك في بيان تأويل صفة الأصابع: «المراد بالأصابع ههنا الملك والقدرة»[٤].

واختلفوا في تأويل قوله ﷺ: «القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن»[٥].

---

(١) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص ١٨٨) دار الكتب العلمية بيروت. سنة ١٤٠٠هـ. وانظر أيضاً أساس التقديس للرازي (ص ١٢٥)، وتحفة المريد للبيجوري (ص ٥٨).
(٢) أنظر مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص ٣٢).
(٣) الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٣٣١).
(٤) مشكل الحديث وبيانه لابن فورك (ص ١٠١).
(٥) تقدم تخريجه. في صفحة ٩٦ و٩٨.

فقال بعضهم: المراد بين صفتين من صفاته، وهاتان الصفتان القدرة والإرادة[1].

وقال آخرون: الأصبعين ههنا بمعنى النعمتين[2]. وأولوا يمين الله تعالى، وقالوا المراد منه: عطايا الله كثيرة[3].

وقال آخرون: المراد باليمين: الملك والقدرة.

ومعنى «يمين الله ملأى» يريد كثرة نعمائه[4].

وأولوا كف الرحمن وقالوا: المراد به الملك والسلطان[5].

هذه بعض تأويلاتهم لهذه الصفات الكريمة الثابتة لله تعالى، وهذا غيض من فيض، وإلا ما حوته بطون كتبهم أكثر من هذا بكثير.

والأشاعرة يوافقون المعتزلة في هذه التأويلات.

فقد أوَّلَ المعتزلة قوله تعالى في إثبات صفة اليدين له: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ قالوا: المراد منهما النعمة[6].

وأولوا أيضاً اليدين في قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ بأن المراد منهما القوة[7].

كما أولوا صفة اليمين في قوله تعالى: ﴿والسمٰوات مطويات بيمينه﴾ بأن المراد من اليمين في الآية: القوة[8].

وقال الزمخشري - وهو من كبار المعتزلة - في تأويل صفتي القبضة واليمين -:

(١) انظر تحفة المريد للبيجوري (ص ٥٨).
(٢) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص ١٠١).
(٣) مشكل الحديث لابن فورك (ص ٣٩).
(٤) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٣٣٠).
(٥) المصدر السابق (ص ٣٣٠).
(٦) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٢٨).
(٧) المصدر السابق (ص ٢٨٨). وانظر أيضاً متشابه القرآن للقاضي (ج ١ ص ٢٣٠).
(٨) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٢٩).

«وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع، وبيمينه بقدرته. . .»[1]. كما أولوا حديث النبي ﷺ الذي ورد في إثبات الأصابع: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»، قالوا: المراد من الأصبعين القدرتين[2].

وهذه التأويلات التي اتفق عليها الأشاعرة والمعتزلة أخرجت هذه النصوص الصحيحة والصريحة عن ظاهرها المراد الذي يستحقه الله تعالى وتليق به من إثبات صفة اليدين والكف والأصابع واليمين والقبضة والطي والإمساك وغيرها، وكل هذه الصفات ثابتة لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به تعالى.

ويكفي في الرد على تأويلات الأشاعرة لليدين بأن المراد منهما القدرة، أنهم أثبتوا لله تعالى قدرة واحدة، فماذا يقولون في قوله تعالى: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾؟ وفي الآية إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود لآدم، فلو كانت اليدين بمعنى القدرة، لم يكن بين آدم وإبليس مزية لاشتراك آدم وإبليس وجميع المخلوقات في أنهم جميعاً خلقوا بقدرة الله تعالى.

وتأويلهم اليدين بالنعمة مردود وباطل أيضاً، وذلك أنه ليس من المعهود أن يطلق الله على نفسه معنى النعمة بلفظ التثنية، بل بلفظ الإفراد الشامل لجميع الحقيقة كقوله تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ [النحل: ١٨] وقد يجمع النعم كقوله تعالى: ﴿**وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً**﴾ [لقمان: ٢٠].

أما أن يقول: خلقتك بقدرتين أو نعمتين، فهذا لم يقع في كلامه تعالى. ولا كلام رسوله ﷺ.

ويقال للأشاعرة: ما الذي يضركم من إثبات اليد حقيقة، وليس معكم ما ينفي ذلك من أنواع الأدلة، لا نقليها ولا عقليها. فإن فررتم من الحقيقة خشية التشبيه والتمثيل، ففروا من إثبات السمع والبصر والحياة والعلم والإرادة

---

(١) الكشاف للزمخشري (ج ٣ ص ٤٠٩) دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٢) انظر رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد للدارمي (ص ٥٩ ـ ٦٠).

خشية هذا المحذور الذي تفرون منه في إثبات اليدين لله تعالى[1].

وأخيراً يتضح لنا مما سبق ذكره ما يلي: -

١ - أن الأدلة من كتاب الله تعالى ومن سنة نبينا ﷺ تدل على إثبات صفة اليدين لله تعالى حقيقة.

٢ - أن السلف الصالح آمنوا بهذه الأدلة وقبلوها وأثبتوا من خلالها يدين لله تعالى مبسوطتين بالعطاء والنعم، وهما من صفاته الذاتية التي تليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى خلق بيديه آدم دون إبليس والملائكة، وأنه تعالى يقبض بهما الأرض ويطوي السماء.

والسلف الصالح مجمعون على هذا، فقد ذكر أبو الحسن الأشعري رحمه الله إجماع السلف على إثبات يدين حقيقيتين تليقان بجلاله تعالى وعظمته.

٣ - أن أبا الحسن الأشعري متفق مع السلف الصالح في إثبات اليدين لله تعالى، ومجانب لأهل الأهواء والبدع الذين أولوا هذه الصفة الكريمة.

٤ - أن جمهور الأشاعرة ردوا هذه الصفة عن طريق تأويلها وإخراجها عن ظاهرها، وتكلفوا فيها أنواع المجازات وغرائب اللغات موافقين بذلك المعتزلة الذين أولوا هذه الصفة أيضاً.

٥ - أن الأشاعرة في صنيعهم هذا خالفوا أبا الحسن الأشعري الذي ينتسبون إليه، وينسبون مذهبهم الكلامي إليه.

وقد ظهر والحمد لله أنه موافق للسلف الصالح في إثبات اليدين لله تعالى، وبريء من التأويلات التي قالها من ينتسبون إليه ويدعون أنهم أتباعه.

---

(١) انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ١٧١).



المبحث الثالث
صفة العينين

صفة العينين لله تبارك وتعالى من الصفات الذاتية الخبرية الثابتة له تعالى. وقد أجمع السلف الصالح على إثبات هذه الصفة الكريمة حقيقة لله تعالى على ما يليق بجلاله تعالى وعظمته، إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل.

وهذه الصفة ثابتة لله تعالى بالكتاب والسنة.

أما الكتاب فمن أدلته قوله تعالى: ﴿**ولتُصنع على عيني**﴾ [طه: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿**فإنّك بأعيننا**﴾ [الطور: ٤٨].

وقوله تعالى: ﴿**تجرى بأعيننا**﴾ [القمر: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿**واصنع الفلك بأعيننا**﴾ [هود: ٣٧].

ومن أدلة السنة:

١ ـ ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ذُكر الدجال عند النبي ﷺ فقال: إن الله لا يَخفى عليكم. إن الله ليس بأعور ـ أشار بيده إلى عينه ـ وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»[1].

٢ ـ وعن قتادة رضي الله عنه قال: سمعت أنساً عن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنّه أعور وإنّ ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر»[2].

---

(١) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ (ج ١٣ ص ٣٨٩ فتح الباري رقم ٧٤٠٧). ومسلم في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ج ٤ ص ٢٢٤٧ رقم ٢٩٣٢).

(٢) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ (ج ١٣ ص ٣٨٩ فتح=

فهذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية تدل دلالة واضحة على إثبات صفة العينين لله تبارك وتعالى وعلى هذا مضى سلف هذه الأمة.

وقد جاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿**واصنع الفلك بأعيننا**﴾ أنه قال:

أي بعين الله تبارك وتعالى.

وهذا التفسير قاله قتادة أيضاً، ونصره وأيده إمام المفسرين ابن جرير الطبري[1].

ووجه الشاهد من الأحاديث المذكورة على إثبات العينين لله تعالى: أن الدجال أعور العين، والعور في اللغة: ذهاب حسن إحدى العينين، وذهاب نورها[2].

والعور نقص وعيب عند الجميع، يثبت للدجال، ويتنزه الله تعالى عنه، وعن كل نقص، فثبت بهذا أن لله تعالى عينين حقيقة تليقان بجلاله.

وفي هذا يقول الإمام الدارمي رحمه الله:

«ففي تأويل قول رسول الله ﷺ: «ان الله ليس بأعور» بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور»[3].

ويقول أيضاً: «والعور عند الناس ضد البصر، والأعور عندهم ضد البصير بالعينين»[4]. وفي إشارته ﷺ إلى عينه بيان وتأكيد لإثبات هذه الصفة

= الباري رقم ٧٤٠٨). ومسلم في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه (ج ٤ ص ٢٢٤٨ رقم ٢٩٣٣). وأبو داود في الملاحم، باب خروج الدجال (ج ٤ ص ٤٩٤ رقم ٤٣١٦). والترمذي في الفتن، باب ما جاء في الدجال (ج ٦ ص ٥١٤ رقم ٢٣٤٦). وابن منده في الإيمان، باب ذكر صفة الدجال ونعته (ج ٣ ص ٩٢٨ رقم ١٠٤٩).

(١) انظر جامع البيان للطبري (ج ١٢ ص ٣٣) مطبعة الحلبي بمصر. وانظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٣١٣).

(٢) انظر قاموس المحيط للفيروزآبادي (ج ٢ ص ١٠٠) مطبعة الحلبي بمصر.

(٣) رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد للدارمي (ص ٤٨).

(٤) المصدر السابق (ص ٤٣).

التي تدل على كماله تعالى في صفاته، ونقصان الدجال بالعور الذي أصابه في عينه اليمنى.

وفي هذا يقول الشيخ عبدالله الغنيمان: «وعلى كل العور نقص وعيب في الاتفاق، والمقصود أنه في اللغة هو ذهاب ضوء إحدى العينين.

ولهذا صار هذا الحديث من الأدلة الواضحة على إثبات تثنية العين لله تعالى، ويزيد ذلك وضوحاً، إشارته ﷺ إلى عينه لتحقيق الوصف. يعني أن لله عينين سالمتين من كل عيب كاملتين، بخلاف الدجال الفاقد لإحدى عينيه، وذلك من أعظم الأدلة على كذبه»[1].

وقد وردت صفة العينين في النصوص القرآنية، مفردة مضافة إلى الضمير المفرد، ومجموعة مضافة إلى ضمير الجمع كما في قوله تعالى:

﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٣٩].
وقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤].

ولم يأت ذكر العين وصفاً لله تعالى في القرآن مثناة. لكن ورد ذلك في حديث عن النبي ﷺ، والحديث إذا صح عن الرسول ﷺ وجب الإيمان بما دل عليه، والعمل به.

يقول ابن القيم رحمه الله موضحاً هذه القضية:

«ذكر العين المفردة مضافة إلى الضمير المفرد، والأعين مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة ليس إلا كقولك: افعل هذا على عيني، لا يريد أن له عيناً واحدة. وإنما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً ومضمراً فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ، كقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ وقوله: ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ وهذا نظير المشاكلة في لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله: ﴿بيده الملك﴾ ﴿بيدك الخير﴾. وإن أضيفت إلى ضمير جمع جمعت كقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ عبدالله محمد الغنيمان، (ج ١ ص ٢٨٥).

عملت أيدينا أنعاماً﴾، وكذلك إضافة اليد والعين إلى اسم الجمع الظاهر، كقوله: ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ [الروم: ٤١] وقوله: ﴿فأتوا به على أعين الناس﴾ [الأنبياء: ٦١].

وقد نطق الكتاب والسنة بذكر اليد مضافة إليه بلفظ مفردة ومجموعة ومثناة، وبلفظ العين مضافة إليه مفردة ومجموعة.

ونطقت السنة بإضافتها إليه مثناة، كما قال عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ:

«إن العبد إذا قام في الصلاة قام بين عيني الرحمن، فإذا التفت قال له ربه: إلى من تلتفت إلى خير لك مني»[1].

وقول النبي ﷺ: «إن ربكم ليس بأعور» صريح بأنه ليس المراد إثبات عين واحدة، فإن ذلك عور ظاهر تعالى الله عنه، وهل يفهم من قول الداعي: «اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام» إنها عين واحدة ليس إلا، إلا ذهن أقلف وقلب أغلف... وقد استدل السلف على إثبات العينين له تعالى بقوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ وممن صرح بذلك إثباتاً واستدلالاً أبو الحسن الأشعري في كتبه كلها...»[2].

وبهذا تثبت لله تعالى عينان حقيقيتان تليقان بجلاله وعظمته.

مذهب الأشعري في صفة العينين لله تعالى:

ذهب الأشعري رحمه الله إلى إثبات صفة العينين لله تعالى، على ما يليق بجلاله تعالى وعظمته، إثباتاً من غير تكييف وتحريف ومن غير تمثيل وتعطيل.

(١) رواه العقيلي في الضعفاء في ترجمة (إبراهيم بن يزيد الخوذي) (ج ١ ص ٧٠) دار الكتب العلمية، بيروت.
وهذا الرجل متكلم فيه بشدة (أنظر أقوال العلماء فيه في تهذيب التهذيب (ج ١ ص ١٨٠) ولهذا قال ابن حجر فيه: متروك الحديث. (انظر تقريب التهذيب ج ١ ص ٤٦).

(٢) مختصر الصواعق لابن القيم (ج ١ ص ٣٤).

وقد ذكر رحمه الله مذهب السلف الصالح وأهل الحديث في كتابه «مقالات الإسلاميين» وبين أن معتقدهم قائم على إثبات عينين لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله بلا كيف. ثم بين رحمه الله أنه يقول بما يقولون، ويدين بما يدينون، ويعتقد كل ما يعتقدون. فثبت من هذا أنه أثبت لله تعالى صفة العينين كما أثبت السلف[1].

وأوضح مذهبه ومعتقده في إثبات عينين لله تعالى، في كتابه «الإبانة» حينما كان يتكلم عن مقالات المبتدعة الذين نفوا الصفات وعطلوها، ومن جملة ما نفوه صفة العينين لله تعالى، فقال رحمه الله راداً عليهم:

«وأنكروا أن يكون له عينان مع قوله: ﴿تجري بأعيننا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله: ﴿ولتصنع على عيني﴾ [طه: ٣٩] »[2].

ثم عقد رحمه الله باباً ليثبت فيه الصفات لله تعالى، ومن هذه الصفات صفة العينين لله تعالى، وذكر الآيات القرآنية الواردة في ذلك، وبين أن لله تعالى عينين حقيقة لا تكيف ولا تحد[3].

والأشعري رحمه الله حين ينهج في هذه الصفة منهج الإثبات، إنما يوافق بذلك سلف هذه الأمة الذين أثبتوا لله تعالى هذه الصفة على الوجه اللائق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تحريف.

وقد حكى إمام الأئمة ابن خزيمة مذهبهم فقال بعد أن ذكر الآيات المثبتة لهذه الصفة: -

«فواجب على كلِّ مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه، ما أثبت الخالق البارىء لنفسه من العين، وغير مؤمن من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبته في محكم تنزيله»[4].

---

(١) مقالات الإسلاميين (ج ١ ص ٣٤٥).

(٢) الإبانة ص ١٥.

(٣) المصدر السابق (ص ٩٥).

(٤) التوحيد لابن خزيمة (ص ٤٢) وانظر رد الدارمي على المريسي (ص ٤٨).

مذهب الأشاعرة في صفة العينين لله تعالى:

سبق لنا الحديث عن هذه الصفة الكريمة، وعرضنا النصوص من الكتاب والسنة النبوية، وعرفنا أيضاً مذهب السلف الصالح في إثبات عينين لله تبارك وتعالى حقيقة كما يليق بجلاله وعظمته.

وعرفنا أيضاً أن الأشعري وافق السلف الصالح فيما أثبتوه لله تعالى... أما جمهور الأشاعرة فإنهم لم يثبتوا هذه الصفة التي دلت عليها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وراحوا يؤولونها ويخرجونها عن ظاهرها المراد اللائق بالله تعالى.

قال الجويني ـ وهو من أئمة الأشاعرة ـ المراد بالعين الواردة في الآيات البصر[1].

وقال البغدادي: المراد منها الرؤية والعلم[2].

وقال الرازي: المراد منها العناية والحراسة[3].

ويحكي الرازي مذهب الأشاعرة فيقول:

«واعلم أن نصوص القرآن لا يمكن إجراؤها على ظاهرها لوجوه:

الأول :أن ظاهر قوله تعالى **﴿ولتصنع على عيني﴾** يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقراً على تلك العين ملتصقاً بها مستعلياً عليها، وذلك لا يقوله عاقل.

الثاني :أن قوله تعالى: **﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾** يقتضي أن يكون آلة الصنعة هي تلك الأعين.

الثالث :إن إثبات الأعين في الوجه الواحد قبيح، فثبت أنه لا بد من المصير

---

(١) انظر الارشاد للجويني (ص ١٥٥).

(٢) انظر أصول الدين للبغدادي (ص ١٠٩).

(٣) انظر أساس التقديس للرازي (ص ١٢١).

إلى التأويل، وذلك هو أن تحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة»[1].

والأشاعرة يوافقون المعتزلة بهذه التأويلات، لأن المعتزلة أولوا هذه الصفة الكريمة وقالوا: المراد منها العلم.

يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي في بيان مذهب المعتزلة في قوله تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾ :

«والأصل في الجواب عن ذلك، أن المراد به لتقع الصنعة على علمي. والعين قد تورد بمعنى العلم»[2].

ويذكر الأشعري رحمه الله في كتابه مقالات الإسلاميين: أن المعتزلة أجمعت بأسرها على إنكار العين لله تعالى. وأنهم تأولوا الآيات الواردة في ذلك بأن المراد منها العلم[3].

وكما يقول ابن تيمية رحمه الله: إن هذه التأويلات هي بعينها تأويلات بشر المريسي المعتزلي الذي أجمع السلف على ذمه وتضليله. وهذه التأويلات حكاها المريسي بكلام يقتضي أنّه أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من المتأخرين الذين اتصلت إليهم جهته وجهة غيره.

ولكن الإمام الدارمي رد عليه بكلام إذا طالعه العاقل الذكي علم حقيقة مذهب السلف، وتبين له ظهور الحجة لطريقهم، وضعف حجة من خالفهم[4].

وكلام الأشاعرة في تأويل هذه الصفة الكريمة باطل من وجهين: -

الأول :انه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب. ولا يفهم أحد من قول القائل: فلان يسير بعيني، أنه

---

(١) أساس التقديس، للرازي (ص ١٢١).
(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص ٢٢٧).
(٣) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (ج ١ ص ٢٧١).
(٤) انظر الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (ص ١٤).

يسير داخل العين. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني، أن تخرجه كان وهو راكب على عينه.

الثاني :إن هذا ممتنع غاية الامتناع في حق الله تعالى، ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله، لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الآيات: هي أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها[1].

ويتبين لنا من هذا أن صفة العينين ثابتة لله تعالى حقيقة، على ما يليق بجلال الله وعظمته. وأن الآيات والأحاديث النبوية دالة على هذا الإثبات. وأن السلف الصالح أثبتوا لله تعالى هذه الصفة الكريمة من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وأن الأشعري رحمه الله وافق السلف الصالح فأثبت لله تعالى صفة العينين حقيقة على ما يليق بالله تعالى، ورد على المبتدعة الذين أولوا هذه الصفة.

وأن الأشاعرة خالفوا السلف الصالح وخالفوا إمامهم الأشعري الذي ينتسبون إليه ويزعمون أنهم أتباعه وذلك بتأويل هذه الصفة الكريمة الثابتة لله تعالى، موافقين بذلك المعتزلة الذين أولوا هذه الصفة.

وبهذا يتضح أن الأشاعرة خالفوا إمامهم، وأن إمامهم بريء من هذه التأويلات التي ذكروها.

---

(١) انظر القواعد المثلى للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٦٦ - ٦٧). والكواشف الجلية للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، (ص ٢٤٩) ط العاشرة سنة ١٤٠١هـ.

الفصل الثالث

«مذهب الأشعري في صفة كلام الله تعالى ومخالفة الأشاعرة له»



صفة الكلام

اتفق السلف الصالح على إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأن الله تعالى يتكلم، وكلامه صفة حقيقة ثابتة له على الوجه اللائق بجلاله وعظمته.

وصفة الكلام: ذاتية وفعلية باعتبارين.

فإنه باعتبار أصله ونوعه صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً.

وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته تعالى يتكلم متى شاء وبما شاء.

وقد دل الكتاب العزيز على إثبات هذه الصفة، كما دلت السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ على إثباتها أيضاً.

فمن أدلة الكتاب:

قوله تعالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليماً**﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿**منهم من كلم الله**﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله تعالى: ﴿**وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً**﴾ [الأنعام: ١١٥].

وقوله تعالى: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمهُ ربه**﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿**وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم**﴾ [المائدة: ١١٦].

وقوله تعالى: ﴿**وناديناه من جانب الطور الأيمن**﴾ [مريم: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿**وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين**﴾ [الشعراء: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿**وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة**﴾ [الأعراف: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ [التوبة: ٦].

وقوله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل**﴾ [الفتح: ١٥].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تدل على إثبات صفة الكلام لله تعالى.

ومن أدلة السنة النبوية:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته إلا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته أن يدخله الجنة أو يرده إلى مسكنه بما نال من أجر أو غنيمة»(١).

قال البخاري في كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير**﴾ [سبأ: ٢٣] ولم يقل: ماذا خلق ربكم.

وقال جل ذكره: ﴿**من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه**﴾ [البقرة: ٢٥٥].
وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئاً، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق.

ثم ذكر حديث جابر بن عبدالله تعليقاً فقال:

٢ - ويُذكر عن جابر عن عبدالله بن أُنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول:

---

(١) البخاري في التوحيد، باب قول الله: ﴿**قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي...**﴾ الآية (ج ١٣ ص ٤٤٤ فتح الباري رقم ٧٤٦٣). وابن ماجه في الجهاد، باب فضل الجهاد في سبيل الله (ج ٢ ص ٩٢٠ رقم ٢٧٥٣).

«يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُـدَ كما يسمعه مَنْ قَرُب: أنا الملك أنا الديان»[1].

٣ - وعن أبي هـريرة رضي الله عنـه يبلغ بـه النبي ﷺ قـال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنـه سلسلة على صفـوان»[2].

٤ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقـول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصـوت: إن الله يأمـرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار»[3].

٥ - عن أبي هـريرة رضي الله عنـه أن النبي ﷺ قال: «احتـج آدم ومـوسى، فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة، قـال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاتـه وكلامـه ثم تلومني على أمر قـد قدر علي قبل أن أخلق، فحج آدم موسى»[4].

---

(١) البخاري (ج ١٣ ص ٤٥٣ مع فتح الباري).
وذكره في موضع آخر فقـال: باب الخـروج في طلب العلم: «ورحل جـابر بن عبـدالله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في حديث واحد»، انظر (ج ١ ص ١٧٣ فتح الباري). ووصله في الأدب المفرد ص ٣٣٧، برقم ٩٧٠. ورواه مـوصولاً في خلق أفعـال العباد ص ١٤٩، نشـر الـدار السلفية. ورواه الإمـام أحمـد في المسنـد (ج ٣ ص ٤٩٥). والحـاكم في المستـدرك وصححـه ووافقه الـذهبي (ج ٤ ص ٥٧٤). والنسـائي (ج ٤ ص ٩٢). وابن أبي عـاصم في السنة، كما صححه الشيخ الألباني في ظلال الجنة بتخريج أحاديث السنة (ج ١ ص ٢٢٥).

(٢) البخاري في التوحيـد، باب قـول الله تعالى: ﴿ولا تنفـع الشفاعـة عنده. . . ﴾ الآيـة (ج ١٣ ص ٤٥٣ فتح الباري رقم ٧٤٨١). وأبـو داود في السنة، بـاب في الرد على الجهمية (ج ٥ ص ١٠٥ رقم ٤٧٣٨). وابن خزيمة في التوحيد (ص ٩٥).

(٣) البخـاري في التوحيـد، باب قـولـه تعـالى: ﴿ولا تنفـع الشفـاعـة عنـده. . . ﴾ الآيـة (ج ١٣ ص ٤٥٣ فتح الباري رقم ٧٤٨٣). ومسلم في الإيمان، باب يقول الله لآدم أخرج بعث النار (ج ١ ص ٢٠١ رقم ٢٢٢).

(٤) البخـاري في التوحيـد، باب مـا جاء في قـولـه تعـالى: ﴿وكلم الله مـوسى تكليماً﴾ (ج ١٣ ص ٤٧٧ فتـح البـاري رقم ٧٥١٥). ومسلم في القـدر، بـاب حجـاج آدم ومـوسى ليهمـا السلام (ج ٤ ص ٢٠٤٢ رقم ٢٦٥٢).

٦ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل، إن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه. ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض»[١].

٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟

فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»[٢].

٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقىٰ ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[٣].

٩ - عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء.

فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ»[٤].

---

(١) البخاري في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، (ج ١٣ ص ٤٦١ فتح الباري رقم٧٤٨٥). ومسلم في البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً (ج ٤ ص٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧). والترمذي في تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم (ج ٥ ص ٣١٧ رقم ٣١٦١).

(٢) البخاري في التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل (ج ١٣ ص ٤٦١ فتح الباري رقم ٧٤٨٦).

(٣) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ (ج ١٣ ص ٤٦٤ فتح الباري رقم ٧٤٩٢). ومسلم في الصيام، باب فضل الصيام (ج ٢ ص ٨٠٦ رقم ١٦١).

(٤) البخاري في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم. (ج ١٣ ص ٤٧٣ فتح الباري رقم ٤٥٠٩).

١٠ - عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ألا رجل يحملني إلى قومه...؟ فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[1].

هذه بعض الأحاديث التي خرجها الأئمة أمثال البخاري ومسلم وغيرهما

وهي تدل على إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأن الله تعالى يتكلم ويقول وينادي بكلام مسموع حقيقي يليق بجلاله تعالى وعظمته.

مذهب السلف في صفة كلام الله تعالى:

لقد بنى السلف الصالح مذهبهم في صفة كلام الله على تلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ليقيموا صرحاً شامخاً لا اعوجاج فيه ولا أمتاً وهو:

- اعتقادهم أن كلام الله صفة له قائمة بذاته على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم بحرف وصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً.

وقالوا أيضاً: إن القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، فهو كلام الله حروفه ومعانيه.

وهذا هو أيضاً مذهب إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل، ومذهب أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري، ومذهب الأئمة الأربعة، وأصحاب الحديث ومن تبعهم وسار على نهجهم.

يقول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «لم يزل الله متكلماً إذا شاء. وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء، كما قال تعالى: ﴿**فلما أتاها نودي يا موسى**﴾ [طه: ١١] فناداه حين أتاها، ولم يناده قبل ذلك.

---

(١) البخاري في كتاب خلق أفعال العباد (ص ٢٩)، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية. وأبو داود في السنة، باب في الرد على الجهمية (ج ٥ ص ١٠٣ رقم ٤٧٣٤). والترمذي في فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كان قراءة النبي ﷺ (ج ٥ ص ١٨٤ رقم ٢٩٢٥). وقال حديث حسن صحيح. وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ج ١ ص ٧٣ رقم ٢٠١). وأحمد في المسند (ج ٣ ص ٣٩٠). والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي (ج ٢ ص ٦١٢).

وقال تعالى: ﴿**فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة. وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين**﴾ [الأعراف: ٢٢] فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها، ولم يناداهما قبل ذلك.

وكذلك قال تعالى: ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾[الأعراف: ١١]. بعد أن خلق آدم وصوره، ولم يأمرهم قبل ذلك، وكذا قوله: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ [آل عمران: ٥٩]، فأخبر أنه قال له كن فيكون بعد أن خلقه من تراب.

ومثل هذا الخبر في القرآن كثير، يخبر أنه تكلم في وقت معين، ونادى في وقت معين»[١].

وقد سأل عبدالله والده الإمام أحمد عن قوم يقولون: إن الله تعالى لما كلم موسى لم يتكلم بصوت.

فقال له الإمام أحمد: بل تكلم بصوت، وهذه الأحاديث تروى كما جاءت»[٢].

ويقول الإمام البخاري رحمه الله موضحاً صفة كلام الله تعالى: «ويذكر عن النبي ﷺ أنه كان يحب أن يكون الرجل خفيض الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره. وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب، وأن الملائكة يصعقون من صوته»[٣].

وقد ذهب إلى إثبات صفة كلام الله تعالى، وأنه تعالى يتكلم بحرف

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٥٨٨).
(٢) انظر فتح الباري لابن حجر (ج ١٣ ص ٤٦٠).
(٣) خلق أفعال العباد للبخاري (ص ١٤٩).

وصوت وكلامه قائم بـذاته متعلق بمشيئتـه وقدرتـه، كل الأئمـة من أهل السنة والجماعة.

مثل: امام الأئمة ابن خزيمـة [1]، والإمام الدارمي[2]، والإمام ابن أبي عاصم[3]، وغيرهم.

«وأجمع السلف على ثبوت الكـلام لله تعالى، فيجب إثبـاته لـه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وهو كلام حقيقي يليق بالله يتعلق بمشيئته بحـروف وأصوات مسمـوعة. والدليل على أنه بمشيئته قوله تعالى: **﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمـه ربه﴾** [الأعراف: ١٤٣].

فالتكليم حصل بعد مجيء موسى، فدل على أنه متعلق بمشيئته تعالى. والدليل على أنه حروف قوله تعالى: **﴿يا موسى إني أنا ربك﴾** [طه: ١٢].

فإن هذه الكلمات حروف وهي كلام الله.

والدليل على أنه بصوت قوله تعالى: **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً﴾** [مريم: ٥٢].

والنداء والمناجاة لا تكون إلا بصوت. . .

وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد.

ومعنى قديم النوع: أن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن.

ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه، أي الكلام المعين المخصـوص حادث، لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء»[4].

---

(١) انظر كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (ص ١٣٦).
(٢) انظر كتاب رد عثمان بن سعيد على المريسي للدارمي (ص ٧٢).
(٣) انظر كتاب السنة لابن أبي عاصم (ج ١ ص ٢٢٥).
(٤) شرح لمعة الاعتقاد لابن قـدامـة لـلـشيخ محمد الصالح العثيمين، (ص ٤٠ - ٤١).

وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن السلف جميعاً قد اتفقوا على أن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود[1].

وقال: «والصواب في هذا الباب وغيره مذهب سلف الأمة وأئمتها: أنه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها، وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى، وإنما ناداه حين أتى، ولم يناده قبل ذلك، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد، كما أن علمه لا يماثل علمهم، وقدرته لا تماثل قدرتهم، وأنه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته. . . . »[2].

مذهب الأشعري في صفة الكلام:

لقد ذهب أبو الحسن الأشعري رحمه الله إلى ما ذهب إليه السلف الصالح من إثبات صفة الكلام لله تعالى، وإن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء وكيف شاء وكلامه قائم بذاته ومتعلق بمشيئته وقدرته.

وقد ذكر الأشعري إجماع السلف الصالح على إثبات صفة الكلام، وأن كلامه تعالى قائم به غير محدث ولا مخلوق.

فقال رحمه الله: «وأجمعوا على أن أمره عز وجل وقوله غير محدث ولا مخلوق. وقد دل الله تعالى على صحة ذلك بقوله: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ [الأعراف: ٥٤] ففرق تعالى بين خلقه وأمره. وقال: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**﴾ [يسٓ: ٨٢]. فبين بذلك تعالى أن الأشياء المخلوقة تكون شيئاً بعد أن لم تكن بقوله وإرادته. وأن قوله تعالى غير الأشياء المخلوقة من قِبَلِ أن أمره تعالى للأشياء وقوله لها كوني، لو كان مخلوقاً لوجب أن يكون قد خلقه بأمر آخر وذلك القول لو كان مخلوقاً لكان مخلوقاً بقول آخر وهذا يوجب على قائله أحد شيئين: إما أن يكون كل قول محدث قد تقدمه قول محدث إلى ما لا نهاية له، وهذا قول أهل الدهر.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٥٨٨).

(٢) المصدر السابق (ج ١٢ ص ٥٩٨).

أو يكون ذلك القول حادثاً بغير أمره عز وجل له، فبطل معنى الامتداح بذلك»[1]. والأشعري عندما يستدل بهذه الآيات إنما يريد أن يثبت صفة الكلام لله تعالى وأن كلامه قائم به غير مخلوق.

وقد سبقه بهذا الاستدلال بهذه الآيات الإمام البخاري رحمه الله في كتابه «خلق أفعال العباد» وذلك لإثبات نفس الغرض الذي أثبته الأشعري رحمه الله[2].

وفي كتاب «الإبانة» الذي يعتبر آخر ما ألفه الأشعري. أثبت الأشعري صفة الكلام لله تعالى واستدل لذلك بآيات من القرآن الكريم وأحاديث من السنة النبوية[3].

ثم بين رحمه الله أن الله متصف بصفة الكلام وأنه تعالى لم يزل متكلماً فقال: ـ

«فلما كان الله عز وجل لم يزل عالماً، لم يجز أن يكون بخلاف العلم موصوفاً، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفاً، لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام هو سكوت وآفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم هو جهل، أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم، ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلماً، كما وجب أن يكون لم يزل عالماً»[4].

ثم استدل بقوله تعالى: **﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾** [الكهف: ١٠٩] لإثبات صفة الكلام لله تعالى وأنه تعالى لم يزل متكلماً[5].

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري تحقيق عبدالله شاكر الجنيدي، (ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦).
(٢) انظر خلق أفعال العباد للبخاري (ص ٣٨).
(٣) انظر الإبانة (ص ٧٣).
(٤) المصدر السابق (ص ٥٣).
(٥) الإبانة (ص ٥٤).

وقد بين أيضاً أن كلام الله تعالى صفة من صفاته قائم به، وأن القرآن المنزل على سيدنا محمد ﷺ هو من كلامه تعالى، وليس مخلوقاً كما زعمت ذلك الجهمية.

وعقد باباً لإثبات أن القرآن كلام الله تعالى، وأن من قال بخلقه فقد كفر. فكان ممَّا قال:

«ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له: كن فيكون، كما قال: ﴿**إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون**﴾ [النحل: ٤٠]... ونقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر»[١].

ثم ذكر أقوال الأئمة من العلماء وحملة الآثار ونقلة الأخبار الذين ردوا على القائلين بخلق القرآن، وأن من قال بخلقه فهو كافر.

وذكر من هؤلاء العلماء: سفيان الثوري[٢] ومالك بن أنس والشافعي والليث بن سعد[٣] وسفيان بن عيينة[٤] وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء.

وأخيراً قال بعد أن ذكر هؤلاء الأئمة: ـ «ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام بذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين»[٥].

---

(١) الإبانة للأشعري (ص ١٩ ـ ٢١).

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبدالله الثوري الكوفي. أحد الأئمة المجتهدين، وكان إمام أهل العراق، وكان موصوفاً بالورع والزهد والعلم.
مات في البصرة سنة ١٦١هـ. سير أعلام النبلاء (٧: ٢٢٩)، شذرات الذهب (١: ٢٥٠).

(٣) هو الليث بن سعد بن عبدالرحمن المصري التابعي. الإمام المجتهد شيخ الديار المصرية وإمامها في الحديث والفقه. كان ورعاً فاضلاً عالماً كريماً، أجمع العلماء على جلالته وإمامته وعلو مرتبته في الفقه والحديث. (ت سنة ١٧٥هـ).
سير أعلام النبلاء (٨: ١٣٦)، شذرات الذهب (١: ٢٨٥).

(٤) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران، الكوفي ثم المكي أبو محمد. وهو من تابع التابعين.
كان إماماً حافظاً مجتهداً، وكان ورعاً زاهداً واسع العلم كبير القدر. مات بمكة سنة (١٩٨هـ). سير أعلام النبلاء (٨: ٤٥٤)، شذرات الذهب (١: ٣٥٤).

(٥) الإبانة للأشعري (ص ٧٦).

ومن كلام الأشعري يتضح لنا أنه رحمه الله موافق للسلف الصالح في إثبات صفة الكلام لله تعالى، وأن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وأن القرآن كلام الله تعالى أنزل على عبده ورسوله سيدنا محمد ﷺ.

مذهب الأشاعرة في صفة الكلام:

مذهب الأشاعرة في صفة كلام الله تعالى قائم على قسمين:

الأول :وهو الكلام النفسي القائم والثابت لله تعالى، والكلام النفسي القائم بذاته تعالى هو صفة قديمة أزلية زائدة على الذات، وهو بها آمر وناه ومخبر، عبر عنها[1] النظم الذي أوحاه الله إلى رسله، كالقرآن والتوراة والإنجيل.

وهذا الكلام النفسي لا يتصف بحرف ولا بصوت. وهو معنى واحد لا يتبعض ولا يتجزأ.

وهذا الكلام النفسي القائم بذاته تعالى ان عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلاً.

الثاني :وهو الكلام اللفظي، وهذا الكلام اللفظي هو عبارة عن ذلك الكلام النفسي، دل عليه القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد ﷺ، وسائر الكتب السماوية التي أنزلت إلى الرسل عليهم السلام.

وقالوا: هذا الكلام اللفظي حادث ومخلوق لله تعالى، وليس هو كلام الله أبداً.

وتكاد كل كتب الأشاعرة المتقدمين منهم والمتأخرين متفقة على إثبات الكلام النفسي لله تعالى، وأنه هو المعنى القائم بذاته تعالى دون الكلام اللفظي.

---

(١) الضمير في عنها: يعود على الصفة.

يقول الباقلاني موضحا مذهب الأشاعرة في صفة كلام الله تعالى: -

«ويجب أن يعلم أن الكلام الحقيقي هو المعنى الموجود في النفس، جعل عليه أمارات تدل عليه، فتارة تكون قولاً بلسان على حكم أهل ذلك اللسان وما اصطلحوا عليه وجرى عرفهم به وجعل لغة لهم. وقد بين تعالى ذلك بقوله: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ [إبراهيم: ٤]. فأخبر تعالى أنه أرسل موسى إلى بني إسرائيل بلسان عبراني فأفهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بالعبرانية، وبعث عيسى بلسان سرياني فأفهم قومه كلام الله القديم بلسانهم، وبعث نبينا ﷺ بلسان العرب فأفهم قومه كلام الله القديم القائم بالنفس بكلامهم، فلغة العرب غير لغة العبرانية ولغة السريانية غيرهما، لكن الكلام القديم القائم بالنفس شيء واحد لا يختلف ولا يتغير»[1].

ويوضح الباقلاني مذهب الأشاعرة في أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت فيقول: «ويجب أن يعلم أن الله تعالى لا يتصف كلامه القديم بالحروف والأصوات، ولا شيء من صفات الخلق، وأنه تعالى لا يفتقر في كلامه إلى مخارج وأدوات بل يتقدس عن جميع ذلك»[2].

ومعنى كلام الأشاعرة أن كلام الله تعالى واحد لا يختلف ولا يتبعض، أي أن التوراة والإنجيل والقرآن شيء واحد، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، والأمر والنهي والخبر الوارد في كلام الله تعالى صفات للكلام لا أنواع له.

ويقول الجويني وهو من كبار الأشاعرة الذين جاؤوا بعد الباقلاني موضحاً هذا المعنى: -

«الكلام عند أهل الحق معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت، والكلام الأزلي يتعلق بجميع متعلقات الكلام على اتحاده، وهو أمر

(١) الانصاف للباقلاني (ص ١٠٦ - ١٠٧).
(٢) المصدر السابق (ص ٩٩).

بالمأمورات، نهي عن المنهيات، خبر عن المخبرات، ثم يتعلق بـالمتعلقات المتجددات ولا يتجدد في نفسه»[1].

ويقـول أيضـاً: «كـلام الله تعـالى واحـد، وهـو متعلق بجميـع متعلقاته. . .»[2].

ويستـدل الأشاعـرة على ما أثبتـوه لله تعـالى من الكـلام النفسي القـائم بـذاته، بـأثر عن عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه وببيت من الشعـر منسـوب للأخطل النصراني.

أمـا عن استدلالهم بـأثر عمـر بن الخطاب رضي الله عنـه فإن البيهقي ـ وهو من الموافقين للأشاعرة في هذه الصفة ـ يقول فيه: ـ

«الكلام هو نطق نفس المتكلم، بدليل ما رويناه عن أمير المؤمنين عمر في حديث السقيفة، فذهب عمر يتكلم فـأسكته أبـو بكر، فكـان عمر يقـول: والله ما أردت بذاك، إلا أني قد هيأت كلاماً قد أعجبني، وفي رواية أخـرى: وكنت زورت مقالة أعجبتني.

فسمى تزوير الكلام في نفسه كلاماً قبل التلفظ به»[3].

أما عن استدلالهم بشعر الأخطل يقول فيه الآمدي: ـ «ذهب أهل الحق من الإسـلاميين إلى كـون البـاري تعـالى متكـلمـاً بكـلام قـديـم أزلي نفساني. . .»[4] ثم ذكر بيت الأخطل الذي قال فيه:

إن الـكـلام لـفـي الـفـؤاد وإنـمـا   جعـل اللسـان على الفـؤاد دليـلاً

ثم قـال عقب إيراد هـذا البيت: «وهذا الإطـلاق والاشتهار دليـل صحة إطلاق الكلام على ما في النفس»[5].

---

(١) الإرشاد للجويني، (ص ١٢٧).
(٢) المصدر السابق، (ص ١٣٦).
(٣) الأسماء والصفات (ص ٢٧٢).
(٤) غاية المرام في علم الكلام ـ للآمدي (ص ٨٨).
(٥) المصدر السابق، (ص ٩٧).

أما عن قولهم بأن الكلام اللفظي المتمثل في القرآن وسائر الكتب السماوية بأنها كلها حادثة ومخلوقة وليست هي كلام الله بل هي عبارة دالة على كلام الله تعالى القديم القائم بذاته يقول البيجوري موضحاً هذه المسألة:

«اعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى وعلى الكلام اللفظي، بمعنى أنه خلقه وليس لأحد في أصل تركيبه كسب... ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً لا يجوز أن يقال القرآن حادث إلا في مقام التعليم، لأنه يطلق على الصفة القائمة بذاته أيضاً لكن مجازاً على الأرجح فربما يتوهم من إطلاق أن القرآن حادث، أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثه»[1].

ويقول أيضاً موضحاً مذهب أهل السنة ـ على حد زعمه ـ في القرآن: ـ «ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق، لكن يمتنع أن يقال: القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق»[2].

فالقرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية ليست هي كلام الله عند الأشاعرة، بل هي عبارة عن ذلك المعنى القائم بالنفس.

ومن حق الناس حينئذٍ أن يتساءلوا: إن لم يكن الله تعالى هو الذي نظم هذه الكتب السماوية وعبر عنها فمن يكون إذاً؟

لم يترك الأشاعرة هؤلاء المتسائلين في حيرة واضطراب، بل أسعفوهم بالجواب، فقالوا: إن المعبر والمنظم لهذه الكتب السماوية هو جبريل عليه السلام، وذلك أن جبريل فهم كلام الله النفسي القديم، وقام جبريل عليه

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد لإبراهيم البيجوري (ص ٤٥).

(٢) تحفة المريد على جوهرة التوحيد لإبراهيم البيجوري (ص ٥٨).

السلام بدوره فأفهم الرسول كلام الله القديم.

فيكون جبريل هو الذي عبر ونظم الكتب السماوية.

والباقلاني قرر هذا في كتابه «الإنصاف». فقال: «إن النظم العربي الذي هو قراءة كلام الله تعالى إنما هو قول جبريل عليه السلام»[1].

وتابعه على هذا الجويني في كتابه الإرشاد فقال: «إن جبريل صلوات الله عليه أدرك كلام الله تعالى وهو في مقامه فوق سبع سماوات، ثم نزل إلى الأرض، فأفهم الرسول ﷺ ما فهمه عند سدرة المنتهى من غير نقل لذات الكلام»[2].

وعلى هذا سار جميع الأشاعرة المتقدمين منهم والمتأخرين.

وتجد أيضاً أن كثيراً من المعاصرين يذهبون إلى إثبات الكلام النفسي مستدلين بما استدل به سلفهم. وزيادة على هذا صرحوا بأن القرآن مخلوق. يقول الشيخ وهبي سليمان غاوجي:

«قال علماء أصول الدين: ان الكلام ينقسم إلى قسمين: -

الأول : الكلام اللفظي.

والثاني :الكلام النفسي.

فأما اللفظي: فهو ذلك القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد وكذا سائر الكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام، ولا ريب في أن الكلام اللفظي مخلوق له تعالى.

وأما النفسي: فهو صفة قديمة زائدة على ذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت ويدل عليها الكلام اللفظي...»[3].

وهذا التقسيم ذهب إليه أيضاً الدكتور البوطي[4].

---

(١) انظر الإنصاف (ص ٩٧).

(٢) الإرشاد (ص ١٣٥).

(٣) أركان الإيمان - لوهبي سليمان غاوجي (ص ٥٢) مؤسسة الرسالة.

(٤) كبرى اليقينيات الكونية، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ص ١٢٤).

وزاد البوطي أن المعتزلة والأشاعرة متفقان على خلق كلام الله تعالى اللفظي، إلا أن الأشاعرة انفردت عن المعتزلة وخالفتها بإثباتها الكلام النفسي الذي لم تثبته المعتزلة.

وفي بيان هذا يقول:

«... إن المعتزلة فسروا هذا الذي أجمع المسلمون على إثباته لله تعالى بأنه أصوات وحروف يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ وجبريل، ومن المعلوم أنه حادث وليس بقديم. ثم أنهم لم يثبتوا لله تعالى شيئاً آخراً وراء هذه الأصوات والحروف تحت اسم الكلام.

أما جماهير المسلمين، أهل السنة والجماعة، فقالوا: إننا لا ننكر هذا الذي تقوله المعتزلة، بل نقول به ونسميه كلاماً لفظياً، ونحن جميعاً متفقون على حدوثه وأنه غير قائم بذاته تعالى من أجل أنه حادث، ولكننا نثبت أمراً وراء ذلك وهو: الصفة القائمة بالنفس والتي يعبر عنها بالألفاظ...»[1].

وبهذا الكلام يتبين لنا أن الأشاعرة متفقون مع المعتزلة على خلق القرآن، ولكن الأشاعرة تختلف مع المعتزلة في إثبات الكلام النفسي لله تعالى.

وقول الأشاعرة هذا في صفة كلام الله تعالى أول من قال به في الإسلام هو عبدالله بن سعيد بن كلاب البصري.

فهو أول من قال:

١ ـ أن كلام الله قديم، وكلامه تعالى قائم به.

٢ ـ أن كلام الله ليس بحرف ولا صوت.

٣ ـ أن كلام الله لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتغاير وانه معنى واحد بالله عز وجل.

٤ ـ أن كلام الله سبحانه سمي عربياً لأن الرسم الذي هو العبارة عنه وهو

---

(١) كبرى اليقينيات الكونية للبوطي (ص ١٢٥).

قراءته عـربي فسمي عربيـاً لعلة، وكذلـك سمي عبرانيـاً لعلة، وهي أن الرسم الذي هو عبارة عنه عبراني.

٥ ـ وأنكر ابن كلاب أن يكون الباري لم يزل مخبراً ولم يزل ناهياً.

٦ ـ وزعم أن ما نسمع من التالين هو عبارة عن كلام الله عز وجل[١].

ويتلخص لنـا مما سبق ذكـره عن مذهب الأشـاعرة في صفـة كـلام الله تعالى. ـ

١ ـ أنهم يخالفون الأشعـري ـ الذي ينتسبـون إليه ـ في هـذه الصفة، وذلـك لأنه رحمه الله أثبت هذه الصفة لله تعـالى، وأثبت أن الله تعالى لم يزل متكلماً، وأن القرآن كلامه.

٢ ـ ويخـالفون أيضـاً مذهب السلف الصـالح الـذين أثبتوا صفـة الكـلام لله تعـالى، وأن كلامـه تعالى بحـرف وصوت يسمـع، قديم النـوع حـادث الآحاد، وأن القرآن المنـزل على سيدنـا محمد ﷺ هـو كلام الله تعـالى حقيقة لا عبارة عنه ولا حكايـة، قال تعـالى: **﴿وان أحد من المشـركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله... الآية﴾** [التوبة: ٦].

٣ ـ ويوافقون ابن كلاب البصري، الـذي يعتبر هـو أول من قال هـذا القول في صفة كلام الله تعالى، ولهذا أُطلق على الأشاعرة بأنهم كلابية.

٤ ـ إن مذهبهم في صفة كلام الله تعالىٰ قائم على مسائل: ـ

أ ـ حقيقة الكلام عندهم: أنه معنى نفسي قائم بالذات.

ب ـ وكلامه تعالى ليس بحرف ولا صوت.

جـ ـ وكلامه تعـالى واحد لا يتجـزأ ولا يتبعض وهو التـوراة والإنجيل والقرآن.

د ـ أن كلامه تعالى قديم قدم الذات الإلٰهية.

هـ ـ إن القرآن هو عبارة عن كلام الله تعالى، وهو مخلوق.

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (ج ٢ ص ٢٥٧). ومجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٤٩).

الرد على الأشاعرة وبيان بطلان مذهبهم:

إن الرد على الأشاعرة وبيان بطلان مذهبهم يتطلب منا أن نذكر المسائل التي قام عليها مذهبهم، وأن نتناول تلك المسائل مسألة مسألة ونبين بطلانها وفسادها ومخالفتها لمذهب السلف الصالح.

المسألة الأولى: حقيقة الكلام عند الأشاعرة: أنه معنى نفسي يقوم بذات الله تعالى.

واستدلوا على ما قالوه بأثر عمر بن الخطاب أنه قال في السقيفة: إني زورت في نفسي كلاماً. فقالوا: فسمّى ما في النفس كلاما.

وبقول الأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما   جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وجوابنا على ما قالوه واستدلوا به من وجوه: -

١ - إن الكلام النفسي الذي أثبتوه لله تعالى لا يعقل ولا يفهم معناه ولا مرماه، وفيه أيضاً تنقيص لله تعالى، ويلزم منه أن يكون الأخرس - الذي يجمع في نفسه خواطر ويريد أن يتكلم بها لكنه لا يقدر للعجز الموجود عنده - متكلماً وهذا لا يقول به عاقل.

يقول ابن تيمية رحمه الله مخاطباً الأشاعرة فيما أثبتوه لله تعالى من الكلام النفسي: «وأيضاً: فالكلام القديم النفساني الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه، وإثبات الشيء فرع عن تصوره فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟ ولهذا كان أبو سعيد بن كلاب - رأس هذه الطائفة وإمامها في هذه المسألة - لا يذكر في بيانها شيئاً يعقل، بل يقول: هو معنى يناقض السكوت والخرس.

والسكوت والخرس إنما يتصوران إذا تصور الكلام، فالساكت هو الساكت عن الكلام، والأخرس هو العاجز عنه، أو الذي حصلت له آفة في محل النطق تمنعه عن الكلام، وحينئذٍ فلا يعرف الساكت والأخرس

حتى يعرف الكلام، ولا يعرف الكلام حتى يعرف الساكت والأخرس.
فتبين أنهم لم يتصوروا ما قالوه، ولم يثبتوه، بل هم في الكلام يشبهون النصارى في الكلمة وما قالوه في الأقانيم والتثليث والاتحاد فإنهم يقولون ما لايتصورونه ولا يبينونه، والرسل إذا أخبروا بشيء ولم نتصوره وجب تصديقهم.

وأما ما يثبت بالعقل فلا بد أن يتصوره القائل به وإلا كان قد تكلم بلا علم، فالنصارى تتكلم بلا علم فكان كلامهم متناقضاً ولم يحصل لهم قول معقول، وكذلك من تكلم في كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضاً ولم يحصل به قول يعقل»[1].

٢ ـ وأما استدلالهم على ما ذهبوا إليه من إثبات الكلام النفسي لله تعالى بما أثر عن عمر بن الخطاب أنه قال في السقيفة: زورت في نفسي كلاماً فإن هذا الأثر في الواقع حجة عليهم لا لهم. وذلك أن الكلام إذا أطلق فإنه يشمل اللفظ والمعنى جميعاً، وليس المعنى وحده أما إذا قيد الكلام بالنفس، فإنه لا يكون كلاماً مطلقاً وذلك لأن دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق، وهنا في الأثر قيد الكلام بالنفس ولم يطلقه فدل هذا على أن الكلام المطلق يشمل اللفظ والمعنى جميعاً[2].

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وقول عمر رضي الله عنه: زورت في نفسي مقالة أردت أن أقولها، حجة عليهم. قال أبو عبيد: التزوير: اصلاح الكلام وتهيئته، قال: وقال أبو زيد: المزور من الكلام والمزوق واحد، وهو المصلح الحسن.

وقال غيره: زورت في نفسي مقالة، أي هيأتها لأقولها. فلفظها يدل على أنه قدر في نفسه ما يريد أن يقوله ولم يقله، فعلم أنه لا يكون قولاً إلا إذا قيل باللسان، وقبل ذلك لم يكن قولاً، لكن كان مقدراً في

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٦ ص ٢٩٥).
(٢) المصدر السابق (ج ١٥ ص ٣٥).

النفس يراد أن يقال»[1].

ومثل ابن تيمية رحمه الله بما مقدر في النفس ولم يقال، بما يقدره الإنسان في نفسه أيضاً من أنه يحج وأنه يصلي وأنه يسافر، فيكوّن لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس، ولكن لا يسمى قولاً وعملاً إلا إذا وجد في الخارج، كما أنه لا يكون حاجاً ومصلياً إلا إذا وجدت هذه الأفعال في الخارج[2].

٣ ـ وأما استدلالهم بقول الأخطل:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فالجواب عن هذا البيت من ثلاثة وجوه:

١ ـ أنه موضوع ومصنوع. ٢ ـ أنه محرف وليس هو في ديوان الأخطل. ٣ ـ أنه قول نصراني على تقدير ثبوته.

قال الشيخ أبو محمد بن الخشاب[3] ـ إمام أهل العربية في زمانه ـ: «قد فتشت دواوين الأخطل العتيقة فلم أجد هذا البيت فيها»[4].

ومن العلماء من قال: إن هذا البيت محرف وأصله: أن البيان لفي الفؤاد، فحرفوه وقالوا: الكلام[5]، وهذا أقرب إلى الصحة.

وعلى فرض صحته وثبوت نسبته إلى الأخطل، فإنه لا يجوز الاستدلال به، لأن الأخطل هذا نصراني، والنصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وتكلموا في كلمة الله بما هو باطل، وزعموا أن عيسى نفس كلمة الله واتحد

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٧ ص ١٣٧).

(٢) انظر المصدر السابق (ج ٧ ص ١٣٧).

(٣) هو عبدالله بن أحمد بن أحمد أبو محمد المعروف بابن الخشاب البغدادي الحنبلي. العالم المشهور في الأدب والنحو واللغة وكان عالماً بالتفسير والحديث والفرائض. مات في بغداد سنة (٥٦٧هـ) (شذرات الذهب ٤ : ٢٢٠).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (ج ٧ ص ١٣٨) وشرح الكوكب المنير لابن النجار (ج ٢ ص ٤٢).

(٥) انظر المصدرين السابقين بنفس الجزء والصفحة.

اللاهوت بالناسوت، أفيستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب!!.

وأيضاً فإن معنى البيت غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً لقيام الكلام بقلبه وإن لم ينطق به ولم يسمع منه.

والخطل معناه الخطأ في الكلام. وأجاد الشاعر حينما أنشد في هؤلاء قائلاً:

قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه ... فإذا استدل بقول قال الأخطل[1]

يقول ابن تيمية في معرض رده على استدلال الأشاعرة بقول الأخطل النصراني:

«... ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام ـ كلام الله وكلام جميع الخلق ـ بقول شاعر نصراني يقال له الأخطل»[2].

ويقول أيضاً: «ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في «الصحيحين» عن النبي ﷺ لقالوا: هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول.

وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة فضلاً عن مسمى الكلام. ثم يقال: مسمى الكلام والقول، ونحوهما ليس هو مما يحتاج إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون في أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل»[3].

ويفسر ابن تيمية رحمه الله هذا البيت المنسوب إلى الأخطل، على

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (ج ٦ ص ٢٩٧)، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ١٩٨).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٦ ص ٢٩٦).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٧ ص ١٣٨).

تقدير صحة نسبته إليه، بأن المراد منه: أن أصل الكلام من الفؤاد وهو المعنى.

فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين، حيث ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ولهذا قال الشاعر:

لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل، ولهذا قال: حتى يكون مع الكلام أصيلاً. وقوله: مع الكلام، دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله «مع الكلام» مطلق. وقوله: إن الكلام لفي الفؤاد: أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك»[1].

المسألة الثانية: قولهم: إن كلام الله تعالى بلا حرف ولا صوت. وبنوا هذا الكلام على شبهة وهي: أن المتكلم يمتلك المخارج وأدوات الكلام، لذا يسمع كلامه وأنه بحرف وصوت، وهذا لا يكون إلا في المخلوق.

أما الله تعالى فليس بذي مخارج ولا أدوات، وبناء عليه لا يكون كلامه بحرف وصوت.

والباقلاني وهو من أئمة الأشاعرة، نفى أن يكون كلام الله تعالى بحرف وصوت مستدلاً على ما قال بهذه الشبهة. وتابعه على ذلك الجويني[2] وهذه الشبهة ذكرها أيضاً البيهقي والآمدي[3].

وحاصل هذا النفي ـ كما قال ابن حجر ـ إنما يرجع إلى القياس على

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٧ ص ١٣٨).
(٢) انظر الانصاف للباقلاني (ص ٩٩) والإرشاد للجويني (ص ١٢٧).
(٣) انظر الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٧٣)، وغاية المرام للآمدي (ص ٨٨).

أصوات المخلوقين، لأنها هي التي عهد أنها ذات مخارج[1].

ويبين ابن تيمية أن منشأ الخطأ في هذه المسألة قائم على عدم الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته والمخلوق وصفاته، وهذا خطأ وضلال لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد، ومتفقون على أن الله تعالى تكلم بالقرآن الذي أنزله على نبيه ﷺ حروفه ومعانيه، وأنه ينادي عباده بصوته[2].

وبطلان مذهب الأشاعرة هذا من وجهين:

الأول: إن المتكلم يحتاج إلى مخارج وأدوات حتى يعرف كلامه ويسمع صوته، وهذا في حق المخلوق، أما الخالق فلا يحتاج في كلامه إلى مخارج وأدوات، لأنه تعالى مباين للمخلوقات في ذاته وصفاته، ولأنه تعالى ليس كمثله شيء لا في صفاته ولا في ذاته.

وأيضاً فقد ذكر الله تعالى في كتابه أن بعض المخلوقات لا تحتاج إلى مخارج وأدوات في كلامها، كالأيدي، والأرجل والجلود التي تتكلم يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿**اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ [يس: ٦٥].

وقال أيضاً: ﴿**حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**﴾ [فصلت: ٢٠ - ٢١].

وقال: ﴿**يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون**﴾ [النور: ٢٤].

---

(١) انظر فتح الباري لابن حجر (ج ١٣ ص ٤٥٨).

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٥٨٥). وانظر البيهقي وموقفه من الإلٰهيات، للدكتور أحمد الغامدي (ص ٢٠٣) طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية سنة ١٤٠٢هـ.

وقد رد الإمام أحمد رحمه الله على هذه الشبهة فقال: «وأما قولهم: ان الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان، أليس الله قال للسماوات والأرض: ﴿**آئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾ [فصلت: ١١].

أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟

وقال: ﴿**وسخرنا مع داود الجبال يسبحن**﴾ [الأنبياء: ٧٩].

أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟

والجوارح إذا شهدت على الكافر فقالوا: ﴿**لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء**﴾ [فصلت: ٢١]. أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟ لكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان»[1].

وأيضاً فقد ورد في السنة النبوية صراحة ما ينص على أن بعض المخلوقات تنطق وتتكلم وتسلم على النبي ﷺ وتسبح لله تعالى، من غير أن يكون لها مخارج وحروف وأدوات.

من ذلك ما رواه جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث وإني لأعرفه الآن»[2].

ومن ذلك أيضاً ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»[3].

ومن ذلك أيضاً ما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قصة الجذع

---

(١) الرد على الجهمية للإمام أحمد، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض.

(٢) مسلم في الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة (ج ٤ ص ١٧٨٢ رقم ٢٢٧٧). وأحمد في المسند (ج ٥ ص ٨٩). والدارمي في السنن (ج ١ ص ١٢).

(٣) البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ج ٦ ص ٥٨٧ فتح الباري رقم ٣٥٧٩) والدارمي في السنن (ج ١ ص ١٥).

الذي كان يخطب عليه الرسول ﷺ ثم تركه واتخذ منبراً يخطب عليه.

قال ابن مسعود: «فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه...»[1].

فهذه المخلوقات كانت تتكلم وتسبح وتصيح صياح الأطفال من غير أن تعرف كيفية كلامها، مع أنها تكلمت بحرف وصوت، فإذا صدقنا هذه الأحاديث وقبلناها مع عدم علمنا بالكيفية التي تكلمت بها هذه المخلوقات، كان من باب أولى أن نثبت لله تعالى كلاماً بصوت وحرف يليق بجلاله وعظمته ولا يشبه صوت المخلوقين ولا حروفهم، مع قطع الطمع في إدراك كيفية كلام الله تعالى.

الوجه الثاني: قد نص السلف الصالح وعلماء السنة على إثبات كلام الله تعالى وأنه بحرف وصوت يُسمع، وأن صوته لا يشبه أصوات خلقه كما أن ذاته لا تشبه ذوات خلقه.

وقد استدل السلف على صحة مذهبهم بحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار»[2].

وبحديث جابر رضي الله عنه عن عبدالله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان»[3] إلى غير هذه الأحاديث.

---

(١) البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ج ٦ ص ٦٠١ فتح الباري رقم ٣٥٨٤). وأحمد في المسند (ج ١ ص ٢٤٩). وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في بدء شأن المنبر (ج ١ ص ٤٥٤ رقم ١٤١٤). والنسائي في الجمعة، باب مقام الإمام في الخطبة (ج ٣ ص ٨٣). والدارمي في السنن (ج ١ ص ١٥).

(٢) تقدم تخريجه في صفحة ١٨٣.

(٣) تقدم تخريجه في صفحة ١٥٧.

وقد صرح الإمام أحمد بأن الله تعالى يتكلم بصوت وذلك حينما سأله ابنه عبدالله عن قوم يقولون: إن الله لم يتكلم بصوت.

فقال له الإمام أحمد: بلى يتكلم بصوت[1].

وأيضاً فقد صرح الإمام البخاري بأن الله يتكلم بصوت يسمع واستدل على هذا بحديث عبدالله بن أنيس كما في خلق أفعال العباد. وبين رحمه الله أنه لا مشابهة بين صوت الخالق وبين صوت المخلوقين فقال:

«ويُذكر عن النبي ﷺ أنه كان يحب أن يكون الرجل خفيض الصوت، ويكره أن يكون رفيع الصوت، وأن الله عز وجل ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، فليس هذا لغير الله جل ذكره.

وفي هذا دليل أن صوت الله لا يشبه أصوات الخلق، لأن صوت الله جل ذكره يسمع من بعد كما يسمع من قرب وأن الملائكة يصعقون من صوته، فإذا تنادى الملائكة لم يصعقوا، وقال الله عز وجل: ﴿**فلا تجعلوا لله أنداداً**﴾ [البقرة: ٢٢] فليس لصفة الله ند ولا مثل ولا يوجد شيء من صفاته في المخلوقين»[2]. وإلى هذا ذهب الأئمة من أهل السنة كإمام الأئمة ابن خزيمة، وأبو نصر السجزي[3]، وأبو عمرو الطلمنكي[4]، كلهم يصرح بأن الله تعالى يتكلم بصوت[5].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

---

(١) مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ٣٢٨).

(٢) خلق أفعال العباد للبخاري (ص ١٤٩).

(٣) هو عبيدالله بن سعيد بن حاتم بن أحمد البكري السجستاني شيخ الحرم كان عالماً حافظاً شيخاً للسنة. وكان واسع العلم بفن الأثر والحديث. (توفي سنة ٤٤٤هـ) (سير أعلام النبلاء ١٧: ٦٥٤ ـ شذرات الذهب ٣: ٢٧١).

(٤) أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبدالله المعافري الأندلسي الطلمنكي وكان إماماً في القراءة، ومحدثاً وحافظاً، وكان من بحور العلم، وكان عجيباً في حفظ علوم القرآن، صنف كتباً كثيرة في السنة يلوح فيها فضله وحفظه وإمامته واتباعه للأثر. مات (٤٢٩هـ). (سير أعلام النبلاء ١٧: ٥٦٦ ـ وشذرات الذهب ٣: ٢٤٣).

(٥) انظر مختصر الصواعق لابن القيم (ج ٢ ص ٣٢٨).

«والصواب الذي عليه سلف الأمة ـ كالإمام أحمد والبخاري صاحب الصحيح فى كتاب خلق أفعال العباد وغيره، وسائر الأئمة قبلهم وبعدهم ـ اتباع النصوص الثابتة وإجماع سلف الأمة، وهو أن القرآن جميعه كلام الله حروفه ومعانيه ليس شيء من ذلك كلاماً لغيره، ولكن أنزله على رسوله، وليس القرآن إسماً لمجرد المعنى، ولا لمجرد الحرف بل لمجموعهما، وكذلك سائر الكلام ليس هو الحروف فقط ولا المعاني فقط. كما أن الإنسان المتكلم الناطق ليس هو مجرد الروح ولا مجرد الجسد بل مجموعهما. وأن الله تعالى يتكلم بصوت كما جاءت به الأحاديث الصحاح، وليس ذلك كأصوات العباد، لا صوت القارىء ولا غيره. وأن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

فكما لا يشبه علمه وقدرته وحياته علم المخلوق وقدرته وحياته، فكذلك لا يشبه كلامه كلام المخلوق ولا معانيه تشبه معانيه ولا حروفه تشبه حروفه ولا صوت الرب يشبه صوت العبد. فمن شبه الله بخلقه فقد ألحد في أسمائه وآياته ومن جحد ما وصف به نفسه فقد ألحد في أسمائه وصفاته»[1].

والحق يظهر في هذه المسألة أنه مع سلف الأمة وأئمتها الذين أثبتوا لله تعالى كلاماً يليق به بحرف وصوت يسمع كما دلت عليه الأدلة الصحيحة.

المسألة الثالثة: قالوا: إن كلام الله تعالى معنى واحد لا يتبعض ولا يختلف باختلاف العبارات، إن قرىء بالعبرية كان توراة، وإن قرىء بالسريانية كان إنجيلاً، وإن قرىء بالعربية كان قرآناً، وأن الأمر والنهي والخبر صفات للكلام لا أنواع له[2].

وهذا القول مردود عليهم وظاهر الفساد.

وذلك لأن لازمه أن يكون معنى القرآن والتوراة والإنجيل واحداً، وهذا لا يقول به أحد غير الأشاعرة، وأن يكون معنى قوله: ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٢٤٣).

(٢) انظر الإنصاف للباقلاني (ص ١٠٦) والأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٧٠).

[الإسراء: ٣٢] هو معنى قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ [البقرة: ٤٣]، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، ومعنى قوله تعالى: ﴿**قل هو الله أحد**﴾ [الإخلاص: ١] هو معنى قوله: ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾ [المسد: ١]، وكلما تأمل الإنسان معنى هذا القول تبين له فساده، وعلم مخالفته لمذهب السلف الصالح الذين يؤمنون بأن كلام الله تعالى لا يتناهى، وأن القرآن والتوراة والإنجيل من كلام الله تعالى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء ولا يزال كذلك[١].

وكذلك قولهم: إن الأمر والنهي والخبر الوارد في القرآن هي صفات للكلام لا أنواع له، باطل ومردود.

فالسلف الصالح يثبتون أن كلام الله منه الأمر كما في قوله: ﴿**أقيموا الصلاة**﴾[البقرة:٤٣]. ومنه النهي كما في قوله: ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ [الإسراء: ٣٢]، ومنه الخبر كما قص علينا الله تعالى أخبار الأمم السالفة وما حصل لها، ومنه الوعد والوعيد وغيرها.

يقول ابن تيمية رحمه الله موضحاً فساد قول الأشاعرة في أن كلام الله معنى واحد: ـ

«وقال جمهور العقلاء: نحن إذا عربنا التوراة والإنجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن، بل معاني هذا ليست معاني هذا، ومعاني هذا ليست معاني هذا. وكذلك معنى: ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ليس هو معنى ﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾، ولا معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين.

وقالوا: إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة، فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الإلزام ليس لهم عنه جواب عقلي»[٢].

وقال أيضاً رحمه الله: «فهم يقولون: إنه معنى واحد، فإن كان موسى

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ١٩١).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ١٢٢).

سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله، وإن سمع بعضه فقد تبعض، وكلاهما ينقض قولهم، فإنهم يقولون: إنه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض. فإن كان ما يسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله، كان كل منهم علم جميع كلام الله، وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع أمره، فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله أو أنزل عليه شيئاً من كلامه عالماً بجميع أخبار الله وأوامره، وهذا معلوم الفساد بالضرورة. وإن كان الواحد من هؤلاء إنما يسمع بعضه، فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم»[1].

ومن هذا يظهر لنا أن كلام الأشاعرة في صفة كلام الله تعالى أنه معنى واحد، لم يكن معقولاً ولا مقبولاً، بل معلوم الفساد من أساسه، وذلك كما قلنا إن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بكذا، ونهاهم عن كذا، وأخبرهم بما حصل للأمم السالفة وما نزل بها من ويل وعقاب، وأنه أحياناً ينادي عباده ويكلمهم ويكلم الملائكة ويخاطب البشر وغير هذا مما يدل على صحة ما ذهب إليه السلف الصالح.

المسألة الرابعة: قولهم: إن كلام الله قديم قدم الذات الإلٰهية.

يقول القدسي في توضيح مذهبهم: «والأصل السابع أنه تعالى متكلم بكلام أزلي باق أبدي قديم قائم بذاته... أما أنه ـ يعني الكلام الذي هو صفة له تعالى ـ قديم فلأنه يمتنع قيام الحوادث بذاته تعالى...»[2].

وجوابنا على كلام الأشاعرة هذا أن يقال:

إن السلف الصالح يثبتون لله تعالى صفة الكلام، وأنه كلام يليق بجلاله تعالى وعظمته، ولا ينكرون أن كلامه تعالى قديم، ولكن عندهم صفة القدم في كلام الله تعالى تكون باعتبار نوعه وجنسه، وأما أفراد الكلام وآحاده فإنها حادثة تتعلق بمشيئة الله تعالى وقدرته، بمعنى أن الله تعالى لم يزل متكلماً

---

(١) المصدر السابق (ج ١٢ ص ١٣٠) وانظر شرح الطحاوية (ص ١٩٧).

(٢) المسامرة بشرح المسايرة لكمال الدين القدسي (ص ٧٣ ـ ٧٦). وانظر أيضاً حاشية الدسوقي على أم البراهين لمحمد الدسوقي (ص ١١٣) طبع دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي.

كيف شاء ومتى شاء مع من شاء. ولهذا قالوا: كلام الله قديم النوع حادث الآحاد.

«وأجمع السلف على ثبوت الكلام لله فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو كلام حقيقي يليق بالله يتعلق بمشيئته بحروف وأصوات مسموعة...

وكلام الله تعالى قديم النوع حادث الآحاد، ومعنى قديم النوع: إن الله لم يزل ولا يزال متكلماً، ليس الكلام حادثاً منه بعد أن لم يكن.

ومعنى حادث الآحاد: أن آحاد كلامه أي الكلام المعين المخصوص حادث لأنه متعلق بمشيئته متى شاء تكلم بما شاء كيف شاء»[1].

قال ابن تيمية رحمه الله حاكياً مذهب السلف في بيان صفة كلام الله تعالى: -

«وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء، كما قال تعالى: ﴿**فلما أتاها نودي يا موسى**﴾ [طه: ١١]، فناداه حين أتاها ولم يناده قبل ذلك، وقال تعالى: ﴿**فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين**﴾ [طه: ١٢١]، فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم يناداهما قبل ذلك، وكذلك قال تعالى: ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ [الأعراف: ١١]، بعد أن خلق آدم وصوره، ولم يأمرهم قبل ذلك، وكذا قوله: ﴿**إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**﴾ [آل عمران: ٥٩]، فأخبر أنه قال له كن فيكون بعد أن خلقه من تراب، ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين، ونادى في وقت معين»[2].

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة بشرح الشيخ محمد الصالح العثيمين، (ص ٤١).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ٥٨٨).

ونصوص السنة ولا سيما أحاديث الشفاعة، وحديث المعراج، وقوله ﷺ لما خرج إلى الصفا وقرأ قوله تعالى: ﴿**إن الصفا والمروة من شعائر الله**﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال ﷺ: «نبدأ بما بدأ الله به»[1] فأخبر أن الله بدأ بالصفا قبل المروة.

وقوله ﷺ: «إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث ألا تكلموا في الصلاة»[2].

وقوله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان»[3].

وغير هذه الأحاديث، كلها تدل على أن أفراد وآحاد كلام الله تعالى تتعلق بمشيئته وقدرته، وأنه تعالى يتكلم متى شاء وكيف شاء.

وبين ابن تيمية رحمه الله أن الأدلة والحجج كلها تدل على أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء كيف شاء، وكلامه تعالى يتعلق بمشيئته وقدرته، وإن كان نوع الكلام قديماً[4].

---

(١) مسلم في الحج، باب حجة النبي ﷺ (ج ٢ ص ٨٨٦، رقم ١٢١٨). وابو داود في المناسك، باب صفة حجة النبي ﷺ (ج ٢ ص ٤٥٥ رقم ١٩٠٥). وابن ماجه في المناسك، باب حجة رسول الله ﷺ (ج ٢ ص ١٠٢٢ رقم ١٠٧٤). والدارمي في السنن، (ج ٢ ص ٤٤).

(٢) ذكره البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**كل يوم هو في شأن**﴾، (ج ١٣ ص ٤٩٦ مع فتح الباري). ورواه أبو داود في الصلاة، باب رد السلام في الصلاة (ج ١ ص ٥٦٧ رقم ٩٢٤). والنسائي في كتاب السهو، باب في الكلام في الصلاة (ج ٣ ص ١٦).

(٣) البخاري في الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب (ج ١١ ص ٤٠٠ مع فتح الباري رقم ٦٥٣٩). وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ (ج ١٣ ص ٤٢٣ فتح الباري رقم ٧٤٤٣). وباب كلام الرب تعالى يوم القيامة مع الأنبياء (ج ١٣ ص ٤٧٤ فتح الباري رقم ٧٥١٢). ومسلم في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (ج ٢ ص ٧٠٣ رقم ٦٦). والترمذي في صفة القيامة، باب في القيامة (ج ٤ ص ٦١١ رقم ٢٤١٥). وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية (ج ١ ص ٦٦ رقم ١٨٥). وفي الزكاة، باب فضل الصدقة (ج ١ ص ٥٩٠ رقم ١٨٤٣).

(٤) انظر الفتاوى (ج ٦ ص ٣٠٠. وج ١٢ ص ٥٢).

المسألة الخامسة: قولهم: إن القرآن حكاية وعبارة عن كلام الله تعالى، وان النظم العربي الذي هو قراءة كلام الله تعالى، قول جبريل[1].

وهم يوافقون ابن كلاب البصري في هذا الكلام، لأن الأخير هذا قال:

إن ما نسمع التالين يتلونه هو عبارة عن كلام الله عز وجل[2].

واستدلوا على هذا بقوله تعالى: ﴿ **إنه لقول رسول كريم**﴾ [الحاقة: ٤٠].

وقد سبق ذكر قولهم في أن القرآن الذي نقرؤه مخلوق حادث، ولا يجوزون إطلاق هذا الكلام إلا في مقام التعليم.

وجوابنا على كلام الأشاعرة هذا من وجهين:

الأول: إن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله تعالى على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة وليس كلام غيره أبداً، وهذا هو مذهب السلف الصالح في القرآن، وهو المذهب الحق الذي دلت عليه الأدلة المستفيضة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهو المطابق لما شهدت به الفطرة السليمة والعقول المستقيمة.

يقول الإمام الآجري[3] في معرض الرد على هؤلاء:

«قال الله عز وجل: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله**﴾ [التوبة: ٦]. فأخبرنا عز وجل أنه إنما يستمع الناس كلام الله تعالى، ولم يقل: حكاية كلام الله عز وجل.

وقال الله جل وعلا: ﴿**وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا**﴾

---

(١) انظر قول الأشاعرة هذا في الإنصاف للباقلاني (ص ٩٧) والإرشاد للجويني (ص ١٣٥). وتحفة المريد للبيجوري (ص ٤٥).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري (ج ٢ ص ٢٥٧).

(٣) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الإمام القدوة المحدث شيخ الحرم. كان صدوقاً خيراً عابداً صاحب سنة واتباع. مات بمكة سنة (٣٦٠هـ). سير أعلام النبلاء (١٦: ١٣٣)، شذرات الذهب (٣: ٣٥).

[الأعراف: ٢٠٤]، فأخبرنا أن السامع يستمع القرآن، ولم يقل تبارك وتعالى: حكاية كلام الله عز وجل...

وقال عز وجل: **﴿قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾** [الجن: ١]، ولم يقل عز وجل يستمعون حكاية القرآن، ولا قالت الجن: سمعنا حكاية القرآن...»[1].

فهذه الآيات الكريمة التي ساقها الإمام الآجري - ويوجد مثلها كثير في القرآن - تدل على فساد قول الأشاعرة بأن القرآن المسموع هو عبارة وحكاية عن كلام الله تعالى.

الثاني: إن استدلالهم بهذه الآية على أن القرآن حكاية عن كلام الله تعالى، وأن القرآن أحدثه جبريل عليه السلام، استدلال باطل وفاسد.

يقول ابن تيمية رحمه الله في رده على الأشاعرة واستدلالهم:

«فإن قيل: فقد قال تعالى: **﴿إنه لقول رسول كريم﴾** وهذا يدل على أن الرسول أحدث الكلام العربي.

قيل: هذا باطل، وذلك لأن الله ذكر هذا في القرآن في موضعين، والرسول في أحد الموضعين محمد ﷺ، والرسول في الآية الأخرى جبريل.

قال تعالى في سورة الحاقة: **﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾**. فالرسول هنا محمد ﷺ. وقال في سورة التكوير: **﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين﴾** فالرسول هنا جبريل.

فلو كان أضافه إلى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئاً لكان الخبران متناقضين، فإنه إن كان أحدهما هو الذي أحدثها امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثها.

---

(١) الشريعة للآجري (ص ٨٩).

وأيضاً فإنه قال: ﴿لقول رسول كريم﴾ ولم يقل: لقول ملك ولا نبي، ولفظ الرسول يستلزم مرسلاً له، فدل ذلك على أن الرسول مبلغ له عن مرسله، لا أنه أنشأ منه شيئاً من جهة نفسه. وهذا يدل أيضاً على أنه أضافه إلى الرسول، لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنشأ منه شيئاً وابتدأه...»[1].

فالرسول هو الذي بلغ عن الله كلامه إلى الناس، لا أنه هو الذي قاله وأحدثه من نفسه، فالكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله عن الله مبلغاً ومؤدياً.

وأخيراً: مما سبق ذكره تبين لنا أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على إثبات الكلام لله تعالى.

والسلف الصالح آمنوا بهذه الآيات والأحاديث، واعتقدوا اعتقاداً جازماً أن الله تعالى يتكلم بكلام قديم النوع حادث الآحاد، وأنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء متى شاء بما شاء، وأنه تعالى يتكلم بكلام مسموع، يسمعه من شاء من خلقه.

ويقولون: ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم بالقرآن حروفه ومعانيه حقيقة. وأن القرآن أنزله الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ.

وأن الأشعري رحمه الله وافق السلف فيما أثبتوه لله تعالى من الكلام، وقال بقولهم واهتدى بهداهم وخالف من قال بغير هداهم.

وأن الأشاعرة خالفوا السلف الصالح وخالفوا الأشعري الذي ينتسبون إليه، ووافقوا المعتزلة والكلابية في صفة كلام الله تعالى.

وبهذا يتضح أن الأشاعرة لا تصح نسبتهم إلى الأشعري، لأن كلاً منهما في مفترق طريق. هو من السلف الصالح، وهم مع من وافقوا من المعتزلة والكلابية.

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ١٢ ص ١٣٥).

الباب الثاني
عقيدة الأشعري في الصفات الفعلية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول :مذهب الأشعري في صفة الاستواء ومخالفة الأشاعرة له.

الفصل الثاني :مذهب الأشعري في صفة الإتيان والمجيء والنزول ومخالفة الأشاعرة له.

الفصل الثالث :مذهب الأشعري في صفة الرضى والغضب ومخالفة الأشاعرة له.



الفصل الأول
مذهب الأشعري في صفة الاستواء
ومخالفة الأشاعرة له

عرفنا في الباب السابق مذهب السلف الصالح في الصفات الإلّهية، وأنه مذهب قائم على إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل. ونفي كل ما نفاه الله تعالى عن نفسه وما نفاه عنه نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل.

وعرفنا أن الأشعري رحمه الله أثبت لله تعالى الصفات الإلّهية حقيقة، كما وصف الله بها نفسه، وكما وصفه بها نبيه ﷺ.

وعرفنا أنه رحمه الله أثبت الصفات الذاتية لله تعالى موافقاً بهذا الإثبات السلف الصالح الذين أثبتوا بلا تمثيل ولا تكييف.

وعرفنا مذهب الأشاعرة في الصفات الذاتية، وأنهم أوّلوها وأخرجوها عن ظاهرها المراد واللائق بجلال الله تعالى، موافقين بذلك المعتزلة، ومخالفين الأشعري الذين يدعون أنهم ينتسبون إليه.

ونريد في هذا الباب أن نبين مذهب الأشعري في الصفات الفعلية الخبرية، وموافقته للسلف الصالح. كما نبين مذهب الأشاعرة فيها، وهل هم متفقون مع الأشعري في إثباته لهذه الصفات الفعلية أم مخالفون له؟!.

صفة الاستواء والعلو والفوقية

صفة الاستواء: من الصفات الخبرية الفعلية الثابتة لله تعالى، وهي من أعظم الصفات التي تبين وتثبت علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه.

والعلو صفة من صفات الله تعالى الذاتية الثابتة له بالكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم بإحسان من أهل السنة والجماعة.

وهو سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه عالياً على خلقه بائناً منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية.

والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى، والفطر السليمة والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بعلوه تعالى واستوائه على عرشه نقر بذلك ولا ننكره[1].

ولقد جاء إثبات صفة العلو لله تعالى في كتابه العزيز على وجوه متعددة:

١ ـ التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على» مخصوصاً بالعرش الذي هو أعلى المخلوقات، والاستواء من أعظم الصفات التي تدل على علوه تعالى. وقد وردت هذه الصفة الكريمة في كتاب الله تعالى في سبعة مواضع.

قال تعالى: ﴿**إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**﴾[الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿**. . . ثم استوى على العرش يدبر الأمر**﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿**الله الذي رفع السمٰوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش**﴾ [الرعد: ٢].

---

(١) انظر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي، (ج ١ ص ١٠٩) مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية. . . الرياض.

وقال تعالى: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ [طه: ٥].

وقال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الفرقان: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿الله الذي خلق السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [السجدة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وهو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الحديد: ٤].

٢ ـ التصريح بالفوقية مقروناً بأداة «من» المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ [النحل: ٥٠].

٣ ـ ذكر الفوقية مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ [الأنعام: ١٨].

٤ ـ التصريح بعروج الملائكة والروح إليه، كقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ [المعارج: ٤].

٥ ـ التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠].

٦ ـ التصريح برفعه تعالى بعض خلقه، كقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ [آل عمران: ٥٥].

هذا وقد دلت أيضاً السنة النبوية على إثبات صفة العلو لله تعالى، فمن ذلك: ـ

١ ـ حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ـ الذي فيه ـ أن رسول الله ﷺ قال للصحابة يوم عرفة: «. . . فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت.

فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم

اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد»[1].

٢ - وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال فيه رسول الله: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء مساء وصباحاً. . .»[2].

٣ - وحديث معاوية بن الحكم السلمي قال: «كانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله، أفلا أعتقها؟ قال: ائتني بها، فأتيته بها. فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء. قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال ﷺ: أعتقها فإنها مؤمنة»[3].

---

(١) مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (ج ٢ ص ٨٨٦ رقم ١٢١٨).

(٢) البخاري في المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب. . . الخ (ج ٨ ص ٦٧ فتح الباري رقم ٤٣٥١). ومسلم في الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (ج ٢ ص ٧٤٢ رقم ١٤٤).
ومعنى قوله ﷺ: «وأنا أمين من في السماء» أي من على العرش فوق السماء، لأن «في» هنا بمعنى «على».
وقد ذكر ابن حجر رحمه الله عن أبي بكر الضبعي أنه قال: «العرب تضع «في» موضع «على» كقوله: **﴿فسيحوا في الأرض﴾** وقوله: **﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾**، فكذلك قوله: «من في السماء» أي على العرش فوق السماء كما صحت الأخبار بذلك» (فتح الباري لابن حجر ج ١٣ ص ٤١٨).
وقال ابن تيمية رحمه الله: «من توهم أن كون الله في السماء، بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ان نقله عن غيره، وضال ان اعتقده في ربه، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن واحد. ولو سئل سائر المسلمين: هل تفهمون من قول الله ورسوله أن الله في السماء، أن السماء تحويه، لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً. . .» (الفتوى الحموية ص ٦٢).

(٣) مسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة (ج ١، ص ٣٨١ رقم ٥٣٧).
وأبو داود في الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (ج ١ ص ٥٧٠ رقم ٩٣٠). وفي الإيمان، باب في الرقبة المؤمنة (ج ٣ ص ٥٨٧ رقم ٣٢٨٢).

٤ ـ وحديث زينب زوج النبي ﷺ التي كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ وتقول:
«زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات»(١).

٥ ـ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»(٢).

٦ ـ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟
فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون»(٣).

٧ ـ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ـ «والذي

والنسائي في السهو، باب الكلام في الصلاة (ج ٣ ص ١٤). والدارمي في النذور، باب إذا كان على الرجل رقبة مؤمنة (ج ٢ ص ١٨٧). وأحمد في المسند (ج ٢ ص ٢٩١).

(١) البخاري في التوحيد، باب وكان عرشه على الماء (ج ١٣ ص ٤٠٣ فتح الباري رقم ٧٤٢٠).

(٢) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ (ج ١٣ ص ٣٨٤ فتح الباري رقم ٧٤٠٤).
وباب وكان عرشه على الماء (ج ١٣ ص ٤٠٤ فتح الباري رقم ٧٤٢٢).
وباب قوله تعالى: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**﴾ (ج ١٣ ص ٤٤٠، فتح الباري رقم ٧٤٥٢).
ومسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه (ج ٤، ص ٢١٠٧ رقم ٢٧٥١). وابن ماجه في الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة (ج ٢، ص ١٤٣٥ رقم ٤٢٩٥).

(٣) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿**تعرج الملائكة والروح إليه**﴾ (ج ١٣ ص ٤١٥ فتح الباري رقم ٧٤٢٩).
مسلم في المساجد. باب فضل صلاتي الصبح والعصروالمحافظة عليهما (ج ١ ص ٤٣٩ رقم ٦٣٢).
وأحمد في المسند، (ج ٢ ص ٣١٢). وابن خزيمة في كتاب التوحيد (ص ١١٨).

نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»[1].

فهذه الأدلة التي ذكرناها من كتاب الله تعالى ومن سنة نبينا ﷺ، كلها تدل دلالة واضحة على إثبات صفة العلو لله تعالى، وأنه فوق سمواته ومستو على عرشه بائن من خلقه.

وكما أن هذه الصفة ثابتة لله تعالى بالنصوص الشرعية، فهي أيضاً ثابتة بالفطرة السليمة النقية التي لم تختلط بأهواء المنحرفين الغالين في دين الله تعالى. وما نشاهده من الخلق جميعاً بطباعهم وفطرهم السليمة حينما يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى، لخير دليل على إثبات هذه الصفة بالفطرة السليمة.

ذكر محمد بن طاهر المقدسي[2] أن الشيخ أبا جعفر الهمداني[3] حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان!. فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل! وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمداني حيرني!. أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المرسلين، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو[4].

---

(١) مسلم في النكاح، باب تحريم امتناعها عن فراش زوجها (ج ٢ ص ١٠٦٠ رقم ١٢١).

(٢) هو: محمد بن طاهر بن علي بن أحمد، أبو الحسين المقدسي الأثري. وكان إماماً حافظاً، حسن الاعتقاد، جميل الطريقة، صدوقاً، عالماً بالصحيح والسقيم، كثير التصانيف، لازماً للأثر. مات سنة (٥٠٧هـ). (سير أعلام النبلاء ١٩ : ٣٦١)، (شذرات الذهب ٤ : ١٨).

(٣) هو: محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبدالله، أبو جعفر الهمداني، الإمام الحافظ الرحال الزاهد، بقية السلف والأثبات. وكان حافظاً من المكثرين من أئمة الأثر. مات سنة (٥٣١هـ). (سير أعلام النبلاء ٢٠ : ١٠١) (شذرات الذهب ٤ : ٩٧).

(٤) انظر الاستقامة لابن تيمية (ج ١ ص ١٦٧) تحقيق محمد رشاد سالم، طبع جامعة الإمام=

مذهب السلف الصالح في صفة العلو والاستواء:

أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن تبعهم، على إثبات صفة العلو والاستواء لله تعالى، علواً واستواءً يليق بجلاله تعالى وعظمته.

وأثبتوا ما دلت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في إثبات استواء الله تعالى على عرشه وأنه فوق سمواته بائن من خلقه.

وعلى هذا مضى عهد الصحابة الكرام، ولم يظهر أحد من الناس ما يخالف هذا الإيمان بعلو الله تعالى واستوائه على عرشه.

وفي أوائل القرن الثاني ظهر «الجعد بن درهم»[1] وأظهر مقالة تناقض ما كان عليه الصحابة الكرام، فنفى أن يكون الله تعالى عالياً على خلقه مستوياً على عرشه[2].

ولكن السلف رضي الله عنهم تصدوا له ولمن وافقه واتبعه، وقاموا يردون على هذه المقالة الشنيعة ويبدعون صاحبها حتى انتشرت أقوالهم في أرجاء المعمورة بإثبات علو الله تعالى واستوائه على عرشه.

يقول ابن خزيمة رحمه الله حاكياً مذهب السلف الصالح في هذه الصفة:

= محمد بن سعود. وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (ج ٢ ص ٤٤٦)، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة.

(١) هو أول من ابتدع بأن الله ما اتخذ ابراهيم خليلًا، ولا كلم موسى. وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون: إن الله في كل مكان بذاته ـ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وكان الجعد قد تلقى هذا المذهب عن رجل يقال له: أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودي. وكان الجعد يتردد على وهب بن منبه ويسأله عن صفات الله تعالى. فقال له وهب يوماً: إني لأظنك من الهالكين، لو لم يخبرنا الله أن له يداً وعيناً ما قلنا ذلك، ثم لم يلبث الجعد أن صلب ثم قتل سنة (١٢٤هـ). (سير أعلام النبلاء ٥: ٤٣٣ ـ البداية والنهاية ٩: ٣٥٠).

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٥ ص ٢٠).

«باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه فكان فوقه وفوق كل شيء عالياً كما أخبرنا الله جل وعلا: **﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾** [طه: ٥]. وقال ربنا عز وجل: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾** [الأعراف: ٥٤].

وقال في تنزيل السجدة: **﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾** [السجدة: ٤].

وقال الله تعالى: **﴿هو الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾** [هود: ٧].

فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا أن خالقنا مستو على عرشه، لا نبدل كلام الله، ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا، كما قالت المعطلة والجهمية: أنه استولى على عرشه لا استوى، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم، كفعل اليهود لما أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، مخالفين لأمر الله جل وعلا كذلك الجهمية»[1].

وأقوال أئمة السلف في إثبات علو الله تعالى واستوائه على عرشه، أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصي، ولكن نذكر بعض أقوالهم التي رواها عنهم وذكرها الأئمة في كتبهم.

١ - قول الإمام الأوزاعي رحمه الله (ت ١٥٧هـ):

قال رحمه الله: كنا والتابعون متوافرون نقول: «إن الله عز وجل فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وسئل رحمه الله عن قوله تعالى: **﴿ثم استوى على العرش﴾** فقال: هو على عرشه كما وصف نفسه».

قال ابن تيمية رحمه الله بعد أن ذكر قول الأوزاعي هذا: «وقد حكى الأوزاعي - وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابعي التابعين الذين هم مالك

---

(١) التوحيد. لابن خزيمة (ص ١٠١).

إمام أهل الحجاز، والأوزاعي إمام أهل الشام والليث بن سعد إمام أهل مصر، والثوري إمام أهل العراق ـ حكى شهرة القول في زمن التابعين، بالإيمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية. وإنما قال الأوزاعي على هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف كان يخالف هذا»[1].

٢ ـ قول الإمام مالك بن أنس رحمه الله (ت ١٧٩هـ):

جاء رجل إلى الإمام مالك فقال: يا أبا عبدالله: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك برأسه حتى علاه الرحضاء ثم قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معلوم، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني أخاف أن تكون ضالاً. وأمر به فأخرج.

وهذا القول أيضاً مروي عن الإمام ربيعة شيخ الإمام مالك[2].

قال الذهبي رحمه الله بعد أن ذكر قول الإمام مالك هذا: «... وهو قول أهل السنة قاطبة، أن كيفية الاستواء لا نعقلها بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به، لا نتعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً بل نسكت ونقف كما وقف السلف ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون، ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه ونعلم يقيناً مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً»[3].

---

(١) الفتوى الحموية لابن تيمية (ص ٢٣).

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ج ٢ ص ٣٩٨)

(٣) مختصر العلو (ص ١٤١).

٣ ـ قول عبدالله بن المبارك رحمه الله (ت ١٨١هـ):

صح عن علي بن الحسن بن شقيق قال: قلت لعبدالله بن المبارك كيف نعرف ربنا عز وجل؟

قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما قالت الجهمية: انه ههنا في الأرض بل على العرش استوى.

٤ ـ قول عبدالرحمن بن مهدي[١] رحمه الله (ت ١٩٨هـ):

قال الذهبي رحمه الله: «نقل غير واحد بإسناد صحيح عن عبدالرحمن ـ الذي يقول فيه علي بن المديني حافظ الأمة: لو حلفت بين الركن والمقام لحلفت أني ما رأيت أعلم من ابن مهدي ـ قال رحمه الله: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى، وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم»[٢].

٥ ـ قول الإمام الشافعي رحمه الله (ت ٢٠٤هـ):

قال رحمه الله: القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، ويقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء...

٦ ـ قول يزيد بن هارون[٣] رحمه الله (ت ٢٠٦هـ):

سئل يزيد وقيل له من الجهمية؟

---

(١) ابن حسان بن عبدالرحمن البصري، الإمام الناقد، سيد الحفاظ سمع من حماد بن سلمة، ومالك بن أنس، وعبد العزيز بن الماجشون. وكان إماماً حجة، وقدوة في العلم والعمل.
(سير أعلام النبلاء ٩: ١٩٢ ـ شذرات الذهب ١: ٣٥٥).

(٢) مختصر العلو (ص ١٦٩).

(٣) أبو خالد يزيد بن هارون بن زاذى السلمي مولاهم الواسطي. وكان رأساً في العلم والعمل، =

قال: من زعم أن الرحمن على العرش على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي.

ويفسر الحافظ الذهبي معنى كلمة «العامة» التي وردت في قول يزيد رحمه الله فيقول: «والعامة: مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم، والذي وقر في قلوبهم من الآية هو ما دل عليه الخطاب مع يقينهم بأن المستوي ليس كمثله شيء. هذا الذي وقر في فطرهم السليمة وأذهانهم الصحيحة، ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه، ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله، ولو نقل لاشتهر، فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصاً أو قياساً للشاهد على الغائب، وللمخلوق على الخالق، فهذا نادر، فمن نطق بذلك زجر وعلم، وما أظن أن أحداً من العامة يقر في نفسه ذلك، والله أعلم»[1].

٧ - قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (ت ٢٤١هـ):

قيل للإمام أحمد: الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه، وقدرته وعلمه بكل مكان. قال رحمه الله: نعم هو على عرشه ولا يخلو شيء من علمه.

٨ - قول أبي عمر الطلمنكي رحمه الله (ت ٤٢٩هـ):

قال رحمه الله: وأجمع المسلمون على أن معنى ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾ ونحو ذلك في القرآن: أن ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء.

وقال أيضاً: قال أهل السنة في قول الله تعالى: ﴿**الرحمٰن على العرش**

= ثقة حجة، كبير الشأن حدث عنه علي بن المديني، وأحمد بن حنبل، وأبو بكر بن أبي شيبة. قال أبو حاتم الرازي: يزيد ثقة إمام، لا يسأل عن مثله.
(سير أعلام النبلاء ٩: ٣٥٨ - شذرات الذهب ٢: ١٦).

(١) مختصر العلو (ص ١٦٧).

استـوى﴾ أن الاستـواء من الله على عـرشـه المجيـد على الحقيقـة لا على المجاز.

٩ ـ قول أبي نصر السجزي رحمه الله (ت ٤٤٤هـ):

قـال رحمه الله: «أئمتنا كسفيان الثـوري، ومالـك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وعبدالله بن المبـارك، وفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحق بن راهويه الحنظلي: متفقون على أن الله سبحانـه بذاتـه فوق العرش، وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار، وأنه ينـزل إلى سماء الدنيا، وأنه يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء، فمن خالف شيئاً في ذلك فهو منهم بريء وهم منه براء»[١].

وبما أن هذه المسـألة من أعـظم المسائـل العقـديـة، فقـد ألف علماء المسلمين من أهـل السنة والجمـاعة كتبـاً كثيـرة لبيـان إثبـات علو الله تعـالى واستوائه على عرشه.

من هؤلاء الإمام ابن قدامة المقدسي، فقد ألف كتاباً سماه «إثبات صفة العلو» ذكر فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبـوية، وذكر أخباراً عن الأنبيـاء في إثبات صفة العلو لله تعالى. كما ذكر أقوال الصحابة والتابعين والأئمة.

قـال فيه رحمـه الله: «أما بعـد، فإن الله تعـالى وصف نفسه بـالعلو في السماء، ووصفه بـذلك رسـوله محمـد ﷺ خاتم الأنبيـاء، وأجمع على ذلـك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجـه حصـل بـه اليقين، وجمـع الله ـ تعـالى ـ عليـه قلوب المسلمين، وجعله مغـروزاً في طبـاع الخلق أجمعين، فتـراهم عنـد نـزول الكـرب بهم

---

(١) أنظر أقوال أئمة السلف ومن ذكرنا منهم:
أ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ج ٢ ص ٣٨٧) وما بعدها.
ب ـ مختصر العلو للذهبي (ص ١٤١) وما بعدها.
جـ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (ص ٤٧) وما بعدها، المكتبة السلفية.

يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم، وينطقون بذلك بألسنتهم، لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته، أو مفتون بتقليد وأتباعه على ضلالته، وأنا ذاكر في هذا الجزء بعض ما بلغني من الأخبار في ذلك عن رسول الله ﷺ وصحابته، والأئمة المقتدين بسنته على وجه يحصل به القطع واليقين بصحة ذلك عنهم، ويعلم تواتر الرواية بوجوه منهم، ليزداد من وقف عليه من المؤمنين إيماناً وينتبه من خفي عليه ذلك حتى يصير كالشاهد له عياناً، ويصير للمتمسك بالسنة حجة وبرهاناً»[1].

ومن هؤلاء الأئمة أيضاً الحافظ الذهبي رحمه الله الذي ألف كتاباً سماه «العلو»[2] جمع فيه الأحاديث النبوية، وبلغت ستة وتسعين حديثاً، كلها تدل على علو الله تعالى وفوقيته على خلقه، وذكر في أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم والأئمة في أهل السنة والجماعة.

كما ألف أيضاً الإمام ابن قيم الجوزية كتاباً سماه «إجتماع الجيوش الإسلامية» لإثبات صفة العلو لله تعالى، وقد ذكر فيه أقوال الأئمة الذين أثبتوا هذه الصفة، وذكر أقوال المفسرين والمحدثين والفقهاء واللغويين، وغيرهم.

أما عن تفسير الاستواء الذي ورد في الآيات القرآنية، فقد فسره السلف الصالح بما يتفق مع مذهب الإثبات الذي يوصف به الرب تعالى. ففسروا الاستواء بأربعة معاني: العلو، والإرتفاع، والصعود، والاستقرار.

وقد صرح الإمام البخاري في صحيحه بإثبات العلو لله تعالى ونقل عن أبي العالية: ﴿**استوى إلى السماء**﴾ أي ارتفع.

وذكر عن مجاهد: استوى، بمعنى علا على العرش[3].

وروى اللالكائي بسنده عن بشر بن عمر قال: سمعت غير واحد من

---

(١) إثبات صفة العلو لابن قدامة (ص ٤١) تحقيق بدر بن عبدالله البدر نشر الدار السلفية.

(٢) اختصره وحققه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ١٣ ص ٤٠٣).

المفسرين يقولون: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ أي: ارتفع[1].

وقال ابن عبد البر: الاستواء: الاستقرار في العلو.
ونقل عن أبي عبيدة أنه قال: استوى بمعنى علا[2].

وقال البغوي رحمه الله: «﴿ثم استوى على العرش﴾ قال الكلبي، ومقاتل: استقر.

وقال أبو عبيدة: صعد...

وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء. وأما أهل السنة والجماعة فيقولون: الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف، يجب على العبد الإيمان به، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل»[3].

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله: أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله به، وأنزل به كلامه نوعان: مطلق ومقيد.

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف، مثل قوله تعالى: ﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾ [القصص: ١٤] وهذا معناه: كمل وتم، ويقال: استوى الزرع، واستوى الطعام.

أما المقيد فثلاثة أضرب:

أحدهما: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾.
واستوى فلان إلى السطح. وقد ذكر تبارك وتعالى هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء﴾ [البقرة: ٢٩].

---

(١) انظر شرح اعتقاد أصول أهل السنة للالكائي (ج ٢ ص ٣٩٧).
(٢) انظر التمهيد لابن عبد البر (ج ٧ ص ١٣١).
(٣) تفسير البغوي المسمّى «معالم التنزيل» (ج ٢ ص ١٦٤) دار المعرفة بيروت. ومراد البغوي رحمه الله من قوله «ويكل العلم فيه إلى الله تعالى» أي يكل العلم بكيفية الاستواء إلى الله. وأما معناه فهو في اللغة ظاهر ومعلوم، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

والثـاني في سـورة حمٓ السجـدة، قـولـه تعـالى: ﴿**ثم استـوى إلى السمـاء وهي دخان**﴾ [فصلت: ١١]. وهـذا بمعنى العلو والإرتفاع بإجماع السلف.

الثاني :مـقيـد بـعلى، كـقـولـه تعـالـى: ﴿**لتستـووا عـلى ظهـوره**﴾ [الزخرف: ١٣]، وقوله: ﴿**واستوت على الجودي**﴾ [هـود: ٤٤]، وقوله: ﴿**فاستوى على سـوقه**﴾ [الفتـح: ٢٩]. وهذا أيضـاً معناه، العلو والإرتفاع والاعتدال، بإجماع أهل اللغة.

الثالث :المقـرون بواو المعيـة، التي تعدي الفعـل إلى المفعول معـه نحو: استوى الماء والخشبة. بمعنى ساواها.

فهذه هي معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها استولى ألبتـة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنمـا قالـه متأخـرو النحاة، ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية[1].

وبهذا يتضح لنا أن السلف الصالح مجمعون على إثبـات علو الله تعالى واستوائه على عرشه استواء يليق بجلاله وعظمته، وأنه تعالى بائن من خلقه.

مذهب الأشعري في صفة العلو والاستواء:

لقـد ذهـب الأشعري رحمـه الله إلى ما ذهب إليـه السلف الصـالـح من إثبات علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه ونقـل إجماعهم على هـذا الإثبـات. فقال رحمـه الله في معرض ذكـره إجماعـات السلف على مسـائـل العقيدة:

«وأنه تعالى فوق سماواته دون أرضه، وقد دل على ذلك بقوله: ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**﴾ [الملك: ١٦].

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (ج ٢ ص ١٢٦).

وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠].

وقال: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ [طه: ٥].

وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر، لأنه عز وجل لم يزل مستولياً على كل شيء»[1].

وقد فصل معتقده في إثبات علو الله تعالى واستواءه على عرشه في آخر كتاب له وهو «الإبانة» فقد قال فيه: ـ

«إن قائل قال: ما تقولون في الاستواء؟

قيل له: نقول: إن الله عز وجل يستوي على عرشه كما قال: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ [فاطر: ١٠] ﴿بل رفعه الله إليه﴾ [النساء: ١٥٨]. ﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه﴾ [السجدة: ٥] وقال حكاية عن فرعون: ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السمٰوات فأطلع إلى إلٓه موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ [غافر: ٣٦ ـ ٣٧]. فكذب فرعون نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام في قوله: إن الله عز وجل فوق السماوات.

وقال عز وجل: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ [الملك: ١٦] فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: أأمنتم من في السماء، لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات وكلّ ما علا فهو سماء. فالعرش أعلى السماوات. ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض»[2].

وبعد أن ذكر الأشعري معتقده في صفة العلو والاستواء شرع بذكر

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري (ص ٢١٩).

(٢) الإبانة للأشعري (ص ٨٥ ـ ٨٦).

أقوال المبتدعة الذين حرفوا النصوص وأخذ يرد عليهم فقال: ـ

«وقد قال قائلون ـ من المعتزلة والجهمية والحرورية ـ إن قول الله عز وجل: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾ أنه استولى وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه ـ كما قال أهل الحق ـ وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة، فالله قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو عز وجل مستو على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواء يختص العرش دون الأشياء كلها»[1].

وبعد هذا بدأ يستعرض الأدلة النقلية من كتاب الله تعالى ومن سنة الرسول ﷺ والأدلة العقلية على إثبات علو الله تعالى واستوائه على عرشه، ويناقش المبتدعة بالحجج والبراهين التابعة للفطر السليمة والعقول المستقيمة.

وفي نهاية المطاف قال رحمه الله:

«وروت العلماء أن رجلاً أتى النبي ﷺ بجارية سوداء فقال: يا رسول الله: إني أريد أن أعتقها في كفارة، فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبي ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء. قال: «فمن أنا؟» قالت: أنت رسول الله.

فقال النبي ﷺ: «أعتقها فإنها مؤمنة»[2].

وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء»[3].

---

(١) الإبانة للأشعري، (ص ٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الإبانة للأشعري (ص ٩٣).

ومن خلال كلام الأشعري هذا يتبين لنا أنه رحمه الله موافق للسلف الصالح في إثبات علو الله تعالى واستوائه على عرشه فوق سماواته استواء يليق بجلاله وعظمته.

ومن خلال كلامه أيضاً تبين لنا أنه رفض تأويل الاستواء بالاستيلاء كما قالت به المعتزلة والجهمية، ورد عليهم وبيّن لهم بالأدلة النقلية والعقلية فساد وبطلان هذا التأويل.

مذهب الأشاعرة في صفة العلو والاستواء:

إن مذهب الأشاعرة في صفة العلو والاستواء خلاف مذهب السلف الصالح والأشعري رحمهم الله، وذلك أن الأشاعرة ذهبوا إلى نفي علو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه. وأولوا كل الآيات الدالة على علوه تعالى، كما أولوا أيضاً كل الأحاديث النبوية المثبتة لهذه الصفة الكريمة.

١ - نفوا علو الله تعالى، وأولوا الآيات الواردة في القرآن التي تنص على علوه تعالى بأن المراد منها: العلو بالقهر والتدبير وارتفاع الدرجة بالصفة[1].

وقال الرازي بعد أن ذكر الآيات التي تنص على إثبات علو الله تعالى: «والعلو في هذه المواضع بمعنى العلو بالقدرة لا بمعنى العلو بالجهة...»[2].

٢ - أوّلوا الآيات التي تنص على فوقية الله تعالى على عباده. وقالوا: إن الفوقية الواردة في الآيات، وأنه فوق السماء، إنما هي على معنى فوقية الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة[3].

---

(١) انظر مشكل الحديث وبيانه. لابن فورك (ص ١٩٣).
(٢) أساس التقديس للرازي (ص ١٦٠).
(٣) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص ١٩٥).

وقال بعضهم: «والمراد بالفوقية في هذه الآيات الفوقية بالقهر والقدرة. . .»[1].

يقول محمد بن محمد القدسي في إنكار فوقية الله تعالى: ـ
«الأصل السابع: أنه تعالى ليس مختصاً بجهة، أي ليست ذاته المقدسة في جهة من الجهات الست، ولا في مكان من الأمكنة، لأن الجهات الست هي: الفوق، والتحت، واليمين، والشمال، والأمام، والخلف، حادثة بإحداث الإنسان ونحوه. .»[2].

ويقول عضد الدين الإيجي أيضاً: «المقصد الأول: انه تعالى ليس في جهة ولا في مكان. وخالف فيه المشبهة وخصصوه بجهة الفوق»[3].

٣ ـ أولوا صفة الاستواء، وأنكروا أن يكون الله تعالى مستوياً على عرشه، كما أخبرنا.

وقالوا: إن معنى الاستواء: الاستيلاء والقهر ونفاذ القدر وجريان الأحكام الإلٓهية.

وقالوا: وهذا مستقيم على قانون اللغة قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

وتكون فائدة التخصيص بذكر العرش، التنبيه على أنه أعظم المخلوقات»[4].

٤ ـ وأولوا الآيات القرآنية التي تنص على الصعود إليه، وقالوا: إن معنى

---

(١) أساس التقديس للرازي (ص ١٥٨).
(٢) المسامرة بشرح المسايرة. لمحمد بن محمد القدسي، (ص ٣٠).
(٣) المواقف للإيجي (ص ٢٧٠). وانظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري (ص ٥٧). ويقصد الإيجي بالمشبهة «أهل السنة والجماعة» الذين أثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ مع اعتقاد التنزيه التام لصفات الله تعالى وعدم مشابهته لخلقه لا في صفاته ولا في ذاته.
(٤) انظر غاية المرام للآمدي (ص ١٤١) وأساس التقديس للرازي (ص ١٥٦).

صعود الكلام الطيب إليه: قبوله له ووقوعه عنده موقع الجزاء والثواب[1].

٥ - وأوّلوا أيضاً الآيات التي تصرح برفعه تعالى بعض خلقه إليه، وقالوا: «وأما قوله تعالى في قصة عيسى ﴿بل رفعه الله إليه﴾ فمعناه: رفعه إلى الموضع الذي لا يعبد فيه إلا الله ولا يذكر فيه غيره...»[2].

٦ - وأولوا حديث الجارية التي قال لها الرسول ﷺ: أين الله؟ فقالت بلسانها: في السماء.

فشهد لها النبي ﷺ بالإيمان، لأنها أقرت بالفطرة التي أودعها الله تعالى فيها وهي ثبوت علو الله تعالى على خلقه وأنه فوق سماواته مستو على عرشه. لكن الأشاعرة أولوا هذا الحديث، واتهموا هذه الجارية بأنها كانت خرساء لا تتكلم، مع أن الحديث ينص على أنها كانت تتكلم.

قال ابن فورك في تأويل هذا الحديث: -

«معنى قوله ﷺ «أين الله؟» استعلام لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها، وأشارت إلى السماء ودلت بإشارتها على أنه في السماء عندها، على قول القائل إذا أراد أن يخبر عن رفعة وعلو منزلة: فلان في السماء، أي هو رفيع الشأن عظيم المقدار، كذلك قولها في السماء على طريق الإشارة إليها تنبيهاً على محله تعالى في قلبها ومعرفتها به، وإنما أشارت إلى السماء لأنها كانت خرساء...»[3]. وحينما ينهج الأشاعرة هذا المنهج في تأويل الاستواء وإنكار علو الله تعالى، إنما يوافقون بذلك المعتزلة الذين أنكروا من قبلهم علو الله تعالى، وأولوا الآيات والأحاديث الواردة في إثبات العلو والاستواء، حيث قالوا: إن معنى الاستواء: الاستيلاء، وتخصيص العرش بالذكر، لأنه أعظم المخلوقات[4].

---

(١) انظر مشكل الحديث لابن فورك (ص ١٩٥).

(٢) المصدر السابق، (ص ١٩٦).

(٣) مشكل الحديث لابن فورك (ص ٦١).

(٤) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي (ص ٢٢٧). وانظر متشابه القرآن للقاضي أيضاً (ج ١ ص ٧٣).

وبهـذا يتضح أن تـأويلات المعتـزلة والأشـاعرة إنمـا تخرج من مشكـاة واحدة.

والـذي ينبغي أن يُعلم أن لفظ الجهة لم يـرد النص بإثبـاته ولا بنفيـه، وإنمـا ورد إثبات العلو والاستـواء والفوقيـة والعـروج إليـه ونحـو ذلـك. والجهة قد تطلق ويُراد بها أمر موجود، وأمر معدوم.

يقول ابن تيمية رحمه الله: «... فلفظ الجهة قد يراد بـه شيء موجـود غيـر الله فيكون مخلوقـاً، كمـا إذا أريـد بـالجهـة نفس العـرش أو نفس السماوات، وقد يُراد به مـا ليس بموجـود غير الله تعـالى، كما إذا أريـد بالجهة ما فوق العالم.

ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ الجهـة ولا نفيه، كمـا فيه إثبـات العلو والاستواء والفوقيـة والعروج إليـه ونحو ذلـك، وقد عُلم أن مـا ثم مـوجـود إلا الخـالق والمخلوق، والخـالق مبـاين للمخلوق ـ سبحـانـه وتعـالى ـ ليس في مخلوقـاتـه شيء من ذاتـه، ولا في ذاتـه شيء من مخلوقاته.

فيقال لمن نفىٰ الجهة: أتريد بالجهـة أنها شيء مـوجود مخلوق؟ فـالله ليس داخلاً في المخلوقات. أم تريد بـالجهة مـا وراء العالم؟ فـلا ريب أن الله فوق العالم مباين للمخلوقات»[1].

فإذا أريد بالجهة الأمر الوجودي فهذا باطل فإن الله تعالى ليس حالاً في شيء من مخلوقاته.

وإذا أُريد بالجهة الأمر المعدوم وما وراء العالم ومباينة الخالق للمخلوق فهذا حق، فإثبات جهة لله تعالى بمعنى أنه فوق العالم على عرشه بائن من خلقه. فهذا واجب شرعاً[2].

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص ٤٥)، وانظر بيان تلبيس الجهمية (ج ١ ص ٥٢٠).

(٢) أنظر مناهج الأدلة لابن رشد، تحقيق د. محمود قاسم، مكتبة الانجلو المصرية.

وانـظر قـطف الثمـر في بيـان عقيـدة أهـل الأثـر، للعـلامـة صـديق حسن خـان، تحقيق =

وأما تأويلهم الاستواء بالاستيلاء فهذا باطل لأنه يلزم منه أن يكون لله مغالب، والحق أن الله لا يغالبه أحد.

وقد رد الإمام ابن الأعرابي[1] وهو من أئمة اللغة هذا التأويل الفاسد.

فقد روى اللالكائي بسنده إلى أبي سليمان بن داود بن علي قال: كنا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿**الرحمٰن على العرش استوى**﴾، فقال: هو على عرشه كما أخبر عز وجل. فقال: يا أبا عبدالله ليس هذا معناه، وإنما معناه: استولى.

قال: أسكت ما أنت وهذا، لا يقال: استولى على الشيء إلا أن يكون له مضاد فإذا غلب أحدهما قيل: استولى أما سمعت النابغة:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه   سبق الجواد إذا استولى على الأسد[2]

أما عن بيت الشعر الذي استدلوا به على أن معنى الاستواء الاستيلاء يقول ابن تيمية رحمه الله فيه: -

«إنه لم يثبت أن لفظ استوى في اللغة بمعنى استولى، إذ الذين قالوا ذلك عمدتهم البيت المشهور: ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق. ولم يثبت نقل صحيح أنه شعر عربي، وكان غير واحد من أئمة اللغة أنكروه وقالوا: إنه بيت مصنوع لا يعرف في اللغة، وقد علم أنه لو احتج بحديث رسول الله ﷺ لاحتاج إلى صحته، فكيف ببيت من الشعر لا يعرف إسناده؟! وقد طعن فيه أئمة اللغة، وذكر عن الخليل[3] كما ذكره أبو المظفر في كتابه «الإفصاح» قال: سئل الخليل

= د. عاصم بن عبدالله، ط أولى سنة ١٤٠٤هـ.

(١) أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي الهاشمي مولاهم: إمام اللغة، وانتهت إليه الرئاسة في زمانه بالحفظ وعلم اللغة. وكان صاحب سنة واتباع. (ت ٢٣١هـ). سير أعلام النبلاء (١٠ : ٦٨٧)، شذرات الذهب (٢ : ٧٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (ج ٢ ص ٣٩٩)، وانظر التمهيد لابن عبد البر (ج ٧ ص ١٣١).

(٣) هو: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري الإمام صاحب العربية ومنشىء علم

هل وجدت في اللغة استوى بمعنى استولى؟ فقال: هذا ما لا تعرفه العرب، ولا هو جائز في لغتها. وهو إمام في اللغة، على ما عرف من حاله، فحينئذ حَمْلُه على ما لا يُعْرَفْ حَمْلٌ باطل»[1].

وبهذا سقط استدلالهم بهذا البيت على تأويل صفة الاستواء بالاستيلاء، ولما ترتب على هذا التأويل من لوازم فاسدة لا تجوز في حق الله تعالى.

والنتيجة التي تظهر لنا واضحة مما سبق ذكره هي ما يلي:

١ - أن الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية كلها تشهد على إثبات علو الله تعالى وفوقيته على خلقه واستوائه على عرشه، وكذلك تشهد بهذا الفطر السليمة والعقول المستقيمة والقلوب الصحيحة.

٢ - أن السلف الصالح أثبتوا لله تعالى ما أثبته لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ من العلو والفوقية والاستواء على العرش حقيقة، مع الإيمان التام بأن الله تعالى بائن من خلقه.

٣ - أن الأشعري رحمه الله وافق السلف الصالح على ما ذهبوا إليه من إثبات العلو والاستواء لله تعالى، وقال بقولهم واعتقد معتقدهم.

كما رد على الجهمية والمعتزلة الذين نفوا علو الله تعالى واستواءه على عرشه، وبين فساد مذهبهم وبطلان طريقتهم بالأدلة النقلية والعقلية.

٤ - إن جمهور الأشاعرة ذهبوا إلى نفي علو الله تعالى وتأويل كل ما دل على هذا العلو من الاستواء والفوقية، مخالفين بذلك السلف الصالح والإمام

العروض كان رأساً في لسان العرب دَيِّناً وَرِعاً قانعاً متواضعاً. (ت ١٧٠هـ). سير أعلام النبلاء (٧: ٤٢٩)، شذرات الذهب (١: ٢٧٥).

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٥ ص ١٤٦)، وقد جمع ابن تيمية رحمه الله ستة عشر وجهاً لإبطال تأويل الأشاعرة هذا. انظر المصدر السابق (ج ٥ ص ١٤٤). وكذلك فعل تلميذه البار ابن قيم الجوزية حيث جمع اثنين وأربعين وجهاً لإبطال هذا التأويل الفاسد. انظر مختصر الصواعق (ج ٢ ص ١٢٦).

الأشعري الذي يدعون أنهم ينتسبون إليه. وموافقين بذلك المعتزلة الذين أنكروا علو الله تعالى وتأولوا فوقيته على خلقه واستواءه على عرشه.

٥ - إن مذهب الأشعري مخالف تماماً لمذهب الأشاعرة الذين خالفوه ونهجوا سبيلاً غير السبيل الذي نهجه رحمه الله، فيُعلم بهذا أن الانتساب لهذا الإمام في غير محله.

٦ - إن المذهب الحق والطريق الصادق في هذه المسألة هو مذهب السلف الصالح القائم على إثبات هذه الصفة الكريمة حقيقة لله تعالى على ما يليق بجلاله تعالى وعظمته.

الفصل الثاني

مذهب الأشعري في صفة الإتيان والمجيء والنزول ومخالفة الأشاعرة له



صفة الإتيان والمجيء والنزول

صفة الإتيان والمجيء والنزول، من الصفات الفعلية الخبرية الثابتة لله تعالى حقيقة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى وعظمته.

قال تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام**﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقال تعالى: ﴿**هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾ [الفجر: ٢٢].

ووردت صفة الإتيان لله تبارك وتعالى في حديث رؤية الله تعالى في الآخرة، الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، والذي جاء فيه قوله ﷺ: -

«... فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه...»[1].

وفي رواية أخرى لأبي سعيد الخدري رضي الله عنه، يقول النبي ﷺ:

---

(١) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾ (ج ١٣ ص ٤١٩ فتح الباري رقم ٧٤٣٧).

(. . . فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة. . .)[1].

ووردت صفة النزول لله تبارك وتعالى في الحديث المتواتر المشهور الذي رواه جمع كثير من الصحابة.

منهم أبو هريرة رضي الله عنهم الذي قال: قال رسول الله ﷺ:

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»[2].

---

(١) البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة﴾ (ج ١٣ ص ٤١٠ فتح الباري رقم ٧٤٣٩).

(٢) البخاري في التهجد، باب الصلاة والدعاء من آخر الليل (ج ٣ ص ٢٩، فتح الباري رقم ١١٤٥).

وفي الدعوات، باب الدعاء نصف الليل (ج ١١ ص ١٢٨ فتح الباري رقم ٦٣٢١).

وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾، (ج ١٣ ص ٤٦٤ فتح الباري رقم ٤٧٩٤).

ومسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، (ج ١ ص ٥٢١ رقم ٧٥٨).

وأبو داود في الصلاة، باب أي الليل أفضل (ج ٢ ص ٧٦ رقم ١٣١٥). وفي السنة، باب في الرد على الجهمية (ج ٥ ص ١٠١ رقم ٤٧٣٣).

وابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل (ج ١ ص ٤٣٥ رقم ١٣٦٦). وأحمد في المسند (ج ٢ ص ٢٦٤). وابن خزيمة في كتاب التوحيد (ص ١٢٧). وابن أبي عاصم في السنة (ج ١ ص ١٢٨ رقم ٤٩٥).

وهذا الحديث رواه جمع من الصحابة غير أبي هريرة، أمثال: علي بن أبي طالب، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن مسعود، وأبي سعيد الخدري وغيرهم. وقد قام الإمام الجليل الحافظ الدارقطني بجمع كافة روايات الحديث وطرقه وأودعها كتاباً سماه «النزول» قام فضيلة الدكتور علي بن ناصر الفقيهي بتحقيقه، مع كتاب الصفات للدارقطني أيضاً.

وكذلك فعل الإمام اللالكائي في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» فقد جمع روايات الحديث وطرقه، وقال في الآخر: «ما روي عن النبي ﷺ في نزول الرب، رواه عن النبي عشرون نفساً» (انظر ج ٢ ص ٤٣٤).

وقال الذهبى رحمه الله فى بيان تواتر هذا الحديث:

فهذه الآيات والأحاديث تثبت لله تعالى صفة الإتيان والمجيء والنزول حقيقة.

مذهب السلف الصالح في صفة الإتيان والمجيء والنزول:

إن مذهب السلف الصالح رحمهم الله قائم على الإيمان التام والتسليم الكامل بكل الصفات التي وردت في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ.

ومن تلك الصفات، صفة الإتيان والمجيء لله تعالى يوم القيامة للفصل بين عباده. وصفة النزول إلى سماء الدنيا كل ليلة. إتياناً ومجيئاً ونزولاً حقيقياً يليق بجلاله تعالى وعظمته.

والسلف الصالح أجمعوا على إثبات هذه الصفات لله تعالى من غير تحريف ولا تمثيل ومن غير تكييف ولا تعطيل[1].

وقد سئل الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله عن حديث نزوله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة فقال رحمه الله: ينزل بلا كيف[2].

وقال حماد بن زيد[3] رحمه الله عن نزوله تعالى: ينزل نزولاً يليق بالربوبية بلا كيف، من غير أن يكون نزوله مثل نزول الخلق، بلا تشبيه ولا تعطيل سبحانه عما يقول المعطلة لصفاته والمشبهة بها، وتعالى علواً كبيراً[4].

= «وأحاديث نزول الباري متواترة، قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أسأل عنه يوم القيامة، فلا قوة إلا بالله العظيم». انظر مختصر العلو (ص ١١٠).

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة شرح الشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٢٩ - ٣٣).

(٢) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني (ص ٤٢) تحقيق بدر البدر. نشر الدار السلفية.

(٣) هو حماد بن زيد بن درهم، العلامة، الحافظ الثبت، محدث الوقت، أبو إسماعيل الأزدي البصري الضرير. أصله من سجستان، سُبِيَ جده درهم منها. وكان من أئمة الناس في زمانه، ومن أئمة السلف، ومن أتقى الحفاظ وأعدلهم. مات في سنة (١٧٩هـ). (سير أعلام النبلاء ٧: ٤٥٦)، (شذرات الذهب ١: ٢٩٢).

(٤) انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان الدين الألوسي (ص ٣٥٢)، نشر دار الكتب العلمية.

وقال الإمام إسحق بن راهويه[1] رحمه الله: دخلت يوماً على عبدالله بن طاهر فقال لي: يا أبا يعقوب تقول: إن الله تعالى ينزل كل ليلة؟ فقلت: أيها الأمير، إن الله تعالى بعث إلينا نبياً، نقل إلينا عنه أخباراً بها نحلل الدماء وبها نحرم، وبها تحلل الفروج، وبها تحرم، وبها تباح الأموال وبها تحرم، فإن صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك.

قال: فأمسك عبدالله[2].

وقال أيضاً رحمه الله: قال لي الأمير عبدالله بن طاهر: يا أبا يعقوب! هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله ﷺ: «ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا». كيف ينزل؟

قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف، وإنما ينزل بلا كيف[3].

ويقول أبو عمرو الطلمنكي مبيناً إثبات صفة الإتيان والمجيء والنزول، وإجماع السلف عليها:

وأجمعوا على أن الله تعالى يأتي يوم القيامة والملائكة صفاً صفاً لحساب الأمم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء، قال تعالى:

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة: ٢١٠].
وقال تعالى: **﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾** [الفجر: ٢٢].

وأجمعوا على أن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا على ما أتت به الآثار كيف شاء، لا يحدون في ذلك شيئاً[4].

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي أبو يعقوب المروزي أحد أئمة الإسلام، وكان محدثاً وفقيهاً وكان حافظاً قوي الذاكرة جالس الإمام أحمد وناظر الإمام الشافعي. مات في نيسابور ٢٣٨هـ. (سير أعلام النبلاء ١١: ٣٥٨، شذرات الذهب ٢: ١٧٩).

(٢) انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي (ص ٣٥٢).

(٣) انظر عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني، (ص ٢٨).

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٥ ص ٥٧٧).

ويقول إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله مبيناً مذهب السلف الصالح:

«باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام: رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي ﷺ، في نزول الرب جل وعلا إلى سماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل جلاله لم يترك، ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه..»[1].

وممن ذهب من السلف الصالح إلى إثبات صفة الإتيان والمجيء والنزول حقيقة لله تعالى على ما يليق بجلاله تعالى وعظمته:

الإمام عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله[2].

والإمام ابن أبي عاصم رحمه الله[3].

والإمام الآجري رحمه الله[4]، وغيرهم.

فالسلف الصالح يثبتون إتيان ومجيء الرب تبارك وتعالى للقضاء بين عباده يوم القيامة، ويثبتون نزوله تعالى إلى سماء الدنيا كل ليلة، كما أخبر رسول الله ﷺ.

ولم يعتقدوا تشبيهاً له بنعوت خلقه من إتيانهم ومجيئهم ونزولهم، ولم يبحثوا عن كيفية الإتيان والمجيء والنزول، إذ لا سبيل إليها بحال من الأحوال.

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (ص ١٢٥).

(٢) انظر رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد للدارمي (ص ٢٠).

(٣) انظر السنة لابن أبي عاصم (ج ١ ص ٢١٦).

(٤) انظر الشريعة للآجري (ص ٣٠٦).

وعلموا وتحققوا واعتقدوا أن صفات الله تعالى لا تشبه شيئاً من صفات الخلق، فكما أن له ذاتاً لا تشبه ذوات الخلق، فكذلك له صفات لا تشبه صفات الخلق.

والإيمان بهذه الصفات واجب على كل مسلم، يثبتها لله تعالى حقيقة بلا كيف، لأن هذه الصفات وردت إلينا عن طريق الثقاة الذين نقلوا إلينا أخبار الأحكام من الحلال والحرام، وأركان الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وكافة تعاليم الإسلام، فكما قبلنا منهم ذلك، كذلك نقبل منهم هذه الأخبار التي أثبتت صفات خالقنا جل وعلا، حقيقة على الكيفية اللائقة بذات الله تعالى، كما سبق من كلام الإمام إسحاق بن راهويه.

مذهب الأشعري في هذه الصفات:

لقد ذهب الأشعري رحمه الله إلى إثبات صفة الإتيان والمجيء والنزول لله تبارك وتعالى، إثباتاً حقيقياً من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وهو بهذا الإثبات يوافق سلف هذه الأمة، الذين أثبتوا هذه الصفات لله تعالى حقيقة على الوجه الذي يليق بجلاله تعالى وعظمته.

فقد ذكر رحمه الله إجماع السلف الصالح على إثبات صفة المجيء، فقال: «وأجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة، والملك صفاً صفاً، لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال»[1].

كما ذكر رحمه الله أيضاً إجماعهم على إثبات صفة النزول لله تعالى، فقال: «وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، كما روي عن النبي ﷺ»[2].

كما ذكر في كتابه «مقالات الإسلاميين» معتقد أهل السنة، وفيه أنهم

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر. للأشعري (ص ٢١٣).
(٢) المصدر السابق (ص ٢١٥).

يثبتون لله تعالى صفة المجيء، وأنه يجيء يوم القيامة كما أخبر، ويُثبتون له تعالى صفة النزول إلى سماء الدنيا، ويصدقون بالأحاديث الصحيحة التي جاءت عن رسول الله ﷺ.

وبعد أن ذكر معتقدهم، قال رحمه الله ليبين أنه على مذهبهم ومعتقدهم:

«فهذه جملة ما يأمرون به، ويستعملونه ويرونه.

وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين...»[1].

وبهذا الكلام الصريح الواضح البين يتضح لنا أن الأشعري رحمه الله يتفق مع السلف، فيقول بقولهم، ويعتقد اعتقادهم في صفات الله تعالى، ويوافقهم في كل ذلك موافقة تامة، في كل ما يذهبون إليه في هذا الباب قولاً واعتقاداً.

وقد بين رحمه الله معتقده وتمسكه بمذهب السلف الصالح، وموافقته لهم في جميع مسائل الدين في آخر كتاب ألفه رحمه الله وهو «الإبانة».

فقد نص فيه على إثبات الصفات لله تعالى حقيقة كما جاءت بذلك النصوص.

وبين رحمه الله أنه من الذين يُثبتون صفة النزول لله تعالى كما أخبر بذلك الرسول ﷺ وصدقه المؤمنون، ويخالف كل من خالفهم من أهل الزيغ والتضليل.

قال رحمه الله: «ونصدق بجميع الروايات التي يُثبتها أهل النقل من النزول إلى السماء الدنيا: «وأن الربَّ عز وجل يقول: هل من سائل، هل من مستغفر؟»[2].

---

(١) مقالات الإسلاميين للأشعري (ج ١ ص ٣٤٥).

(٢) تقدم تخريجه.

وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قاله أهل الزيغ والتضليل[1].

وقال رحمه الله أيضاً مثبتاً لله تعالى صفة المجيء: ـ

«ونقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة كما قال: **﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾** [الفجر: ٢٢][2].

وبما ذكرنا عن الإمام الأشعري يتبين لنا أنه موافق للسلف الصالح في إثبات صفة الإتيان والمجيء لله تعالى، وإثبات صفة النزول، إتياناً ومجيئاً ونزولاً حقيقة، يليق بجلال الله تعالى وعظمته.

مذهب الأشاعرة في صفة الإتيان والمجيء والنزول:

ذهب الأشاعرة كعادتهم إلى تأويل هذه الصفات، وإخراجها عن ظاهرها، وتكلفوا فيها تكلفاً ظاهراً، يتضح ذلك من تأويلاتهم لهذه الصفات.

فقالوا: إن المراد من الإتيان والمجيء الوارد في قول الله تعالى: **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾** [البقرة: ٢١٠]. وقوله: **﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾** [الفجر: ٢٢].

المراد بالإتيان: إما إتيان آيات الله. وإما إتيان أمر الله.

والمراد بالمجيء: إما مجيء أمر الله وقضائه الفصل وحكمه العدل. وإما مجيء قهر الله. وإما مجيء عذاب الله. وإما مجيء ظهور معرفة الله تعالى.

ويوضح لنا الرازي مذهب الأشاعرة مبيناً المراد من الإتيان والمجيء، فيقول:

«المراد هل ينظرون إلا أن تأتيهم آيات الله، فجعل مجيء آيات الله مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات، كما يقال: جاء الملك إذا جاء جيش عظيم من جهته.

(١) الإبانة للأشعري (ص ٢٥).

(٢) الإبانة للأشعري (ص ٢٦).

أو يكون المراد: هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله...
أما قوله: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾. إما وجاء أمر ربك.

أو جاء قهر ربك، كما يقال: جاءنا الملك القاهر إذا جاء عسكره. أو جاء ظهور معرفة الله تعالى بالضرورة في ذلك اليوم، فصار ذلك جارياً مجرى مجيئه وظهوره»[1].

وأما صفة نزول الباري جل وعلا إلى سماء الدنيا، فقد تناولوها بالتأويل أيضاً.

يقول ابن فورك في تأويل صفة نزول الله تعالى إلى سماء الدنيا: «إما أن يراد به إقباله على أهل الأرض بالرحمة والاستعطاف، بالتذكير والتنبيه الذي يلقى في قلوب أهل الخير منهم، من أسعده بتوفيقه لطاعته.

ويحتمل أن يكون ذلك فعلاً يظهره بأمره فيضاف إليه، كما يقال: ضرب الأمير اللص، ونادى الأمير في البلد اليوم، وإنما أمر بذلك، فيضاف إليه على معنى أنه عن أمره ظهر وبأمره حصل، إذا كان ذلك محتملاً في اللغة لم ينكر أن يكون لله عز وجل ملائكة يأمرهم بالنزول إلى السماء الدنيا بهذا النداء والدعاء»[2].

فالنزول عندهم: إما أن يكون نزول الرحمة، أو نزول الملائكة. وإذا نزلت الملائكة فإنه يأمرها أن تنادي بذلك الدعاء[3].

والأشاعرة بهذه التأويلات لهذه الصفات الكريمة الثابتة لله تعالى يوافقون المعتزلة الذين سبقوهم إلى تأويل هذه الصفات.

فالمريسي المعتزلي ذهب إلى تأويل قوله تعالى: ﴿وجاء ربك﴾ بأن المراد منه: وجاء أمر ربك.

---

(١) أساس التقديس (ص ١٠٣ ـ١٠٧) وانظر الإرشاد للجويني (ص ١٥٦)، وتحفة المريد للبيجوري (ص ٥٨).
(٢) مشكل الحديث لابن فورك (ص ٧٩).
(٣) انظر الإرشاد للجويني (ص ١٦١)، وأساس التقديس للرازي (ص ١١٠).

كما أَوَّلَ أيضاً صفة النزول بأن المراد منها: نزول أمره، أو رحمته. ولكن هذه التأويلات المريسية تصدى لها الإمام الدارمي ورد عليها[1].

والزمخشري وهو من كبار المعتزلة، أَوَّلَ قوله تعالى: **﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾**. قال: إتيان الله: إتيان أمره وبأسه[2].

ويُرى من هذه التأويلات لهذه الصفات، أن الأشاعرة والمعتزلة متفقان على إخراجها عن ظاهرها وعدم إثباتها لله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«والصواب: أن جميع هذه التأويلات مبتدعة، ولم يقل أحد من الصحابة شيئاً منها، ولا أحد من التابعين لهم بإحسان، وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث، أحمد بن حنبل، وغيره من أئمة السنة»[3].

وقول الأشاعرة أن المراد بالنزول هو: نزول الملائكة أو الرحمة أو الأمر باطل، وذلك لأن الأمر والرحمة، إما أن يراد بها أعيان قائمة بنفسها كالملائكة، وإما أن يراد بها صفات وأعراض.

فإن أريد الملائكة، فإنها تنزل إلى الأرض في كل وقت، وليس إلى سماء الدنيا، أو في ثلث الليل الآخر، والملائكة لا يختص نزولهم لا بهذا المكان ولا بهذا الزمان.

وإن أريد صفات وأعراض مثل الذي يحصل في قلوب العابدين في وقت السحر من الرقة والتضرع وحلاوة العبادة ونحو ذلك، فهذا حاصل في الأرض ليس منتهاه إلى السماء الدنيا.

وورد في الحديث أنه قال: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني

---

(١) انظر رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد (ص ٢٠)، و(ص ١٤٨). وانظر أيضاً عن تأويلاتِ المعتزلة: شرح الأصول الخمسة (ص ٢٢٩) ومتشابه القرآن للقاضي عبدالجبار (ج ١ ص ١٢١).

(٢) انظر الكشاف للزمخشري (ج ١ ص ٣٥٣).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٥ ص ٤٠٩).

فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ ومن المعلوم أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل سؤله إلا الله تعالى، وأمره ورحمته وملائكته لا تفعل شيئاً من ذلك[1].

ومن خلال ما ذكرنا يتضح لنا ما يلي:

١ - أن الآيات والأحاديث النبوية تدل على إثبات صفة الإتيان والمجيء والنزول لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به تعالى.

٢ - أن السلف الصالح أثبتوا لله تعالى هذه الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه وأثبتها له نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وآمنوا بهذه الصفات وقالوا: نثبتها لله تعالى حقيقة كما يليق بالله تعالى، ولا نقول: كيف.

والقول في الصفات كالقول في الذات، فكما أن لله تعالى ذاتاً لا تشبهها ذوات المخلوقين، فكذلك له صفات لا تشبهها صفات المخلوقين، ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

٣ - أن الأشعري رحمه الله سار على منهج السلف الصالح، ووافقهم في إثبات ما أثبتوه لله تعالى من غير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل، وخالف المبتدعة الذين حرفوا النصوص عن مواضعها وأخرجوها عن ظاهرها، ورد عليهم.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (ج ٥ ص ٤١٥).
ونظراً لما فعله المؤولة تجاه حديث النزول، حيث تناولوه بالتأويل والتحريف، فقد قام الإمام ابن تيمية رحمه الله بتأليف كتاب سماه «شرح حديث النزول» ذكر فيه أقوال السلف ومن تبعهم في إثبات صفة النزول لله تعالى، وذكر أقوال المؤولة ورد عليها وفندها بأوجه عديدة. انظر مجموع الفتاوى (ج ٥ ص ٣٢١). وكذلك فعل تلميذه البار ابن القيم رحمه الله حيث ذكر هذه المسألة، وجمع أوجهاً عديدة للرد على الأشاعرة وغيرهم. انظر مختصر الصواعق (ج ٢ ص ١٠٦).

٤ ـ أن الأشاعرة ذهبوا إلى تأويل وتحريف هذه الصفات، وخالفوا السلف الصالح وخالفوا الأشعري الذي ينتسبون إليه، ووافقوا المعتزلة التي كانت هي الأسبق في تأويل هذه الصفات وتحريفها وعدم إثباتها لله تعالى كما يليق بجلاله تعالى وعظمته.

* * * *

الفصل الثالث
مذهب الأشعري في صفة الرضى والغضب
ومخالفة الأشاعرة له



صفة الرضى والغضب

صفة الرضى والغضب من الصفات الفعلية الخبرية الثابتة لله تعالى حقيقة، كما يليق بجلاله تعالى وعظمته.

وهاتان الصفتان ثابتتان لله تعالى بالكتاب والسنة.

أما الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم**﴾ [المائدة: ١١٩].

وقوله تعالى: ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه**﴾ [البينة: ٨].

وقوله تعالى: ﴿**وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيما**﴾ [النساء: ٩٣].

وقوله تعالى: ﴿**ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم**﴾ [المجادلة: ١٤].

وأما السنة النبوية فمنها:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله لما قضى الخلق كتب كتاباً عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي»[١].

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخصم»[٢].

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٢٢١.

(٢) البخاري في التفسير، باب وهو ألد الخصام (ج ٨ ص ١٨٨ فتح الباري رقم ٤٥٢٣).

- عن ابي هريرة رضي الله عنه ـ في الحديث الطويل الذي رواه في شفاعة سيدنا محمد ﷺ، والذي جاء فيه قوله ﷺ على لسان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى.

«. . . إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. . .»[1].

٤ - وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، ومن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله»[2].

٥ - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»[3].

٦ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[4].

---

(١) البخاري في التفسير، باب (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) (ج ٨ ص ٣٩٥ فتح الباري).
مسلم في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (ج ١ ص ١٨٤)، رقم (١٩٤، رقم ٤٧١٢).

(٢) البخاري في مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان (ج ٧ ص ١١٣، فتح الباري رقم ٣٧٨٣).
ومسلم في الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان (ج ١ ص ٨٥ رقم ٧٥).

(٣) البخاري في خلق أفعال العباد، (ص ١٤٣).
وأبو داود في الطب، باب كيف الرقى (ج ٤ ص ٢١٨ رقم ٣٨٩٣).
والترمذي في الدعوات (ج ٥، ص ٥٤١ رقم ٣٥٢٨). وأحمد في المسند (ج ٢ ص ١٨١).
وقال الألباني عنه: حسن لغيره، كما في تخريج الكلم الطيب، (ص ٤٢). طبع المكتب الإسلامي.

(٤) مسلم في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (ج ١، ص ٣٥٢ رقم ٤٨٦).

٧ ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»[1].

فهذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل دلالة واضحة على إثبات صفتي الرضى والغضب لله تعالى حقيقة، وهما من صفاته تعالى الفعلية التي تليق بجلاله وعظمته.

مذهب السلف الصالح في إثبات صفتي الرضى والغضب:

أثبت السلف الصالح لله تعالى صفتي الرضى والغضب حقيقة على ما يليق بجلاله تعالى وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف، مع الإيمان بكل ما وصف الله تعالى به نفسه في آياته وتنزيله أو على لسان نبيه ﷺ من غير زيادة عليها ولا نقص منها، ولا تجاوز لها، ولا تفسير لها، ولا تأويل لها، ولا تشبيه بصفات المخلوقين وسمات المحدثين، بل على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته.

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: «والله يغضب ويرضى، لا كأحد من الورى»[2].

قال الإمام أبو عثمان الصابوني في بيان مذهب السلف في الصفات: «وكذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن، ووردت بها الأخبار الصحاح من: السمع، والبصر، والعين، والوجه، والعلم، والقوة،

= وأبو داود في الصلاة، باب الدعاء في الركوع والسجود (ج ١ ص ٥٤٧ رقم ٨٧٩). والترمذي، في الدعوات، باب رقم (٧٦) (ج ٥ ص ٥٢٤ رقم ٣٤٩٣).
والنسائي في السنن (ج ٢، ص ٢٢٢). وابن ماجه في الدعاء، باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ (ج ٢ ص ١٢٦٢ رقم ٣٨٤١). وأحمد في المسند (ج ٦ ص ٥٨).

(١) مسلم في الذكر، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب (ج ٤ ص ٢٠٩٥ رقم ٢٧٣٤).
والترمذي في الأطعمة، باب ما جاء في الحمد على الطعام بعد الفراغ منه (ج ٤ ص ٢٦٥ رقم ١٨١٦). وأحمد في المسند (ج ٣ ص ١٠٠).

(٢) شرح الطحاوية، (ص ٥٢٤).

والقدرة، والعزة، والعظمة، والإرادة، والمشيئة، والقول، والكلام، والرضا، والسخط، والحياة، والفرح، والضحك، وغيرها، من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله تعالى وقاله رسوله ﷺ، من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه ولا تكييف له ولا تشبيه ولا تحريف ولا تبديل ولا تغيير ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويل منكر، ويجرونه على الظاهر، ويكلون علمه إلى الله تعالى[1]، ويقرون بأن تأويله لا يعلمه إلا الله كما أخبر عن الراسخين في العلم أنهم يقولون في قوله تعالى: ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب**﴾ [آل عمران: ٧][2].

فالسلف يثبتون لله تعالى صفتي الرضى والغضب كما أخبر تعالى، وكما جاءت الأحاديث الصحيحة مصرحة بهذا الإثبات، مع اعتقاد أن الله تعالى لا تشبه صفاته صفات أحد من خلقه، فكما أن ذاته المقدسة لا تشبه ذات المخلوق، فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوق.

يقول ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:

«ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة والولاية والحب والبغض ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى.

كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات... وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه وإن كان لا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه ويبغضه ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاءه وأراده»[3].

---

(١) يريد أن علم الكيفية بهذه الصفات موكول إلى الله تعالى، لأنه من العلم الذي استأثر الله تعالى به، وأما معناه فمعلوم ظاهر، كما قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم والكيف مجهول» وكما قال الإمام أحمد وغيره من السلف: «إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله عن نفسه، وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه».

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (ص ٥) تحقيق بدر البدر، نشر الدار السلفية.

(٣) شرح الطحاوية. لابن أبي العز الحنفي (ص ٥٢٤ ـ ٥٢٥).

وقد أجمع السلف الصالح على إثبات صفتي الرضى والغضب لله تعالى حقيقة، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل[1].

فيجب إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، وما أثبته له نبيه ﷺ، مع التسليم التام والانقياد الكامل لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

مذهب الأشعري في صفتي الرضى والغضب:

لقد ذهب الأشعري رحمه الله إلى ما ذهب إليه السلف الصالح من إثبات صفتي الرضى والغضب لله تعالى حقيقة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى وعظمته.

فقد قال رحمه الله في آخر كتابٍ له وهو «الإبانة» في معرض إثباته لصفتي الرضى والغضب:

«. . . . وإذا كنا متى أثبتناه غاضباً على الكافرين فلا بد من إثبات غضب، وكذلك إذا أثبتناه راضياً عن المؤمنين فلا بد من إثبات رضى، وكذلك إذا أثبتناه حياً سميعاً بصيراً فلا بد من إثبات حياة وسمع وبصر. . .»[2].

من هذا النص يؤخذ إثبات الأشعري لصفتي الرضى والغضب لله تعالى كما أثبت صفة الحياة والسمع والبصر. . .

والأشعري يثبت كل الصفات التي أثبتها الله تعالى لنفسه، والتي أثبتها له نبيه ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل. سائراً رحمه الله على منوال السلف الصالح، وسالكاً طريقتهم في إثبات الصفات لله تعالى. وقد ذكر ما يدلل على إثباته للصفات، وعلى أنه معتقد بكل ما يعتقده السلف الصالح، وقائل بكل ما يقولون، ذكر ذلك في كتابه «رسالة إلى أهل الثغر»، فقد ذكر فيه

---

(١) انظر شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة للشيخ محمد الصالح العثيمين (ص ٣٠).

(٢) الإبانة للأشعري، (ص ١١٣).

إجماع السلف على وصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به نبيه ﷺ، فقال:

«وأجمعوا على وصف الله تعالى بجميع ما وصف به نفسه، ووصفه به نبيه ﷺ، من غير اعتراض فيه ولا تكييف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم»[1].

والأشعري حينما يذكر هذا النص يدلل به على أنه سائر على طريقة السلف فيما أثبتوه لله تعالى من الصفات التي وصف الله بها نفسه ووصفه بها نبيه ﷺ من غير تأويل ولا تحريف.

مذهب الأشاعرة في صفتي الرضى والغضب:

لقد ذهب الأشاعرة إلى تأويل صفتي الرضى والغضب، مخالفين بذلك السلف الصالح ومن ينتسبون إليه ـ على حد زعمهم ـ.

وأولوا صفة الرضى إلى أن المراد منها: إرادة الثواب والانعام. كما أولوا صفة الغضب إلى أن المراد منها: إرادة العقاب والانتقام.

يقول ابن فورك في تأويل صفتي الرضى والغضب:
«فأما وصفه بالغضب فقد ورد به الكتاب، ومعناه إرادة العقوبة لأهلها ومن علم أنه يعاقب عليها.

وكذلك نقول في الرضى: أنه إرادة التنعيم والتفضيل لمن علم أنه أهل لذلك، وذلك من صفات الذات، لأن تأويله يرجع إلى الإرادة، وإرادة الله تعالى من صفات ذاته»[2].

فابن فورك يرى أن صفتي الرضى والغضب من صفات الذات لأنهما يرجعان إلى الإرادة، والإرادة صفة من صفات الله تعالى الذاتية.

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر للأشعري (ص ٢٢٤).
(٢) مشكل الحديث لابن فورك (ص ٢٥٩).

ومن الأشاعرة من يؤول صفة الرضى إلى أن معناها: قبول الأعمال والإثابة عليها، فيقول:

«معنى رَضِيَ الله: «أي قبل أعمالهم وأثابهم عليها، وأعطاهم ما لم يعط أحداً من خلقه»[1].

وقال أيضاً: «ورضا الله على عبده بمعنى: توفيقه لخدمته في الدنيا وإدخاله جنته في الآخرة»[2].

أما الغضب فقد فسره بمعنى: الانتقام إلى الأبد[3].

وربما جعله بمعنى الطرد والابعاد، على اعتبار أنه مرادف لما يستحقه الكفار من لعنة الله[4].

وهذه التأويلات التي قالها الأشاعرة، أخرجت صفتي الرضى والغضب عن ظاهرهما الثابت لله تعالى واللائق به.

وابن تيمية رحمه الله يناقش الأشاعرة في تأويلهم لهذه الصفات فيقول: «القول في بعض الصفات كالقول في بعض. فإن كان المخاطب ممن يقول: بأن الله حي بحياة، وعليم بعلم، قدير بقدرة، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، مريد بإرادة، ويجعل ذلك كله حقيقة، وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته، ويجعل ذلك مجازاً، ويفسره إما بالإرادة، وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات.

فيقال له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته، بل القول في أحدهما كالقول في الآخر.

فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين، فكذلك محبته ورضاه،

---

(١) حاشية الصاوي على الجلالين، للشيخ أحمد الصاوي (ج ٢ ص ١٦٥) دار إحياء التراث العربي.
(٢) حاشية الصاوي على الجلالين، (ج ١ ص ٣١٧).
(٣) المصدر السابق، (ج ١ ص ٢٩٢).
(٤) المصدر السابق، (ج ١ ص ٢٣٨).

وغضبه، وهذا هو التمثيل.

وإن قلت: إن له إرادة تليق به كما أن للمخلوق إرادة تليق به. قيل لك: وكذلك له محبة تليق به، وللمخلوق محبة تليق به، وله رضا وغضب يليق به، وللمخلوق رضى وغضب يليق به...»[1].

فصفات الله تعالى لا تشبه صفات المخلوقين، فصفاته تعالى تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، والله تعالى لا يماثله شيء لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في ذاته. **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾** [الشورىٰ: ١١].

ويقال للأشاعرة أيضاً: أن تفسير الرضى بالثواب باطل، لأن الثواب من الأعمال المخلوقة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه استعاذ بصفة رضى الله تعالى، وما كان للنبي ﷺ أن يستعيذ بمخلوق أبداً.

قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[2].

وبهذا بطل تأويلهم لصفة الرضى بأن المراد منها الثواب والانعام.

وأما قولهم: إن المراد من الغضب هو إرادة العقاب، أو الانتقام إلى الأبد، باطل أيضاً.

وذلك أن الله تعالى، قد فرق بين صفة الغضب التي يتصف بها، وبين عقابه على الكافرين وذلك بقوله: **﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾** [النساء: ٩٣]. وقال تعالى: **﴿ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا﴾** [الفتح: ٦].

---

(١) الرسالة التدمرية لابن تيمية (ص ٢١).   (٢) تقدم تخريجه.

فالله تعالى قد فرق بين صفة الغضب وبين عقابه الذي أعده لهؤلاء الكفار من الطرد والإبعاد عن رحمته، وأن مصيرهم إلى جهنم وبئس القرار.

وكذلك قوله تعالى: ﴿**فلما آسفونا انتقمنا منهم**﴾ [الزخرف: ٥٥]. أي فلما أغضبونا انتقمنا منهم.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره أن ابن عباس وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم من السلف، قد ذهبوا إلى أن قوله تعالى: ﴿**فلما آسفونا**﴾ بمعنى: فلما أغضبونا[١].

فالله سبحانه وتعالى جعل الانتقام نتيجة للغضب، وجعل العقاب نتيجة للغضب أيضاً، فدل على أن صفة الغضب غير العقاب والانتقام[٢].

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «والقرآن مملوء بذكر سخطه وغضبه على أعدائه، وذلك صفة قائمة به، يترتب عليها العذاب واللعنة. لا أن السخط هو نفس العذاب واللعنة، بل هما أثر السخط والغضب وموجبهما.

ولهذا يفرق بينهما كما قال تعالى: ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً**﴾ [النساء: ٩٣].

ففرق بين عذابه وغضبه ولعنته، وجعل كل واحد غير الآخر. وكان من دعاء النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك»[٣].

فتأمل ذكر استعاذته ﷺ بصفة «الرضا» من صفة «السخط» وبفعل «المعافاة» من فعل «العقوبة».

فالأول: للصفة، والثاني: لأثرها المترتب عليها.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (ج ٤ ص ١٣٠)، وتفسير البغوي (ج ٤ ص ١٤٢).

(٢) انظر شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص ٣٢).

(٣) تقدم تخريجه من صفحة ١٥٨.

ثم ربط ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه لا إلى غيره»[1].

فصفة الرضى والغضب من صفات الله تعالى حقيقة، وهما من صفاته الفعلية، التي نثبتها لله تعالى على الوجه الذي يستحقه مولانا تبارك وتعالى، مع اعتقاد أنهما لا يشبهان ما يتصف به المخلوق، ولا يلزم منهما ما يلزم في المخلوق، فالله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته. ولا حجة للأشاعرة على تأويلهما وإخراجهما عن ظاهرهما، بل الحجة عليهم لا لهم.

ويتبين لنا من خلال ما سبق ذكره الآتي:

١ - أن الآيات والأحاديث تنص على إثبات صفتي الرضى والغضب لله تعالى حقيقة على ما يليق بجلاله تعالى وعظمته.

٢ - أن السلف الصالح آمنوا بهذه الآيات وصدقوا بهذه الأحاديث النبوية، التي أثبتت صفتي الرضا والغضب لله تعالى، فأثبتوا ما أثبته الله تعالى لنفسه المقدسة، وما أثبته له نبيه ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل.

وأن الله سبحانه لا يشبهه في صفاته ولا في ذاته شيء من صفات وذوات المخلوقين، فالله تعالى ليس كمثله شيء.

٣ - أن أبا الحسن الأشعري أثبت صفتي الرضى والغضب لله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته، ووافق السلف فيما أثبتوه لله تعالى، وسار على طريقتهم وسلك منهجهم واتبع مذهبهم في إثبات كل ما أثبته تعالى لنفسه من الصفات، وما أثبته له نبيه ﷺ.

٤ - أن الأشاعرة نفوا هاتين الصفتين عن طريق تأويلهما وإخراجهما عن ظاهرهما، وقالوا: إنما المراد منهما إرادة الثواب وإرادة العقاب.

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (ج ١ ص ٢٥٤) دار الكتاب العربي.

وهم بهذا التأويل يخالفون سلف الأمة الذين أثبتوهما لله تعالى حقيقة، ويخالفون الأشعري أيضاً الذي يقولون: بأننا ننتسب إليه ونأخذ مذهبه ومنهجه في العقيدة.

والحق أنه رحمه الله سار على منهج السلف، وهم ساروا على منهج المتكلمين والفلاسفة والمعتزلة.

وبهذا لا تصح نسبتهم إلى أبي الحسن الأشعري.

* * * *



الخاتمة

بعد إتمام كتابة هذا البحث بفضل الله تعالى، أستطيع أن أوضح أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كالآتي:

١ ـ أن السلف الصالح أثبتوا لله تعالى ما وصف به نفسه، وما وصفه به نبيه ﷺ من غير تكييف ولا تمثيل، ونفوا عنه كل ما نفى عن نفسه، وما نفاه عنه نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل. ومذهبهم قائم على أسس ثلاثة:

١ ـ التنزيه كما في قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾.
٢ ـ الإثبات كما في قوله تعالى: ﴿**وهو السميع البصير**﴾.
٣ ـ اليأس وقطع الطمع في إدراك الكيفية كما في قوله تعالى: ﴿**ولا يحيطون به علماً**﴾.

وهم يعرفون معاني الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له نبيه، مع تفويضهم لكيفية الصفات، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

وكما قال الإمام أحمد وغيره من السلف: إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن كنا نعلم تفسيره ومعناه.

٢ ـ أن الأشعري رحمه الله عاش معتزلياً حتى بلغ من العمر أربعين سنة،

ملازماً في هذه الفترة شيخه وزوج أمه الجبائي.

ولكن لأسباب ما خرج عليهم وتبرأ منهم، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم، سالكاً طريقة ابن كلاب البصري في إثبات بعض الصفات وتأويل البعض الآخر.

ولكن الله تعالى ختم له بالرجوع التام إلى مذهب السلف الصالح، والانتساب لإمام أهل السنة «الإمام أحمد بن حنبل» والقول بما يقوله أهل الحديث، واعتقاده ما يعتقدونه، متلقياً ذلك كله عن بعض أهل الحديث أمثال: الحافظ زكريا الساجي وغيره.

٣ ـ أن كتاب «الإبانة عن أصول الديانة» يعتبر آخر ما صنف الأشعري، بدليل شهادة العلماء والأئمة الذين شهدوا بأن آخر مصنفات الأشعري كتابه «الإبانة».

٤ ـ أن الأشاعرة وإن انتسبوا للأشعري، فإن نسبتهم لا تمثل إلا طوره الثاني الذي عاشه سالكاً فيه طريقة ابن كلاب البصري، في إثبات بعض الصفات وتأويل البعض الآخر.

والأشاعرة نشروا هذا الطور وأدخلوا عليه أشياء كثيرة من أصول المعتزلة.

فليس من الانصاف أن يلصق به مذهب قال به في وقت من الأوقات، فكما أن الفترة التي عاشها الأشعري على مذهب المعتزلة لا تمثله ولا تعتبر هي مذهبه، فكذلك هذا الطور الثاني ـ الذي عليه الأشاعرة ـ لا يمثله ولا يعتبر مذهبه، وإنما الذي يعتبر حقاً مذهبه هو ما أراد أن يلقى الله تعالى عليه، وهو رجوعه التام والكامل لمذهب السلف الصالح، وتآليفه في ذلك كتاب المقالات وكتاب الإبانة وغيرهما.

٥ ـ قام الأشعري بإثبات الصفات الذاتية لله تعالى، فأثبت الوجه واليدين والعينين، كما أثبت الصفات الفعلية، فأثبت الاستواء والإتيان والمجيء والنزول إلى سماء الدنيا. إثباتاً بلا تمثيل ولا تكييف.

٦ - قام جمهور الأشاعرة بمخالفة الأشعري الذي ينتسبون إليه، وذلك بتأويلهم الصفات الذاتية، وقالوا المراد من الوجه الذات، ومن اليدين القوة أو النعمة، ومن العينين البصر.

وأولوا الصفات الفعلية، وقالوا المراد من الاستواء الاستيلاء، ومن الإتيان إتيان أمره وبأسه، ومن النزول نزول ملائكته ورحمته. موافقين بهذه التأويلات المعتزلة، الذين أولوها وأخرجوها عن ظاهرها.

٧ - ومن خلال مخالفات الأشاعرة الواضحة والبينة للأشعري الذي يزعمون أنهم ينتسبون إليه، نستطيع أن نقول: انه لا تصح هذه النسبة مطلقاً إلى الأشعري، لأنه عاد ورجع عن كل ما قال به في مراحل حياته إلى عقيدة السلف الصالح.

أما الأشاعرة فقد تمسكوا بما كان عليه في طوره الثاني، وزادوا أيضاً أصولاً من مذهب المعتزلة، وكلها نسبوها إلى الأشعري، وهو منها جميعاً بريء.

وأسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب والسداد في القول والعمل، ويجعل جهدنا هذا عملاً خالصاً لوجهه الكريم، ينتفع به جميع المسلمين، خصوصاً «الأشاعرة» وأن يوفقهم للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والرجوع التام لمذهب السلف كما رجع الإمام الأشعري رحمه الله.

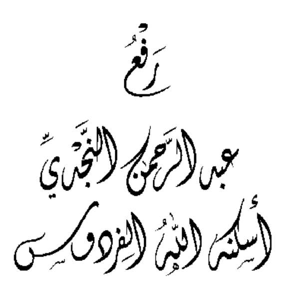


الفهارس



فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية والآثار



فهرس الأعلام المترجم لهم

مرتبة على حروف المعجم
مع مراعاة اغفال أداة التعريف «أل»
وكلمة «ابن» و«أبو» عند ذكر الأعلام

ثبت المصادر والمراجع
مرتبة على حروف المعجم

(أ)

١ ـ (الإبانة عن أصول الديانة): لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الأولى، نشر مكتبة دار البيان دمشق سنة ١٤٠١هـ.

٢ ـ (الإبانة عن أصول الديانة): لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتورة فوقية حسين، الطبعة الأولى، نشر دار الأنصار بالقاهرة سنة ١٣٩٧هـ.

٣ ـ (ابن تيمية وقضية التأويل): للدكتور محمد السيد الجلنيد، الطبعة الثالثة، نشر شركة مكتبات عكاظ، جدة سنة ١٤٠٣هـ.

٤ ـ (أبو الحسن الأشعري وعقيدته): للشيخ حماد الأنصاري، الطبعة الثانية، مطبعة الفجالة الجديدة سنة ١٣٩٥هـ

٥ ـ (أبو حامد الغزالي والتصوف): لعبد الرحمٰن دمشقية، الطبعة الأولى، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض سنة ١٤٠٦هـ.

٦ ـ (الإتقان في علوم القرآن): لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١)، نشر المكتبة الثقافية بيروت سنة ١٩٧٣م.

٧ ـ (إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين): للمرتضى الزبيدي (ت ١١٤٥)، طبع دار الفكر، بدون تاريخ.

٨ ـ (إثبات صفة العلو): لابن قدامة، موفق الدين عبدالله بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ) تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى، نشر الدار

السلفية، الكويت سنة ١٤٠٦هـ.

٩ - (إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية): لابن القيم (ت٧٥١)، نشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، بدون تاريخ.

١٠ - (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد): للجويني، أبو المعالي عبد الملك (ت ٤٧٨)، تحقيق الدكتور محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مطبعة السعادة، سنة ١٣٩٦ هـ.

١١ - (أركان الإيمان): لوهبي سليمان غاوجي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة سنة ١٣٩٧هـ.

١٢ - (أساس التقديس): للرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب (ت ٦٠٦هـ) مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٤هـ.

١٣ - (الاستقامة): لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض. بدون تاريخ.

١٤ - (الأسماء والصفات): للبيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ)، تعليق الكوثري، طبعة دار إحياء التراث، بدون تاريخ.

١٥ - (الأشعري أبو الحسن): للدكتور حمودة غرابة، مطبعة الرسالة بالقاهرة، بدون تاريخ.

١٦ - (أصل الاعتقاد): للدكتور عمر سليمان الأشقر، الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية، الكويت سنة ١٣٩٩هـ.

١٧ - (أصول الدين): لأبي منصور البغدادي (ت ٤٢٩هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة مدرسة الإلٓهيات بدار الفنون التركية، استانبول سنة ١٣٤٦هـ.

١٨ - (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن): للعلامة محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد والإفتاء، الرياض سنة ١٤٠٣ هـ.

١٩ ـ (أضواء على طريق الدعوة الإسلامية): للدكتور محمد أمان الجامي، الطبعة الثانية، طبع المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٩هـ.

٢٠ ـ (أعلام الموقعين): لابن القيم (ت ٧٥١)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، بدون تاريخ.

٢١ ـ (الأعلام): لخيرالدين الزركلي، الطبعة الثالثة، بيروت سنة ١٣٨٩هـ.

٢٢ ـ (الاقتصاد في الاعتقاد): لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥)، الطبعة الأولى، مطبعة دار الأمانة، بيروت سنة ١٣٨٨ هـ.

٢٣ ـ (الأنساب): للسمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد التيمي (ت ٥٦٢)، تصحيح وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الطبعة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٣٨٢هـ.

٢٤ ـ (الإنصاف): للباقلاني، أبو بكر بن الطيب (ت ٤٠٣هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط ثانية، مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر، سنة ١٣٨٢هـ.

٢٥ ـ (الإيمان): لابن منده محمد بن إسحق (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة سنة ١٤٠١هـ.

(ب)

٢٦ ـ (البداية والنهاية): لابن كثير عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) الطبعة الثالثة، دار المعارف، بيروت. سنة ١٩٧٨م.

٢٧ ـ (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية): لابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، تصحيح وتعليق الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى، مكة المكرمة سنة ١٣٩١هـ.

٢٨ ـ (البيهقي وموقفه من الإلهيات): للدكتور أحمد بن عطية الغامدي، الطبعة الثانية، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة سنة ١٤٠٢ هـ.

(ت)

٢٩ ـ (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣٠ ـ (تبيين كذب المفتري): لابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٣٩٩هـ.

٣١ ـ (تحفة المريد على جوهرة التوحيد): لإبراهيم البيجوري، مطبعة مصطفى الحلبي البابي، مصر، بدون تاريخ.

٣٢ ـ (تذكرة الحفاظ): للذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨) نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٣٣ ـ (ترتيب القاموس المحيط) للطاهر أحمد الزواوي، مطبعة عيسى البابي، مصر، بدون تاريخ.

٣٤ ـ (تفسير البغوي المسمى «معالم التنزيل») للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦)، بإشراف خالد عبدالرحمن العك ومروان سوار، الطبعة الأولى، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٤٠٦هـ.

٣٥ ـ (تفسير سورة الإخلاص) لابن تيمية،، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨) الطبعة الثالثة، نشر مكتبة المنار الإسلامية، الكويت سنة ١٣٩٨هـ.

٣٦ ـ (تفسير القرآن العظيم) لابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٣٨٨هـ.

٣٧ ـ (تقريب التهذيب): لابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

(ت ٨٥٢)، تحقيق الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٣٨ - (التمهيد): لابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر النمري، (ت ٤٦٣)، الطبعة الثانية، طبع وزارة الأوقاف المغربية سنة ١٣٧٧هـ.

٣٩ - (التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل): للشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض سنة ١٤٠٣هـ.

٤٠ - (التوحيد وإثبات صفات الرب): لابن خزيمة، محمد بن إسحٰق (ت ٣١١)، تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٣هـ.

(ج)

٤١ - (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): للطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠)، الطبعة الثالثة، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر سنة ١٣٨٨هـ.

٤٢ - (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين): لابن الآلوسي البغدادي (ت ١٣١٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(ح)

٤٣ - (حاشية الدسوقي على أم البراهين): لمحمد الدسوقي، مطبعة عيسى الحلبي، مصر، بدون تاريخ.

٤٤ - (حاشية الصاوي على الجلالين): للصاوي، أحمد بن محمد المالكي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٤٥ ـ (حاشية الصاوي على شرح الخريدة البهية): للصاوي، مطبعة الاستقامة. بدون تاريخ.

٤٦ ـ (الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام): للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثالثة، نشر الدار السلفية، الكويت سنة ١٤٠٠هـ.

(خ)

٤٧ ـ (الخطط): للمقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥)، أصدرته دار التحرير للطبع والنشر عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ.

٤٨ ـ (خلق أفعال العباد): للبخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦)، تعليق بدر البدر، الطبعة الأولى، الناشر الدار السلفية، الكويت سنة ١٤٠٥هـ.

(د)

٤٩ ـ (درء تعارض العقل والنقل) لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨)، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض سنة ١٣٩٩هـ.

٥٠ ـ (الديباج المذهب) لابن فرحون المالكي، برهان الدين إبراهيم بن علي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(ر)

٥١ ـ (رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد): للدارمي، عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٥٢ ـ (الرد على الجهمية والزنادقة): للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، تحقيق عبد الرحمن عميرة، نشر دار اللواء، الرياض سنة ١٣٩٧ هـ.

٥٣ ـ (الرد على الجهمية): لابن منده، أبو عبدالله محمد بن إسحاق

(ت ٣٩٥) تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ.

٥٤ - (الرسائل المنيرية): المطبعة المنيرية بمصر، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٥٥ - (الرسالة التدمرية): لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الثانية، طبع المكتب الإسلامي سنة ١٣٩١هـ.

٥٦ - (رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري): لابن درباس، أبو القاسم عبدالملك بن عيسى (ت ٦٥٩)، تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

(س)

٥٧ - (سلسلة الأحاديث الضعيفة): للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط ثالثة طبع المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٦هـ.

٥٨ - (سنن ابن ماجه): للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٥٩ - (سنن أبي داود): للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥)، إعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، الطبعة الأولى، دار الحديث للطباعة والنشر، سورية، سنة ١٣٨٩هـ.

٦٠ - (سنن الترمذي): للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثالثة، نشر دار الفكر سنة ١٣٩٨هـ.

٦١ - (سنن الترمذي): للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩)، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى

البابي، مصر سنة ١٣٨٢هـ.

٦٢ ـ (سنن الدارمي): للحافظ عثمان بن سعيد (ت ٢٨٠)، تحقيق محمد أحمد دهمان، نشر دار إحياء السنة النبوية، بيروت، بدون تاريخ.

٦٣ ـ (سنن النسائي المجتبى): للحافظ أبي عبدالرحمن بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣)، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي، مصر سنة ١٣٨٣هـ.

٦٤ ـ (السنة): للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، طبع المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٠هـ.

٦٥ ـ (سير أعلام النبلاء): للذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨)، الطبعة الأولى، نشر مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٣هـ.

(ش)

٦٦ ـ (شذرات الذهب): لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩)، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٦٧ ـ (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة): للإمام اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري (ت ٤١٨)، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ.

٦٨ ـ (شرح الأصول الخمسة): للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان، الطبعة الأولى، نشر مكتبة وهبة، مصر سنة ١٣٨٤هـ.

٦٩ ـ (شرح أم البراهين): للسنوسي، أبو عبدالله محمد بن محمد، مطبعة الاستقامة سنة ١٣٥١هـ.

٧٠ ـ (شرح أم البراهين): لأحمد بن عيسى الأنصاري، طبع ونشر أحمد أبو

السعود، كانو (نيجيريا)، بدون تاريخ.

٧١ - (شرح السنة) للبغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦)، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الأولى، طبع المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٠هـ.

٧٢ - (شرح عقيدة أهل التوحيد الكبرى) للسنوسي، محمد بن يوسف الحسيني، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى الحلبي سنة ١٣٥٤هـ.

٧٣ - (شرح العقيدة الطحاوية): لابن أبي العز الحنفي، الطبعة الخامسة، طبع المكتب الإسلامي، بيروت سنة ١٣٩٩هـ.

٧٤ - (شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية): للدكتور محمد خليل هراس، الطبعة الرابعة، نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، بدون تاريخ.

٧٥ - (شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري): للشيخ عبدالله بن محمد الغنيمان، الطبعة الأولى، توزيع مكتبة الدار بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٥ هـ.

٧٦ - (شرح الكوكب المنير): لابن النجار، محمد بن أحمد الحنبلي (ت ٩٧٢)، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، طبع دار الفكر، دمشق سنة ١٤٠٠هـ.

٧٧ - (شرح لمعة الاعتقاد لابن قدامة): للشيخ محمد الصالح العثيمين، الطبعة الثانية، طبع مؤسسة الرسالة سنة ١٤٠٤هـ.

٧٨ - (الشريعة): للآجري، أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠) تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الأولى، مطبعة السنة المحمدية، سنة ١٣٦٩هـ.

(ص)

٧٩ - (صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري): ترقيم محمد فؤاد عبد

الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، بدون تاريخ.

٨٠ - (صحيح مسلم): للحافظ مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١)، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة، بدون تاريخ.

(ط)

٨١ - (طبقات الشافعية الكبرى): للسبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١)، طبعة دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

(ع)

٨٢ - (العقائد السلفية بأدلتها النقلية): أحمد بن حجر آل بوطامي، الطبعة الأولى، بيروت سنة ١٩٧٠م.

٨٣ - (العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة): محمد أحمد خفاجي، مطبعة الإمامة، بدون تاريخ.

٨٤ - (عقيدة السلف أصحاب الحديث): لأبي عثمان الصابوني (ت ٤٤٩)، تحقيق بدر البدر، الطبعة الأولى، نشر الدار السلفية، الكويت سنة ١٤٠٤هـ.

٨٥ - (العقيدة النظامية): للجويني، أبو المعالي عبد الملك (ت ٤٧٨)، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، مطبعة دار الشباب، القاهرة سنة ١٣٩٨هـ.

٨٦ - (العلل المتناهية): لأبي الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧)، مطبعة إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، الباكستان، بدون تاريخ.

٨٧ - (علوم الحديث): لأبي عمرو عثمان المشهور بابن الصلاح (ت ٦٤٣)، تحقيق نور الدين عتر، مطبعة الأصيل، حلب سنة ١٣٨٦هـ.

(غ)

٨٨ ـ (غاية الأماني في الرد على النبهاني): لأبي المعالي، محمود شكري الآلوسي (ت ١٣٤٢هـ)، المطبعة العربية بلاهور سنة ١٤٠٣هـ.

٨٩ ـ (غاية المرام في علم الكلام): لسيف الدين الآمدي (ت ٦٣١)، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف، طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر سنة ١٣٩١هـ.

(ف)

٩٠ ـ (فتح الباري شرح صحيح البخاري): لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢)، توزيع إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، الرياض، بدون تاريخ.

٩١ ـ (فتح رب البرية بتلخيص الحموية): للشيخ محمد الصالح العثيمين، الطبعة الثالثة، طبع إدارة المعاهد العلمية سنة ١٣٩٦هـ.

٩٢ ـ (الفتوى الحموية الكبرى): لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت ٧٢٨)، الطبعة الثالثة، المطبعة السلفية، القاهرة سنة ١٣٩٨هـ.

٩٣ ـ (الفَرق بين الفِرق): للبغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٧٩)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ.

٩٤ ـ (الفصل في الملل والأهواء والنحل): لابن حزم، أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦هـ)، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٣٩٥هـ.

٩٥ ـ (الفهرست): لابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٣٩٨هـ.

(ق)

٩٦ - (القاموس المحيط): للفيروزآبادي مجدالدين، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر سنة ١٣٧١هـ.

٩٧ - (قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر): للعلامة صديق حسن خان (ت ١٣٠٧)، تحقيق الدكتور عاصم بن عبدالله، الطبعة الأولى، طبع شركة الشرق الأوسط، الأردن سنة ١٤٠٤هـ.

٩٨ - (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى): للشيخ محمد الصالح العثيمين، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض سنة ١٤٠٥هـ.

(ك)

٩٩ - (كبرى اليقينيات الكونية): للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الثانية، دار الفكر سنة ١٩٨٢.

١٠٠ - (كتاب النزول): للدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر (ت ٣٨٥)، تحقيق الدكتور علي بن ناصر الفقيهي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ.

١٠١ - (الكشاف): للزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بدون تاريخ.

١٠٢ - (الكلم الطيب): لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨)، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الرابعة، طبع المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٩.

١٠٣ - (الكواشف الجلية عن معاني الواسطية): للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، الطبعة العاشرة، سنة ١٤٠١هـ.

(ل)

١٠٤ ـ (لسان العرب): لابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، دار بيروت للطباعة والنشر سنة ١٩٥٦م.

١٠٥ ـ (اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع): للأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤)، تحقيق الدكتور حمودة غرابة، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة سنة ١٩٥٥م.

١٠٦ ـ (لوامع الأنوار البهية): للسفاريني، محمد بن أحمد الحنبلي، مطبعة الأصفهاني، جدة سنة ١٣٨٠هـ.

(م)

١٠٧ ـ (متشابه القرآن): للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني، تحقيق عدنان محمد زرزور، نشر دار التراث، القاهرة، بدون تاريخ.

١٠٨ ـ (مجموعة الرسائل والمسائل): لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨)، مطبعة محمد صبيح وأولاده، مصر، بدون تاريخ.

١٠٩ ـ (مجموع الفتاوى): لابن تيمية، جمع وترتيب الشيخ عبدالرحمن بن محمد النجدي، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، الرياض، بدون تاريخ.

١١٠ ـ (مختصر الصواعق المرسلة): لابن القيم (ت ٧٥١)، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، بدون تاريخ.

١١١ ـ (مختصر العلو): للذهبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت ٧٤٨)، اختصار الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي سنة ١٤٠١هـ.

١١٢ ـ (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين): لابن القيم

(ت ٧٥١)، تحقيق محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، نشر دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٣٩٢هـ.

١١٣ - (مذاهب الإسلاميين): للدكتور عبدالرحمن بدوي، الطبعة الثالثة نشر دار العلم للملايين سنة ١٩٨٣م.

١١٤ - (المسامرة بشرح المسايرة): للقدسي، كمال الدين محمد بن محمد (ت ٩٠٦)، مطبعة السعادة، القاهرة، بدون تاريخ.

١١٥ - (المستدرك على الصحيحين): للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥)، دار الباز للنشر والتوزيع، بدون تاريخ.

١١٦ - (المستصفى): للغزالي، محمد بن محمد الطوسي (ت ٥٠٥)، تحقيق محمد مصطفى أبو العلا، نشر مكتبة الجندي، مصر، بدون تاريخ.

١١٧ - (المسند): للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)، الطبعة الثانية، طبع ونشر المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٨هـ.

١١٨ - (مشكل الحديث وبيانه): لأبي بكر بن فورك (ت ٤٠٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت سنة ١٤٠٠هـ.

١١٩ - (معارج القبول): للشيخ حافظ الحكمي (ت ١٣٧٧)، مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، بدون تاريخ.

١٢٠ - (مقالات الإسلاميين): للأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق محمد محيي الدين، نشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٨٩هـ.

١٢١ - (مقاييس اللغة): لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، بدون تاريخ.

١٢٢ - (مناهل العرفان في علوم القرآن): للشيخ عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى الحلبي، بدون تاريخ.

١٢٣ - (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم): لابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، الطبعة الأولى، طبع دار المعارف العثمانية، حيدر آباد (الدكن) سنة ١٣٥٧هـ.

١٢٤ - (المنقذ من الضلال): للغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق محمد محمد جابر، نشر المكتبة الثقافية، بيروت، بدون تاريخ.

١٢٥ - (مناهج الأدلة في عقائد الملة): لابن رشد (ت ٥٩٥هـ)، تحقيق الدكتور محمود قاسم، الطبعة الثانية، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٦٤م.

١٢٦ - (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول): لابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، على هامش كتاب «منهاج السنة النبوية»، نشر مكتبة الرياض، بدون تاريخ.

١٢٧ - (المواقف في علم الكلام): للإيجي، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، نشر إبراهيم الدسوقي، مطبعة العلوم، بدون تاريخ.

(ن)

١٢٨ - (نهاية الاقدام في علم الكلام): للشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ)، حرره وصححه الفرد جيوم، نشر مكتبة المثنى، بغداد، بدون تاريخ.

١٢٩ - (النهاية في غريب الحديث): لابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي، نشر المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ.

(و)

١٣٠ - (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان): لابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر سنة ١٣٦٧هـ.

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الموضوعات